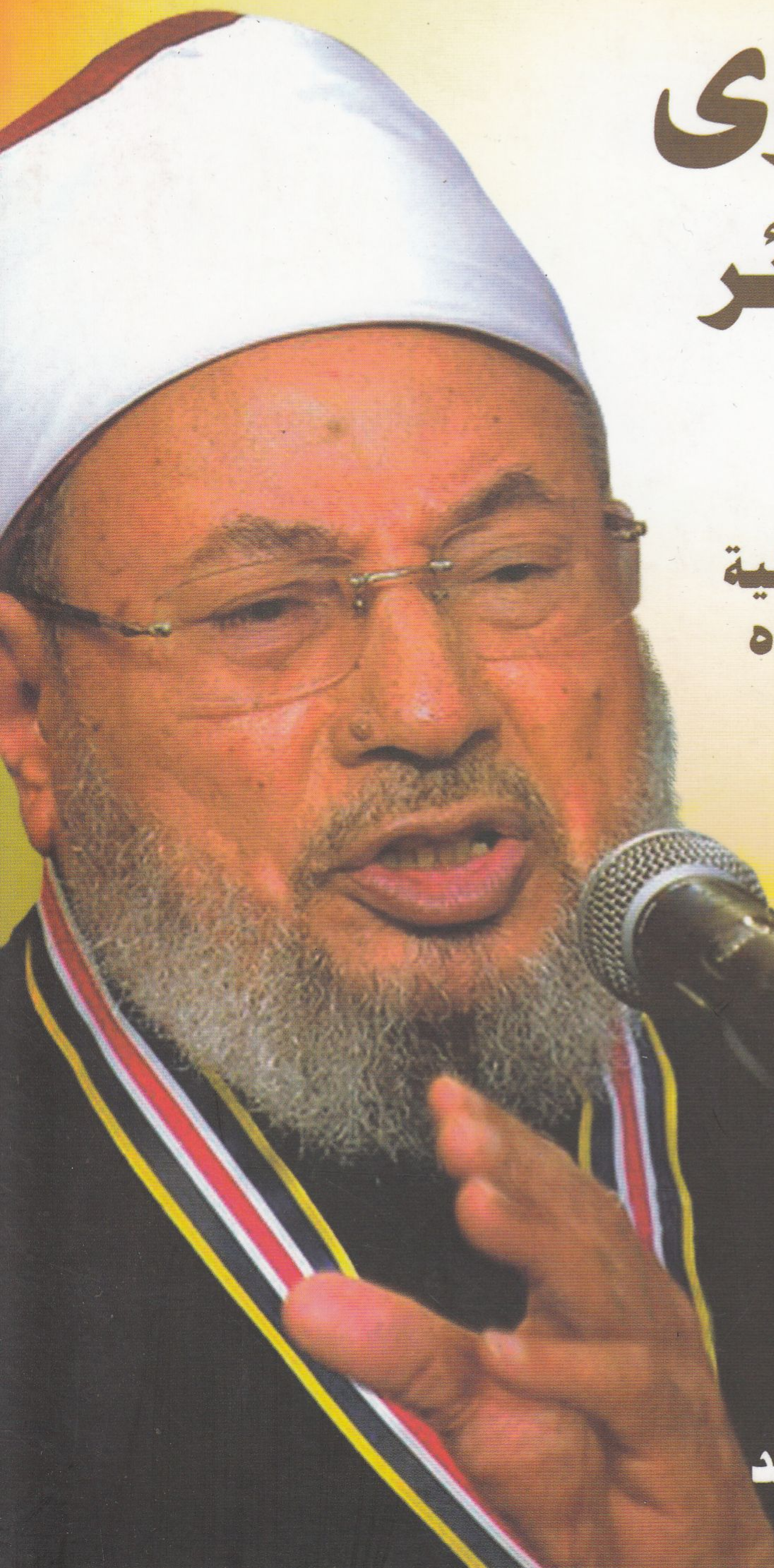
منهجية راشدة للاجتهاد الشرعي في القضايا المعاصرة

القرضاوى
الإمام الثائر



دراسة تحليلية أصولية
في معالم اجتهاده
للثورة المصرية

تأليف
وصفي عاشور أبو زيد

منهجية راشدة للاجتهاد الشرعي في القضايا المعاصرة

القرضاوي... الإمام الثائر

دراسة تحليلية أصولية... في معالم اجتهاده للثورة المصرية

وصفي عاشور أبو زيد

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

رقم الإيداع: ٧٨٣٣ / ٢٠١١



سلطان للنشر - الولايات المتحدة الأمريكية
SULTAN Publication Co. inc. USA
4907 Britton farms Dr. Hilliard, OH 43026, USA
Tel : 001-614-209-4361
Cairo : 002 011 113 2520
WWW.salahsoltan.com

الإهداء

إلى أبنائي وحبات قلبي: آلاء، ونهى، وإسراء، وبشرى...

من جيل الأبناء والأحفاد...

الذي أرجو الله تعالى أن يعيش حياة حرة كريمة عزيزة...

حصاد ما زرعه وجاهد من أجله الآباء والأجداد...

وصفي

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه الغر المحجلين، ومن تبع هديهم، وسار على دربهم، واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،

فإن الحديث عن ثورة مصر ٢٥ يناير ٢٠١١م الموافق ٢١ صفر ١٤٣٢هـ أمر جلل، لا تدري معه من أي الجوانب تبدأ، وعلى أي الأحداث تعلق، وفي أي النواحي تنظر؛ ذلك.. أنه حدث كبير وجليل، وذو تأثير واسع؛ شمل أنحاء مصر، وامتد ليشمل المنطقة العربية، بل امتدت آثاره وتأثيره إلى العالم كله.

فإذا انضاف إلى ذلك أنك ستكتب عن الثورة وعن إمام كبير هو شيخنا العلامة د. يوسف القرضاوي، وإبراز دوره في الثورة، تبين لك مدى وعورة المسلك وصعوبة ارتياده، لكن معايشة الثورة المباركة، والسير على المنهجية التي ارتضاها الشيخ الإمام يسَّرت العسير، وذللت الصعاب، وأسعفت في الإنجاز في وقت قياسي، وعون الله وتوفيقه من قبل ومن بعد:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

والواقع أنني وجدت نفسي في بحرين لا ساحل لهما، بحر الثورة المتلاطم الأمواج والمتنوع الجوانب، وبحر الشيخ الواسع الذي كدت أن أغرق فيه فلا أتبين معالمه أو جوانبه وآفاقه.

والشيخ الإمام القرضاوي كُتب عنه كثيرًا، ومن نواحٍ عدة؛ كتب عنه: فقيهًا، وأصوليًّا، وداعيةً، ومفتيًا، ومجددًا، ومربيًا، ومؤرخًا، وشاعرًا، ومفكرًا، ومفسرا، وغير ذلك، لكنه لم يُكتب عنه ثائرًا، أو مجاهدًا، وربْط هذا الجهاد وتلك الثورية بمنهجه الراشد الذي ارتضاه في الاجتهاد تأصيلًا وتفعيلًا وتشغيلًا وتنزيلًا.

والشيخ المجاهد وقف في وجه الطغيان منذ القدم، فهو أحد خريجي مدرسة «يوسف» ـ عليه السلام ـ ولا غرو أن يكون اسمه يوسف ـ فقد عانى من السجون وعذاباتها منذ عام ١٩٤٩م في عهد الملكية، ثم دخل عهد الجمهورية فلم ينجُ منها في فترة الخمسينيات والستينيات، فسجن مرتين في عام ١٩٥٤م، ثم مرة عام ١٩٦٢م، وكانت الأخيرة حبسًا انفراديًّا، وكان مجموع أيام سجنه نحوًا من ثلاث سنوات.

إننا حين نتحدث عن القرضاوي ـ ولد ٩/ ٩/ ١٩٢٦م الموافق غرة ربيع الأول ١٣٤٥هـ ـ فلا نتحدث عن فرد أو شخص فقط، وإنما نتحدث عن تاريخ أمة شهدت فتراتِ حكم ثلاثةً، فترةً كانت البلاد العربية فيها ـ ومنها مصر ـ واقعة تحت استلاب حضاري واستعمار غربي، ثم فترةَ الحكم الفردي التي كانت نتيجة التحرر من الاستعمار العسكري فقط دون تحرر إرادة الأمم من أي آثار له، فحُكمت البلاد العربية ـ في مجملها ـ بالحديد والنار، ثم أبقى الله تعالى الشيخ الإمام ليرى فترةَ ثوراتِ الشعوب على حكامها وأنظمتها، ويسجل فيها موقفًا واضحًا، وهي ثورات حقيقية من شأنها أن تتحرر معها البلاد من كل احتلال، خارجي أو داخلي، بخلاف الثورات التي تصدَّر فيها العسكر فكان حكمهم عسكريًّا..!

كما عايش القرضاوي فترة حرب فلسطين، ورأى كتائب الجهاد المتطوعة لأجلها، ونشأ في حضن جماعة الإخوان المسلمين التي قدمت تضحياتٍ غاليةً ـ من علمائها الأخيار ودعاتها الأبرار؛ فضلا عن مؤسسها ـ ثمنًا للحرية والتحرر والوقوف أمام

الطغاة، وعايش علماء ومفكرين ثائرين على الظلم ورافضين للاستبداد، على رأسهم الداعية الكبير المجدد الشيخ محمد الغزالي ـ رضي الله عنه ـ وقد كان للعلماء والدعاة دور يذكر فيشكر في كل هذه المشاهد، وأثناء هذا التاريخ.

عاش القرضاوي ثائرًا على الظلم والظالمين، كارهًا للقهر والكبت والاستبداد، وهذا هو الموقف الطبيعي لأي مسلم؛ فضلا عن العلماء العاملين والدعاة الصادقين الربانيين؛ حتى في عهد مبارك كان يُستقبل في العالم كله بحفاوة بالغة، في قاعة كبار الزوار، ويستقبل استقبالا رسميًّا من الرؤساء والزعماء والوزراء والقادة، لكنه في مصر يستقبل استقبالًا لا يليق بسنه؛ فضلا عن علمه ومكانته الرمزية والعلمية والعملية في العالم؛ فيظل في المطار أربع ساعات وخمس ساعات؛ تحقيقاتٍ وأسئلةً وأجوبة، حتى منَّ الله عليه ـ وعلينا ـ وأقر عينه ـ وعيننا بل عيون الأمة في المشارق والمغارب ـ بزوال هذا العهد القمعي الذي حكم مصر ما يزيد على الستين سنة، كانت كلها سنين عجافًا، ذاق فيها الناس طعم الخوف والجوع، وعانوا معها قتلًا في الأنفس، ونقصًا ـ بل نهبًا ـ في الأموال والثمرات إلا من رحم الله.

إن معايشة القرضاوي هذه العصور، ونشأته في هذه الأحداث، وبهذه الكيفية، ولَّد لديه كراهية للظلم والاستبداد، ومثَّل هذا كله رافدًا قويًّا ـ أو بالأحرى روافد ـ شكَّلتْ ـ مع أبعاد أخرى ـ طبيعة تعامله مع الثورات المعاصرة.

ولقد برزت ثورية الشيخ ووقوفه في وجه الطغاة والاستبداد في موقفه من ثورة مصر ـ وكذلك تونس من قبلها، وليبيا من بعدها ـ كما لم تبرز وتظهر من قبل، وقد مكنه من ذلك المرجعيةُ التي يمثلها؛ علمًا ومكانة ورمزية في العالم، ووسائلُ الإعلام التي عززت من هذه المرجعية، بالإضافة إلى تاريخ مشحون بكراهية الظلم ومعاناة القهر والاستبداد.

لقد بلغ من فرط اهتمام الشيخ بثورة مصر أنه كان يواليها بالخطاب والخطب والكلمات والبيانات ـ كما تُبين ذلك تواريخُ الملاحق في آخر الكتاب ـ بل كان يتابع أحداثها لحظة بلحظة ـ وهذا للأمانة كان شأن العالم كله؛ فضلا عن المصريين بله العلماء والدعاة ـ وكان لا يتحدث حديثًا خاصًّا أو عامًّا إلا تكلم فيه عن الثورة.

حتى إنه في الملتقى العلمي الثاني لتلاميذ القرضاوي ـ ١-٨ ربيع أول ١٤٢٣هـ/ ٤-١٠ فبراير ٢٠١١م ـ لم يترك جلسة من الجلسات، في بدء أو ختام، أو في تعقيب أو توضيح، أو حتى على طعام أو شراب إلا تحدث عن الثورة، وتطوراتها، وأخلاقها، وشرفها؛ تشعر في حديثه بالحرقة، وفي لهجته بالصدق، وفي مشاعره باللهفة على إخوانه وأبنائه وأحفاده هناك، فكانت الثورة تظلل حياته كلها؛ أحاديثَ خاصةً وعامة، وخطبًا ومحاضراتٍ، وبيانات وتصريحات، حتى استغرقت حياته كلها؛ ليلا ونهارًا وسرًّا وجهارًا.

إن الدور الذي قام به القرضاوي في دعم ثورة مصر يستحق أن نتوقف أمامه؛ نظرًا لعظم هذا الدور، ورسوخ خطابه الشرعي، وتميز منهجه الذي ارتضاه، وآثار هذا الخطاب وتأثيره داخليًّا وخارجيًّا، ومن أجل هذا كان إعداد هذا الكتاب.

محتويات الكتاب:

واقتضت طبيعته أن يكون في مقدمة وأربعة فصول وملاحق:

أما المقدمة: فقد تحدثت عن أهمية الموضوع، وخلفيته التاريخية، ومحتويات الكتاب.

وأما المدخل: فقد شمل حديثًا عن معالم الثورة والشيخ الإمام احتوى على العناوين التالية:

ثورة أذهلت العالم، وثورة ربانية، وثورة قدوة ومعلِّمة، وثورة أخلاقية سلوكية حضارية، وثورة وطنية شعبية حقيقية، وثورة من أجل المقاصد الإنسانية، وثورة أظهرت القدرة على التجديد والإبداع، وثورة حصاد عقود وإن أطلق شرارتها الشباب، وثورة ميزت مواقف الحكومات والعلماء، وموقع القرضاوي على خارطة العلماء والدعاة، ولماذا القرضاوي دون غيره، ولماذا القرضاوي وثورة مصر دون غيرها من الثورات.

وأما الفصل الأول، فقد تحدث عن: المنطلقات الشرعية لخطاب القرضاوي في الثورة، وشملت عشرة منطلقات، هي: المنطلق الأول: نصوص القرآن والسنة. والمنطلق الثاني: الوعي بالسنن الجارية. والمنطلق الثالث: الوعي بفقه الواقع والإحساس به. والمنطلق الرابع: رعاية فقه المقاصد. والمنطلق الخامس: رعاية فقه المآلات. والمنطلق السادس: رعاية فقه الموازنات. والمنطلق السابع: التشاور مع أهل الذكر. والمنطلق الثامن: استلهام دروس التاريخ ودور العلماء الربانيين. والمنطلق التاسع: رد الشبهات وتفنيدها. والمنطلق العاشر: نقد المتخاذلين وعلماء السلطة.

واستخلص الفصل الثاني: القواعد الشرعية الحاكمة لخطاب القرضاوي في الثورة، واحتوى على عشرة قواعد أيضًا، هي: القاعدة الأولى: حق الأمة مقدم على حق الفرد. والقاعدة الثانية: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. والقاعدة الثالثة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. والقاعدة الرابعة: المشقة تجلب التيسير. والقاعدة الخامسة: الأمور بمقاصدها. والقاعدة السادسة: حقوق الله مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبنية على المشاحة والمضايقة. والقاعدة السابعة: للوسائل أحكام المقاصد. والقاعدة الثامنة: تصرف الحاكم على الرعية منوط بالمصلحة. والقاعدة التاسعة: كل ما خالف أصلا قطعيًّا مردود. والقاعدة العاشرة: درء أعظم المفاسد بارتكاب أخفها، وجلب أعظم المصالح بتفويت أدناها.

واستنتج الفصل الثالث: الخصائص العامة لخطاب القرضاوي في الثورة، وجاءت في ست خصائص، هي: الخصيصة الأولى: الربانية. والخصيصة الثانية: الوسطية. والخصيصة الثالثة: المواكبة. والخصيصة الرابعة: الشمولية. والخصيصة الخامسة: الاستيعاب. والخصيصة السادسة: البيان.

وتتبع الفصل الرابع: الآثار الداخلية والخارجية لخطاب القرضاوي في الثورة، من خلال المشهد وما قيل في الصحف المحلية والعالمية، وجاء في قسمين: القسم الأول: التأثير الداخلي، وذكر التأثير في نواحٍ خمسة: الناحية الأولى: الثوار. والناحية الثانية: العلماء والدعاة. والناحية الثالثة: الجيش والمجلس الأعلى للقوات المسلحة. والناحية الرابعة: ناحية الإعلام والصحافة المصريَّيْن. والناحية الخامسة: الشعب المصري كافة.

والقسم الثاني: تحدث عن التأثير الخارجي، وجاء عرضه من خلال ناحيتين: الناحية الأولى: الإعلام المسموع. والناحية الأولى: الإعلام المقروء.

وأما الملاحق فقد احتوت على بيانات الشيخ، وتصريحاته للفضائيات وخطبه الصوتية، بعد أن تم تفريغها وتحريرها، وتخريج آياتها وأحاديثها، والتعليق عليها.

***

والحق أن هذه القراءة الأصولية الفقهية الدعوية التي حددت عشرة منطلقات لخطاب الشيخ في الثورة، واستنتجت عشرة قواعد شرعية حكمت خطابه لها، وست خصائص تميز بها خطابه فيها، أقول بكل اطمئنان: إني وجدت فيها الآتي:

أولًا: أن هذه المنهجية ـ بمنطلقاتها وقواعدها وخصائصها ـ ليست خاصة بخطاب الشيخ الإمام في الثورة فقط، بل هي خصائص ومنطلقات لاجتهاداته جميعًا، في

الفتاوى، وفي الاجتهاد الإنشائي، والاجتهاد الانتقائي، وفي تعامله مع النوازل الفردية والجماعية، ونوازل الأمة بشكل عام.

ثانيًا: أن هذه المنهجية يمكن أن تكون مثالًا يحتذى في الخطاب الشرعي إزاء أي نازلة، وقدوة للعلماء العاملين والدعاة الصادقين في تعاملهم الأصولي والفقهي والدعوي في قضايا خاصة أو عامة، تتعلق بالفرد أو المجتمع أو الأمة.

إن هذا المنهج يمكن أن نسميه: «الاجتهاد الراشد»، و«المنهجية الراشدة» و«التنزيل الراشد» للأحكام الشرعية، و«التأصيل الراشد»؛ فهي منهجية راشدة أي عاقلة متوازنة مستوعبة شاملة؛ تنظر بعين على الشرع، والأخرى ترصد الواقع والعصر، في مراعاة بالغة للسنن والمقاصد والأولويات والموازنات والمآلات؛ فلن يبلغ الفقيه أن يكون فقيهًا بحق إلا إذا زاوج بين الشرع والعصر، وجمع في اجتهاده بين الواقع والواجب.

إن مشكلتنا المعاصرة في التعامل الاجتهادي تتمثل في بعدين كبيرين:

* البعد الأول: هو التعامل مع النصوص نفسها، في فهمها بملابساتها ومقاصدها وسياقاتها، ومعرفة سبب نزولها وأسباب ورودها، وجمع النصوص بعضها إلى بعض في الموضوع الواحد، فنرد الفروع إلى الأصول، والمتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ونعطي الأحكام مراتبها؛ فلا نقدم ما من حقه التأخير، ولا نؤخر ما من حقه التقديم، بل كلٌّ يأخذ موضعه الذي يستحقه بلا طغيان ولا إخسار، وهذه تحتاج إلى دربة ومران وطول ممارسة ومعاناة وتلمذة طويلة على من يتميزون بذلك وهم قلة في عصرنا، وفي كل عصر.

* البعد الثاني: هو تنزيل هذه النصوص على الواقع؛ فأزمتنا المعاصرة هنا تتمثل في إنزال النصوص في غير مواضعها، وجعل الوسائل مقاصد، والمقاصد وسائل،

والفروع أصولًا، والأصول فروعًا، والمصيبة الكبرى أن البعض لا يراعي ـ عند تنزيل النصوص ـ أبعاد الواقع، ولا يوازن بين المصالح والمفاسد، ولا ينظر في مآلات الاجتهاد والتنزيل، وهذا ـ كذلك ـ أمر شائك لا يحسنه كل أحد، ولا يقدر عليه أي أحد، وإنما هم ندرة في كل عصر، بل قلة في تاريخ الأمة كلها.

وأحسب أن شيخنا الدكتور يوسف القرضاوي أحد هؤلاء، الذين جمعوا بين حسن فهم النصوص وحسن تنزيلها على الواقع مع رعاية أبعاد هذا الواقع جميعًا، وسوف يرى القارئ الكريم ذلك جليًّا من خلال هذه الدراسة، وفي غيرها من اجتهاداته وفتاويه، فهذا أمر لا تخطئه عين تنظر بإنصاف في مؤلفاته وأحاديثه.

وإنني لأرجو أن يكون هذا البحث وفاءً للدور الكبير الذي قام به شيخنا العلامة والإمام الرباني الدكتور يوسف القرضاوي في هذه الثورة، وغيرها من الثورات، وعرفانًا لفضله، وإنصافًا لمكانته، وأن ينتصب هذا الدور قدوة للبعض من الذين يلبسون زي العلماء لكن بعضهم لَبَّس على الناس أو لُبِّس عليه، والبعض الآخر تحدث عنه بما لا يليق؛ فجرَّحوا في شخصه ونهشوا في عرضه؛ حيث يعف القلم عن ذكر أسمائهم في أماكن الرجولة ومواضع الشرف.

وإذا كان الباعث على هذا العمل هو تقدير الشيخ، وإبراز دوره، وإنصافه، فهذا لا يعني تقديسه أو عصمته، فلم يدَّعِ ذلك يومًا، ولا ادعاه له أحد، كما لا يعني التقديرُ والوفاء الاتفاقَ معه في كل مسألة، وموافقته في كل رأي، وهو يوصي دائمًا ألا يكون تلامذتُه نسخًا منه؛ ومن هنا فليس هناك ما يمنع من الاختلاف معه؛ انطلاقًا من المنهجية التي ارتضاها ـ ونرتضيها أيضًا ـ كما جاء في آخر حديثي عن منطلق رعاية فقه الموازنات..

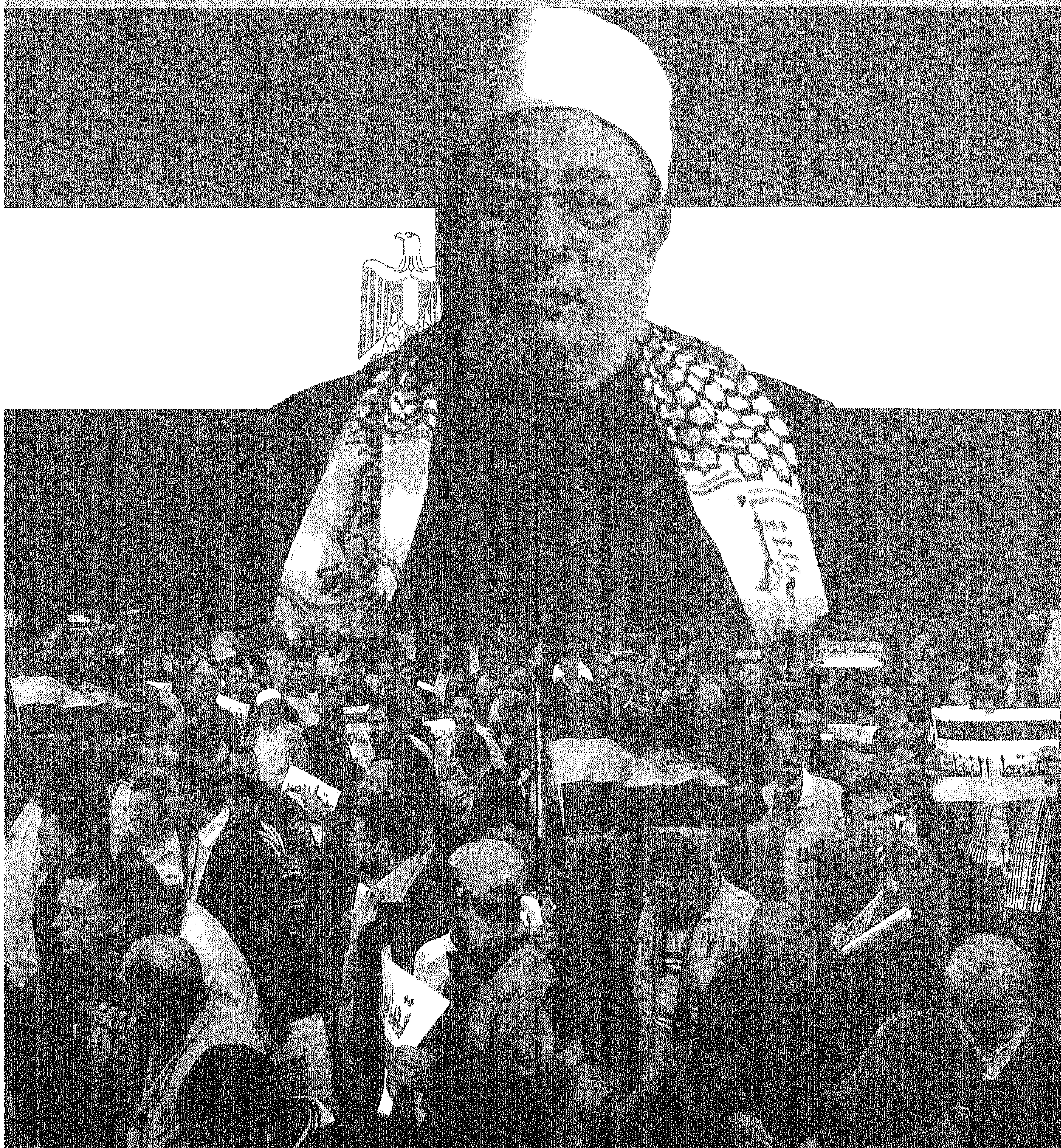
ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر العميق لأخي العالم الأصولي الداعية الدكتور خالد محمد حنفي، رئيس هيئة العلماء في ألمانيا، ومدرس أصول الفقه بجامعة الأزهر، الذي تناقشت معه في بعض المسائل، وأضاف لي بعض الأفكار، وفتح لي آفاقا طيبة، والأخ الأستاذ مصطفى الموصل الذي ساعدني بجهد كبير في تفريغ المادة الصوتية وكتابتها، فشكر الله لهما حسن الصنيع.

وختامًا أردد قول الله تعالى ساجدًا حامدًا شاكرًا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٤٢-٤٥.

الفقير إلى الله تعالى
وصفي عاشور أبو زيد
الكويت في ٨ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ
الموافق ١٣ مارس ٢٠١١م.

مدخل

(عن معالم الثورة والإمام الثائر)



مدخل
(عن معالم الثورة والإمام الثائر)

في هذا المدخل أحاول أن أسجل ما تسعفني به الذاكرة فيما يخص معالم الثورة المصرية، وعن أسباب اختيار الشيخ الإمام القرضاوي للحديث عنه دون بقية العلماء، وعن الثورة المصرية دون بقية الثورات، وعن الشيخ مع الثورة المصرية دون جهده مع الثورات الأخرى، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

ثورة أذهلت العالم:

إن ما جرى في مصر بداية من ٢٥ يناير ٢٠١١م الموافق ٢١ صفر ١٤٣٢هـ ـ ومن قبلها تونس، ومن بعدها ليبيا ثم ما جرى ويجري في اليمن والبحرين والسعودية والكويت وعُمان والمغرب وإيران والعراق، بنسب متفاوتة ـ كان من قدر الله تعالى وتدبيره الذي كتبه ودبره للأمة في هذا العصر، ومهما كتب الكاتبون، وقرض الشعراء، وعبر الأدباء، فلن يستطيعوا ـ بدون التاء ـ أن يصوروا المشهد كاملا من كل جوانبه؛ إذ إن الحدث أكبر وأوسع وأعمق من أن يصوَّر أو يعبَّر عنه، وإن المشهد العام بمشاعره وأحاسيسه وأخلاقه وشبابه ورجاله ونسائه وأطفاله لهو أكبر قصيدة تقال في هذه الثورة.

لقد كان حدثًا مذهلًا، وزلزالًا كبيرًا أذهل العالم، ووقف التاريخ عنده ليتشكل من جديد، بصناعة وصياغة هذه الأحداث المتلاحقة، بعد كل هذه العقود التي عاش فيها

الشعب المصري أسوأ فترات تاريخه على كل مستوى، وتأخرت مصر - والأمة العربية والإسلامية من ثَمَّ - في كل مجال بشكل لم يَسبق له مثيلٌ في تاريخها.

إن العقول وقفت مشلولة عن التحليل؛ إذ يعجز المرء عن مجرد ملاحقة المشهد أو متابعة أحداثه بجوانبه المختلفة، وبتطوره السريع، وآثاره «المباغتة»، وهذا من سنة الله في أخذ الظالمين، أن يأخذهم بغتة: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. الأنعام: ٤٤-٤٥. ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ الله بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾. الأنعام: ٤٧. ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾. الأعراف: ٩٥. ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾. الأنبياء: ٤٠. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. الشعراء: ٢٠١-٢٠٢. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. العنكبوت: ٥٣.

ثورة ربانية:

إن رؤية متأنية، ومتابعة دقيقة للمشهد كله - بأحداثه وتنسيقاته وتداعياته وتطوراته واختياراته وقراراته وآثاره اليومية - لا يمكن أبدًا أن تتجاهل أن يدًا عليا كانت تدبر لهذا المشهد، وعناية كبرى ترعى هذا التحرك، وإرادة قاهرة تهيئ له الأحداث والمواقف، ولطيفًا حكيمًا يأخذ بيده نحو تحرك واعٍ في كل خطوة وكل حركة، ورعايةً شاملة وحكمةً بالغة توفقه وتهديه إلى سواء السبيل.

والذي يدلك على ذلك عدد من الأمور:

١- أنه لم يكن أحد يتوقع أن تحرك يوم ٢٥ يناير سيتطور إلى أن يكون ثورة تنتهي بخلع النظام الحاكم، بل إن الإدارة الأمريكية قرّعت المخابرات الأمريكية كونها لم تتوقع ثورتي تونس ومصر، وكذلك فعل الكيان الصهيوني مع الموساد.

٢- قيم ومعاني التكافل والتراحم والإيثار كانت عفوية طوعية لم يدعُ إليها أحد، ولم يوجهها أحد، بل غمرت المشهد، وعمقت الإحساس بأهمية هذه القيم في مثل هذه الأزمات.

٣- أن الوعي الكبير والعالي بالشائعات والمكائد التي دبرت، واستجداء المشاعر الذي كان في خطابات الرئيس، كل هذا لم ينطل على الثوار، وإنما كان وعيهم أعلى من هذا كله.

٤- أنه لم تكن للثورة قيادة عليا، وإنما قيادات هنا وهناك، وهذا قد يفضي إلى التنازع والخلاف، ولكن لوجود قوة أعلى من الجميع ترعى وتدبر فقد كان المشهد يدًا واحدة على قلب رجل واحد، وعلى كلمة سواء.

٥- أن كل الحيل والخطط والمؤامرات التي دبرها الحزب الحاكم في مصر - من سحب لقوات الشرطة، وإطلاق للمجرمين من السجون للسلب والنهب وإلقاء الرعب والفزع في نفوس الناس، وإحراق مقرات أمن الدولة وأقسام الشرطة، وإطلاق الخيول والجمال فيما عرف بـ «موقعة الجمل يوم الأربعاء الدامي ٢ فبراير ٢٠١١م، واستخدام الأسلحة البيضاء ليلتها، بل الرصاص الحي والقناصة - كل هذه المكائد ردها الله إلى صدور من كادها، وجعلها في نحورهم، وعجل بها بزوالهم، فانقلب السحر على الساحر، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، فانكسروا وولوا الأدبار.

٦- أن الحملات الإعلامية المسعورة التي طالت كل من شارك في هذه الثورة، وبخاصة الحملات الشائهة التي أرادت تشويه حركة الإخوان لدى قطاعات شعبية ليست قليلة باستخدامها فزاعة للداخل والخارج، تبددت وانجلت بل وانعكست بفضل الصمود في الميادين، والبقاء والاستمرار، والإصرار العجيب على الثبات والبقاء الذي تكسرت على صخرته الصماء كلُّ هذه المؤامرات والمكائد، وهذا لا يتوافر لجمُوع متباينة فكرًا وتصورًا إلا بتوفيق الله تعالى ومشيئته.

أجل.. إن كل حدث من أحداث هذه الثورة بداية من يوم الخامس والعشرين، ثم تطورها إلى جمعة الغضب، ثم مكائد ومؤامرات النظام الحاكم، ثم موقعة الجمل، ثم جمعة الرحيل ثم المظاهرات المليونية بعد جمعة الرحيل أيام الأحد والأربعاء والجمعة، والزحف إلى مجلسي الشعب والشورى ومجلس رئاسة الوزراء، ثم جمعة الزحف إلى قصر العروبة ومبنى الإذاعة والتليفزيون، كل هذا يدل قطعا على أن بشرًا ـ مهما أوتي من الحكمة والعبقرية والذكاء وحسن التصرف وبعد النظر وسعة الأفق ـ لا يستطيع أن يسيرها ـ بجموعها واختلاف مشاربها وأطيافها ـ على هذا النحو، أو يطوِّرها بهذا الشكل، أو يأتي بثمارها على وَفق ما جرى، وهذا يؤكد على وجود البعد الرباني في قلب المشهد، وفي هذه الثورة من بدايتها إلى نهايتها.

ثورة قدوة ومعلِّمة:

لقد ذهل العالم كله حيال هذه الثورة النقية الصافية السلمية الحضارية الراقية البيضاء، التي كانت الأنظار كلها في أنحاء العالم تتداعى إليها، وترنو إلى ميدان التحرير، وتتعجب من سلوكها الراقي، وتندهش من حركتها المتحضرة، حتى رأينا تأثير هذه الثورة في كل بلد قامت وتقوم فيه ثورة شعبية، وتأثر الثورات التي تلت مصر بها؛

حيث ترديد نفس الشعارات والهتافات، وحتى تسمية بعض الميادين بميدان التحرير وساحة التحرير تيمُّنًا بميدان التحرير بالقاهرة، بل إن النموذج المصري الثوري أصبح عالميًّا؛ حيث رأينا صورًا لمظاهرات خرجت في ولاية «ويسكنسن» الأمريكية بسبب اعتراضهم على مشروع قانون يحد من اختصاصات النقابات العمالية بالولاية مكتوب على بعض هذه الصور: «FIGHTLIKE AN EGYPTIAN» أي «ناضل مثل المصري».

بل إننا قرأنا تصريحات عجيبة من قادة الغرب.

فهذا الرئيس الأمريكي، باراك أوباما يقول: يجب أن نربي أبناءنا ليصبحوا كشباب مصر.

وهذا رئيس فنزويلا، هوجو شافيز يقول: شعب مصر قدم درسا عبقريًّا في النضج السياسي والديمقراطي.

وهذا رئيس وزراء إيطاليا، سيلفيو برلسكوني يقول: لا جديد في مصر، فقد صنع المصريون التاريخ كالعادة.

وهذا رئيس وزراء النرويج، ستولتنبرج يقول: اليوم كلنا مصريون.

وهذا رئيس النمسا، هاينزفيشر يقول: شعب مصر أعظم شعوب الأرض، ويستحق جائزة نوبل للسلام.

وهذا رئيس وزراء بريطانيا، ديفيد كاميرون يقول: يجب أن ندرِّس الثورة المصرية في المدارس.

أما السي إن إن فقالت: لأول مرة في التاريخ نرى شعبًا يقوم بثورة ثم ينظف الشوارع بعدها.

والواقع أن هذه الثورة لم تدل على أصالة الشعب المصري ونقاء فطرته وصفاء معدنه فقط، بل كانت دليلًا وشاهدًا على أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها أقوى من كل شيء، وأصمد من كل فساد، وأبقى من كل عارض: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً﴾. البقرة: ١٣٨. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الروم: ٣٠. فما إن تزول العوارض، وينزاح الغبش، وينجلي الصدأ الذي تراكم بفعل الفساد المناقض للفطر السليمة والمناكف لها ـ حتى تتكشف الفطرة الأصيلة لهذا المخلوق العزيز على الله على حقيقتها، ذلك المخلوق الذي خلقه الله بيده، وسواه، ونفخ فيه من روحه، وكلفه وشرفه، وأسجد له ملائكته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾. سورة الحجر: ٢٧-٢٨. وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾. سورة الجاثية: ١٣.

ثورة أخلاقية سلوكية حضارية:

ومن المظاهر الأخاذة لهذه الفطرة السليمة ـ التي سبقت الإشارة إليها قبل قليل ـ ذلك السلوك الحضاري للمتظاهرين؛ حيث مع هذا الزحام الشديد الذي وصل ـ في كثير من الأوقات ـ إلى أنك لا تكاد تجد موضع قدم خالية في الميدان وفي الشوارع المؤدية إليه حتى امتدت الحشود إلى ميدان رمسيس... أقول مع هذا الزحام الشديد مع وجود الصغار والكبار، والنساء والرجال، والشباب والشابات المتبرجات والمحجبات، رأيتُ الآتي:

١ ـ التكاتف والتكافل الشامل بين المتظاهرين جميعا وسعة الصدر التي شملت الجميع للجميع.

٢ـ مشاعر التقدير من الصغير للكبير، وأخلاق الإكبار والاحترام من الرجال للنساء.

٣ـ لم نسمع أو نشهد حادثة تحرش واحدة في ميدان التحرير الذي كان مكانًا لهذا التحرش في المناسبات والأعياد، رغم الحشود الهائلة.

٤ـ الشباب الجميل والشابات الرائعات الكل يحرص على نظافة المكان، فتجد النساء تحمل أكياس القمامة وتدور على المتظاهرين لتجمع منهم القمامة، وتجد الجميع يحمل قماماته في يده لا يلقيها في الأرض منتظرًا من يمر عليه ليجمعها.

٥ـ الشوارع الجانبية تطوع لها شباب واعٍ لتنظيفها، وجمع ما فيها من مخلفات.

٦ـ تطوع كثير من الشباب بل الفتيات للتفتيش الذاتي لمن يدخلون الميدان؛ بحثًا عن المندسين والفاتنين الذي اكتشفوا منهم ـ مع قوات الجيش ـ الكثير والكثير، وبخاصة يوم الثلاثاء الأول من فبراير ٢٠١١م، وكنا نسلم من يتم ضبطه إلى الجيش، فلما علمنا أن الجيش يفرج عن كثير منهم صنعنا لهم سجنًا في الميدان هو أحد مخارج محطة مترو الأنفاق في الميدان، وأودعنا فيه ما يتجاوز الثمانين يوم الأربعاء الدامي.

٧ـ تطوع الكثير من أبناء ميدان التحرير بإحضار الطعام والشراب والمشروبات، ويقومون بتوزيعها حسبة لله وحبًّا في الناس.

٨ـ الوعي الكامل والمذهل للمتظاهرين فلا تنطلي عليهم إشاعة من الإشاعات، ولا يتجمعون بكثرة حول أحد المندسين ممن يريدون التخذيل والتثبيط ومعارضة المتظاهرين؛ حيث يتركونه بلا معارضة ولا جدال منصرفين إلى حيث التظاهر والاحتجاج والتركيز على المطالب المقصودة.

٩ـ التصميم والإصرار على إبقاء سقف المطالب عاليًا مهما طلع رئيس الجمهورية وقدم تنازلات عبر تصريحات أو بيانات أو تكليفات أو حتى كلمات يلقيها على شـعبه، يلعب فيها على وتر المشـاعر التي عرف الشـعب المصري بالاسـتجابة لها، بغض النظر عن صدقها أو كذبها.

١٠ ـ التلاحم المعجب والمذهل بين جميع الموجودين في الميدان بلا نعرات ولا تحـزب ولا انكفاء علـى الذات، بل الجميع منفتح على الجميع، والكل يسـعى لتحقيـق أهـداف محـددة ومطالـب معينة علـتْ علـى كل الانتمـاءات والآفاق الضيقة والحسابات المحدودة.

إننـي مهمـا كتبت عن السـلوك الحضاري لمتظاهـري ميدان التحرير ـ وهو مشـهد واحـد، وملمـح واحد من ملامحه ومشـاهده التي لا تحصى، كما أنـه مكان واحد من عشـرات الأماكن للمتظاهرين في مصر ـ فلن أسـتطيع أن أنقل ما في مشـاعري ولا ما في نفسي من تقدير وإعجاب وذهول لهذا الرقي، ولهذا السلوك الحضاري الذي علَّم العالم كيف تكون الثورات..!

ثورة من أجل المقاصد الإنسانية:

ومن معالم هذه الثورة المباركة لـم تكن إلا من أجل تحقيق كرامة الإنسان، والمطالبة بحقوقـه الأولية الإنسـانية، ورفع الظلم عنه، والرغبة فـي العيش الكريم بحرية وكرامة وعدالة، وهذه مقاصد عليا ومفاهيم تأسيسـية يتغياها الإسـلام من أحكامه وتشـريعاته كافة، بل توافقت عليها الإنسانية في كل عصورها، والأديان في كل تعاليمها.

وإذا كانت كليات المقاصد وضرورياتها تقوم على حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، والعرض، فإن أسباب الثورة الحقيقية كانت من أجل حفظ هذه المقاصد.

فأما الدين - أو قل التدين - فإنه لم يعد على المستوى المطلوب الذي يؤدي به ثماره، وتتحقق به مقاصده في حياة الناس وفي مجتمعهم، بعدما أصبحت المؤسسة الدينية الرسمية تعاني من هزال كبير، حتى صدق فيها قول الشاعر:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كلُّ مفلس

بالإضافة إلى سعيها - في كثير من الأحيان - في ركاب الرؤية العامة للنظام البائد، مع الاختلاف في قليل من التفصيلات، وخطاب المؤسسة الرسمية في مصر أثناء الثورة كان خير شاهد على ذلك.

وأما النفس، فأي إهدار حدث لها؟ وأي إهانة وأي إزهاق لها جرى؟ إننا لو توجهنا لمنظمات حقوق الإنسان في مصر والتي فاق عددها الثلاثين، وسألناها عن البلاغات التي قدمت لها بالموت والتعذيب في أقسام الشرطة ومقرات مباحث أمن الدولة، لأيقنا أن هذه الثورة قامت من أجل حفظ النفس من الإهانة والموت والتعذيب.

وأما حفظ العقل، فأي انتشار حدث لتعاطي المسكرات بكل أنواعها، وإعلان ذلك علنًا في دولة يقول دستورها إن دينها الرسمي هو الإسلام، وهذا أمر حسي، وأي تضليل يقوم به الإعلام الرسمي وقلب للحقائق وعليها وتزوير وتغييب للعقل المصري الجمعي، وهذا أمر معنوي، حتى كفر الناس بالإعلام الرسمي الذي هو مؤسسات دولية لا يجوز لها أن تسير في ركاب أحد، ولكن الأنظمة البوليسية تكرس كل شيء لخدمتها، وتغيب العقول عن الحقائق الواقعية.

وأما المال، فهل هناك - بعدما أعلن من نهب للمال العام وسرقة لحقوق الشعب وثروات طائلة كونتها مجموعة لا تتعدى نسبتها الـ «٥٪» من عداد الشعب - شكٌّ في أن النظام البائد أهدر «تريليونات» الدولارات، وسرق ونهب ما هو حق للبلاد والعباد؟

وأما العرض فلا أقل من نشر التحرش بين الناس، والهجوم على البيوت في أي وقت من ليل أو نهار دون مراعاة لحرمتها، والتماس التهم والعيوب في الأعراض والأموال للبرآء، حتى صار الناس لا يأمنون على أعراضهم في ظل هذا الحكم «البوليسي».

دعْ عنك الحديث عن المقاصد الشرعية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الكبرى التي توافقت عليها جميع الشرائع، وتواضعت عليها الإنسانية في كل عصورها وكل أماكنها، من عدالة وحرية وكرامة وشورى، ووقوف عند حرمة الإنسان.

وقل ذلك عن مستقبل الثورة المصرية المعَلِّمة والأخلاقية الرفيعة فإنها لن تتحرك إلا من أجل إقامة هذه المقاصد جميعا، وفي ضوء الحفاظ عليها، واستبقائها عزيزة كريمة سامقة شامخة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

فحفظ دين الناس وتدينهم لابد أن يؤدي ثماره في المجتمع، وفي بناء الإنسان عقديًّا وسلوكيًّا وخلقيًّا، وأن تترك للناس حرية أداء شعائرهم، وأن يمارس التدين بشكل صحيح يبني الحياة ويبني الإنسان، لا كما كان عليه الحال من خطاب رسمي مغلوط؛ يسعى في ركاب النظام، ولا يجرؤ على الصدع بالحق عنده إلا من رحم الله.

وحفظ المال في المستقبل يتشكل من استعادة ما نهب من أموال الدولة والشعب، ويعود إلى نصابه الصحيح، ثم تكون عدالة اجتماعية في توزيع موارد الدولة على الجميع ليسعد الشعب في ظل هذه العدالة التي هي من المفاهيم التأسيسية الكبرى للإسلام عقيدة وشريعة.

وحفظ النفس يتحقق بالحفاظ على حرمتها، وتقديرها، وتكريمها كما أراد الله لها، فلا تنتهك حرمة، ولا يسفك دم، ولا تزهق روح، ولا يكون شيء مما هو موثق في أقسام الشرطة ومقرات أمن الدولة البائسة والبائدة.

بالإضافة إلى إعادة صياغة الإنسان من جديد في ضوء هذه المقاصد سواء ما كان منها ضروريًّا أو عاليًا وتأسيسيًّا، وهذه مطالب مشروعة بل واجبة شرعًا، وفرض على كل إنسان أن يسعى لترسيخها وإرسائها والمطالبة بها والحفاظ عليها.

إن قراءة متعجلة للثورة المصرية المجيدة لا تخطئ أبدًا مشهد المقاصد الشرعية الإسلامية في ضرورياتها ومفاهيمها الكبرى، سواء في أسباب قيامها، أو في مستقبلها المنشود.

ثورة وطنية شعبية حقيقية:

ومن معالم هذه الثورة الرئيسة وخصائصها أنها ثورة وطنية، وشعبية، وحقيقية:

فأما أنها وطنية؛ فلأنها نبعت من داخل الوطن المصري لم يحركها أحد، ولم يكن وراءها يد خارجية كما أراد أن يروج الإعلام الرسمي؛ يفتري الأكاذيب ويروج الافتراءات، وإنما كانت ثورة على الظلم، وثورة على الخوف والجوع والفقر ونهب ثروات مصر؛ حيث تراكم هذا كله في نفوس الناس تحت الضغط الذي يزداد يومًا بعد يوم، حتى حان وقت انفجاره، فانفجر وتكسر في شكل ثورة نقية بيضاء شهد لها العالم كله بالرقي المذهل، والنضج الكامل، والوعي الشامل.

وأما أنها شعبية؛ فلأنها شملت كل طوائف الشعب المصري، فلم تقم بها النخبة، ولم يقم بها العسكر، ولم يقم بها الشباب، ولا الشيوخ، ولا الرجال ولا النساء ولا الأطفال، لم يقم بها أحد من هؤلاء وحدهم، وإنما كانت ثورة شعبية شاملة؛ حيث شملت كل الطوائف وكل الأعمار وكل الأطياف السياسية، وكل الطبقات في المجتمع المصري.

وأما أنها حقيقية؛ فلأن الشعب هو الذي قام بها؛ فالتغيير جاء من الشعب نفسه، لم تقم بها فئة وحدها، بل جاء التغيير من الداخل ومن جميع الطوائف فكانت ثورة

حقيقيـة لا زائفـة ولا شـكلية؛ فترتبـت كل المواقـف الداخلية والخارجيـة على مدى التحـرك الشـعبي، فاعترفـت بها كل الـدول الخارجيـة الكبرى، ورتبـت مواقفها على مكتسـبات هذه الثـورة وآثارها، وكذلك كل القـوى الداخلية في مصـر رتبت مواقفها على ما حققته الثورة؛ من سياسـيين وإعلاميين وصحافيين ومعارضين وموالين، وهذا يدل بشكل قاطع على أنها ثورة حقيقية.

ثورة أظهرت القدرة على التجديد والإبداع:

ومن معالم هذه الثورة التي رآها الجميع في الميدان، وفي شاشات الفضائيات أنها ثـورة أظهـرت القدرة على التجديد والابتـكار والإبداع، والذي قـوَّى هذا المعلم هي أجواء الحرية التي صاحبت الثورة، وبخاصة في ميدان التحرير، فالذي يدخل الميدان يشـعر أنه ولد من جديد، بمشاعر جديدة وبفكر جديد، وأسمى ما يشعر به هو الحرية، ففي ظل هذه الحرية يكون الإبداع والابتكار والاختراع..!

وكان الإبـداع علـى مسـتويات عـدة، منها: مسـتوى الهتافـات والشـعارات، وهو مسـتوى مهم من مسـتويات الإبـداع والتجديد في الثـورة؛ حيث كان الثـوار يبتكرون شـعارات جديدة يوميًّا تتناسـب مع الأجواء والأحداث والإنجازات، فما قبل التنحي يختلـف عمـا بعد التنحـي، وما قبل موقعة الجمـل يختلف عما بعدهـا، وهكذا، وهذا يحتاج لإحصاء وتحليل ليس هذا موضعه[1].

(١) تتبع هذا الأمر بالتحليل من الناحية اللغوية والمعجمية والاجتماعية والتاريخية الأستاذ الدكتور خالد فهمي في مقال بعنوان: «معجم شعارات الثورة.. خزينة الحكمة والوعي»، نشره موقع إخوان أونلاين بتاريخ: ١٤/ ٢/ ٢٠١١م، والدكتور نعيم عبد الغني في مقال له بعنوان: «شعارات التظاهرات ..نظرة في تشكيلة العقل المصري»، نشره موقع أدباء الشام بدون تاريخ.

ومستوى آخر من مستويات الإبداع وهو اللوحات والكلمات التي تكتب عليها؛ حيث شهدت هي الأخرى تطويرًا يوميًّا وتجديدًا مستمرًّا، وبأشكال متنوعة، فهذا يكتب، وهذا يرسم، وأحيانًا يمشي الفرد وهو يعبر عن حالة إبداعية، كذاك الذي ارتدى ملابس «حَكَم كرة»، وأخذ يصفر بيد، وبيده الأخرى «كارت» أحمر، إشارة إلى مطالبة مبارك بالخروج، أو كذالك الذي عرَّى نصف بدنه الأعلى، وكتب على جلده من الخلف: «ارحل بقه أنا بردان»..!

ومستوى آخر من مستويات الابتكار، وهو الرسم الفني، وكان هذا على الأرض؛ حيث أظهرت الثورة قدرات عالية في التعبير عن مطالب الثورة عن طريق هذا الرسم، فهذا رسمٌ بحجارة يعبر عن كلمة: «ارحل»، والكلمة مكتوبة بأكثر من خمس لغات، بالإضافة إلى الرسم على اللوحات المعلقة الثابتة، واللوحات المحمولة بالأيدي، وغير ذلك.

ومستوى آخر من مستويات الإبداع، وهو الغناء؛ حيث شهد الميدان أناشيد وطنية قديمة كتلك التي كانت تذاع في الميدان، وعرضتها قناة الجزيرة لعبد الحليم حافظ وأم كلثوم وسيد إمام، وهناك شباب أنشأ قصائد جديدة، وأخذ يغني للثورة، وهكذا.

والواقع أن هذا الإبداع والتجديد والابتكار كان عاملًا مهمًّا في تجديد المشاعر، وتثبيت الثوار، والتسرية عنهم في ظل اليقظة الدائمة والنوم القليل والطعام القليل والشراب القليل، فكان لابد من الترويح واللهو المباح لدفع السآمة، ومقاومة الملل، وتنشيط الهمم على البقاء والإصرار والاستمرار.

ثورة حصاد عقود وإن أطلق شرارتها الشباب:

من الحقائق المهمة في هذه الثورة الربانية أنها ينبغي أن تنسب للشعب بكل فصائله وطبقاته؛ فمن الظلم أن تنسـب فقط للشاب أو «الفيسبوك»، وإنْ فجروا شرارتها، لكن الثورة بعد يومين تحولت إلى شـعبية تمامًا؛ تماهتْ فيها كلُّ الأطياف، وانصهرت فيها كل الأفكار، وأصبح الجميع يدًا واحدة على كلمة سواء.

كمـا أنه من الحق أيضا أنها ليسـت وليدةَ ثمانية عشـر يومًا (منـذ ٢٥ يناير حتى يوم التنحـي ١١ فبرايـر/ ٢٠١١م) وإنمـا هي حصاد عقود طويلة من الاسـتبداد والفسـاد وحكـم الفرد والاعتقـال والمحاكمات العسـكرية للمدنيين، وإهـدار أحكام القضاء، وحرمان الشعب من حقوقه الأساسية، حتى طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، فما كانت إلا انتفاضةٌ عارمة وانفجارٌ شعبي كبير يصعب استيعابه أو وقفه إلا بتحقيق مطالبه.

إن كل إنسـان مصري حرم من حقه الطبيعي في الحياة شـارك في هذه الثورة، وكل فرد حرم من وظيفته الطبيعية شارك، وكل رجل غيب في السجون والمعتقلات شارك، وكل امرأة غُيب عنها زوجها وصبرت وحفظت نفسها شاركت، وكل عالم تحدث عن الفسـاد والمفسـدين والطغاة والمسـتبدين حتى لو كان من الأموات قبل الثورة شارك فيها، وكل فرد عايش الفقر المدقع والجوع الشـديد شـارك، وكل مرشـح زوِّرتْ ضده الانتخابات بأنواعها شارك.

بل لا أكون مبالغا إن قلت: إن الذين مارسوا الظلم والاستبداد والفساد ونهب ثروات البلد، وأخذ حقوق الأمة شـاركوا بقدر كبير في تفجير الغضب العارم، وإخراج المارد الجبار الذي أتاهم من حيث لم يحتسبوا.

كمـا أنـه من الظلم لهذه الثورة أيضـا أن تُقصَر على ميدان التحريـر، وإن صار علَمًا على الثورة ورمزًا لها؛ فما حدث في السويس أو الإسكندرية من البطولات والملاحم والصمـود يفـوق بكثير ما وقع فـي ميدان التحرير، وما حدث فـي كل محافظات مصر يجب إبرازه وتقدير دوره في الصحوة العامة التي حدثت للشعب المصري.

ثورة ميزت مواقف الحكومات والعلماء:

ومن فوائد هذه الثورة ومكاسبها أنها ميزت بين المواقف سواء كان على مستوى الحكومات أم الهيئات أم الأشخاص، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾. آل عمران: ١٧٩ . وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ الله فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. الأنفال: ٣٦-٣٧. وحين أتحدث هنا عن مواقف العلماء والحكومات فإنما أعني مواقفهم قبل التنحي، وليس بعده؛ لأن المواقف تغيرت تماما بعد التنحي؛ ولهذا لا تستوي المواقف قبل التنحي وبعده.

مواقف الحكومات:

تمايزت مواقف الحكومات في العالم إلى اتجاهات أربعة:

الاتجاه الأول: مؤيد ومُبارِكٌ للثورة، وهو موقف الحكومة التركية، وموقف إيران، فكان للحكومة التركية موقف واضح ومنحاز للشعب مبكرًا؛ حيث قال رئيس الوزراء أردوغان مخاطبًا الرئيس مبارك يوم الثلاثاء ٣١/ ١/ ٢٠١١م: «سيد حسني مبارك.. أريد أن أقدم توصية خالصة للغاية، تحذيرًا صريحًا للغاية... كلنا سنموت، وسنسأل عما تركناه وراءنا... نحن كمسلمين سنوضع في حفرة مساحتها لا تزيد على مترين مكعبين». وقال أردوغان: «استمع لصيحات الشعب ومطالبه التي تمس صميم الحق الإنساني... استجب لمطالب الشعب بالحرية دون تردد». أما موقف إيران فقد كان مباركًا ومؤيدًا، وداعيًا لقيام دولة إسلامية.

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه أغلب الحكومات العربية؛ حيث رأيناها تقف بشكل واضح لا يحتمل المواربة بجانب هؤلاء الحكام الطواغيت، ولا يمنع أن يزينوا بياناتهم بمعسول من القول وزوره من إرادتهم الاستقرار للبلاد والعباد، وسارعت وهرولت إلى إحداث إصلاحات سياسية ودستورية، وإلى الإغداق على شعوبها بالأموال والمعاشات والزيادة في الرواتب ونحو ذلك؛ رعبًا وفزعًا من أن يحل بشعوبها ما حل بالبلاد الأخرى، وخوفًا من أن يقع بهم ما وقع لإخوانهم من قبل.

الاتجاه الثالث: اتخذ موقفًا متلكئًا ومترددًا، ومثَّله الاتحاد الأوربي وأميركا فقد كانت مواقفهم وتصريحاتهم غير واضحة إلا في إبداء القلق على القتلى، والحق في التظاهر السلمي، بل ساند بعضها النظام المصري أول الأمر وأبدى الثقة في قوته، أما الموقف العام فقد ظل غير واضح حتى تم التنحي وعنده فقط أظهروا انحيازهم للثورة، وأبدوا استعدادهم للتعاون مع الشعب المصري، أملًا في حفظ مصالحهم في تلك البلاد.

الاتجاه الرابع: اتخذ موقفًا صامتًا لأسباب مفهومة في أغلب الأحيان، ومثَّل هذا الاتجاه: قطر، وسوريا، وحكومة غزة.

مواقف العلماء والدعاة:

لم يختلف مشهد العلماء والدعاة كثيرًا في اتجاهاته العامة عن مشهد الحكومات، فقد شهدت مواقفهم تزايلًا وتمايزًا كبيرًا، ويمكن تلخيص اتجاهاتهم نحو هذا الحدث إلى اتجاهات أربعة كذلك:

الاتجاه الأول: شارك في الثورة بقوة ونزل إلى الشارع وأعلن تضامنه الكامل معها، وهو ما قوبل بحفاوة بالغة من الثوار، ورفعوهم فوق الأعناق معتبرين إياهم قالوا كلمة الحق، وصدعوا به في وجه سلطان جائر، ومنهم: الشيخ حافظ سلامة، ود. صفوت حجازي، ود. جمال عبد الهادي.

الاتجاه الثاني: وقف وقوفًا واضحًا منذ البداية ضد الثورة؛ يحرم المظاهرات بدعوى أنها فوضى وفتنة وخروج على الحكام، وهو حرام بإجماع علماء أهل السنة، حسب رأيهم، ويفتي بجواز عدم صلاة الجمعة في أوقات الثورة، وينادي بعودة الشباب إلى منازلهم، ولزوم المساجد والدعاء، وممن يمثل هذا الاتجاه مفتي عام المملكة العربية السعودية، ومفتي الديار المصرية، والشيخ مصطفى العدوي، والشيخ محمود المصري، والشيخ محمد حسين يعقوب، والشيخ ياسر برهامي، وشيخ الجامع الأزهر.

الاتجاه الثالث: بدت مواقفه غير واضحة، إما بتصريحات متضاربة أو غامضة، ومنهم من ميَّع القضية، وحرص على أن يمسك العصا من المنتصف، ومنهم الشيخ محمد حسان.

الاتجاه الرابع: اختار الصمت تمامًا؛ فلم نسمع عنه تصريحًا سواء بالتأييد أو الرفض، ومنهم: د. عمر عبد الكافي، وأبو إسحاق الحويني.

موقع القرضاوي على خارطة العلماء والدعاة:

أما شيخنا الإمام الرباني العلامة يوسف القرضاوي فيمكنني باطمئنان أن أضعه في طليعة الاتجاه الأول الذي أيد الثورة، بل شهد لحظات ميلادها الأولى في ميدان التحرير يوم الثلاثاء ٢٥ يناير، وبعد ذلك كانت لبياناته القوية، وخطبه النارية، وتصريحاته الثورية، دور كبير في هذه الثورة؛ حيث لم يكد يَسمع الثوَّارُ في ميادين الثورة وأنحاء مصر ـ وأنا شاهد عيان على ذلك ـ خطابًا شرعيًّا قويًّا وواضحًا ومؤثرًا ومعبرًا ومغيرًا، ويتطلعون إليه، كما كان الحال مع إمامنا القرضاوي، حتى ختم المشهد وكلل جهوده بخطبته المزلزلة التي عرفت بخطبة النصر في ميدان التحرير ١٨ فبراير ٢٠١١م.

وهذا ليس تعصبًا للشيخ الإمام ـ شهد الله ـ وإنما هو تقدير لدوره، وإحقاق للحق، وإنزال لخطابه ودوره في مكانه الصحيح، وهذا من الإنصاف الذي أمرنا به الإسلام، ولا يمنع هذا من مخالفة الشيخ في بعض المواقف، أو مناقشته في بعض الآراء مثلما أوردتُ في آخر حديثي عن منطلق «رعاية فقه الموازنات» حول حديثه عن فتح معبر رفح، والصلاة في المسجد الأقصى في «جمعة النصر».

لماذا القرضاوي دون غيره؟

وربما يقول قائل: لماذا خصصت الشيخ يوسف القرضاوي دون غيره بالدراسة والتحليل؛ رغم أن هناك علماء كثيرين نزلوا الميدان، وقادوا الجماهير، وحمَّسوا الثوار، وردوا الشبهات التي تثار في قلوب الناس وعقولهم؛ واقعيًّا وليس فضائيًّا وإعلاميًّا؟

وأبادر فأقول: نعم، كانت هناك أدوار تذكر فلا تنكر، وتشكر فلا تكفر لعلماء ودعاة كثيرين، وكانوا في الميدان بين ظهراني الثوار: ومنهم: الشيخ حافظ سلامة الذي قاد الثورة في السويس حيث كانت من أشد المحافظات بأسًا وضراوة ثم وصل إلى ميدان التحرير وقضى فيه بعض الوقت، ودوره الاجتماعي والمالي مع أسر الشهداء فيما بعد، والشيخ أحمد المحلاوي الذي عبَّأ الجماهير بخطبه في محافظة الإسكندرية، والدكتور جمال عبد الهادي الذي كان دائمًا وسط الناس في ميدان التحرير يخطب فيهم ويدعو بهم، والدكتور محمد سليم العوا الذي كان حاضرًا في الميدان وألقى عددًا من الكلمات، والشيخ محمد عبد المقصود الذي أتى للميدان على كرسيه المتحرك، وكان لحضوره وتأييده للثورة والشيخ نشأت أحمد وأشرف عبد المنعم أثر في رد الشبهات عن المتظاهرين؛ حيث أرسلوا بحضورهم رسائل إيجابية للتيار السلفي خارج الميدان بشكل عام، والشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل الذي قاد حملة توعية للمتظاهرين من الناحية الشرعية والإصلاحية بين الناس، والدكتور صفوت حجازي الذي كان له دور كبير في قيادة هذه

الثورة واستمرارها وتطورها، ومحمد رفاعة الطهطاوي ـ المتحدث باسم مشيخة الأزهر ـ الذي قدم استقالته من منصبه وانضم للثوار، والدكتور صلاح سلطان الذي شارك قبل التنحي بيوم واحد، وخطب جمعة الزحف، فألهب مشاعر الثوار في ميدان التحرير؛ حيث كانت فيه أكثر من صلاة، وخطب جمعة النصر بعد ذلك في المنصورة، والدكتور وجدي غنيم الذي تحدث في رسائل فيديو نشرت على موقع «اليوتيوب»، و«الفيسبوك» يحمس فيها الثوار، ويرد فيها على بعض الدعاة المعارضين للثورة، ويبين جرائم النظام الحاكم، والدكتور أحمد الريسوني الذي أصدر بيانات وتصريحات قوية مؤيدًا الثورة وضد النظام الحاكم في مصر، والدكتور عوض القرني الذي كان يرسل رسائل تحمّس الثوار وتحذر من سرقة الثورة، والثلاثة الأخيرون خارج مصر، وغيرهم كثير.

لكنني خَصَصْتُ القرضاوي بالحديث لعدة اعتبارات:

أولها: أن دوره كان شاملًا مع الثوارت عامة، وثورة مصر على وجه الخصوص، رغم قوة موقف الشيخ راشد الغنوشي مع ثورة تونس، وقوة وصلابة وخطورة ومغامرة موقف العلامة الصادق الغرياني في ثورة ليبيا، وموقف عبد المجيد الزنداني في اليمن، فمشاركة القرضاوي أشمل؛ حيث أيد ثورات: تونس ومصر وليبيا، وغيرها، وأرسل رسالة عامة لحكام العرب في خطبة النصر، ومن قبلها خطبة التنحي، ألا يتحدَّوُا الأقدار؛ فلن يستطيعوا تأخير طلوع النهار...

ثانيها: أن خطابه كان قويًّا ورصينًا ومواكبًا للحدث وشاملًا؛ حيث تلقاه الثوار في مصر وتونس وليبيا بقبول حسن، وكانوا يتطلعون إليه ويعملون به.

ثالثها: أنه أصدر لثورة مصر بيانين (بيان لشعب مصر العظيم، وبيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين)، وخطب ثلاث خطب (خطبة جمعة الرحيل، وخطبة جمعة التنحي، وخطبة جمعة النصر)، ووجه عددًا من التصريحات عبر قناة الجزيرة الإخبارية، وقناة الجزيرة مباشر.

رابعهـا: أن خطابـه لثـورة مصر ـ بيانـاتٍ وخطبًا وتصريحاتٍ ـ حمَّس الثوار، وهز العالم، وأرعب إسـرائيل، وكان له من الآثار ما لـم يكن لغيره، وهذا مقتضى المرجعية العلمية والشرعية والعُلمائية التي يمثلها القرضاوي؛ علمًا ومكانة وسنًّا وانتشارًا.

ولماذا القرضاوي وثورة مصر دون غيرها؟

وقـد يقـول قائل أيضًا: لماذا خصَصْتَ الحديث عن دوره في ثورة مصر دون غيرها من الثورات؟ ألم يؤيد القرضاوي ثورة تونس، ويقف موقفًا مشـهودًا معها، وكانت له تصريحـات وبيانـات، ثم ألم يكن له تصريحات وخطب قوية فـي ثورة ليبيا حتى أفتى للجيـش الليبـي بضرورة التخلص من الرئيـس معمر القذافي سـواء بالتنحية أو القتل، وأهدر دمه، وكانت دعواته لله تعالى قوية ومؤثرة؟.

وأبادر كذلك فأقول: نعم، تسـتحق ثورة تونس أن يُكتـب عنها، وكذلك ثورة ليبيا، ولكـن مصـر لها وضع خاص ومكانة خاصة عند الشـيخ الإمام؛ فهـو مصري، ولد في مصر ونشـأ بها وعـاش فيها زمنًا ليس قصيرًا، وكان أحد الذيـن طالهـم ظلم هذا النظام الفـردي العسـكري الذي ابتليـت به مصر منذ ثـورة يوليو عـام ١٩٥٢ م، وكانت مصر دائمًـا ـ بعدمـا خرج منها إلى قطـر ـ تعيش بداخله، يتحدث عنهـا، ويتألم لها، ويعيش مشكلاتها وهمومها، ويحيا آمالها وآلامها، فلم تغب مصر عن وجدانه يومًا ما، ولا في محاضرة من المحاضرات، أو ملتقى من الملتقيات.

وأيضًـا لأن خطابـه مع الثـورات الأخرى لا يختلـف كثيرًا في منهجيتـه ومرتكزاته عـن ثـورة مصـر، اللهـم إلا ما جـاء مـن إهـدار دم القذافي، وهـو تطور فـي الخطاب يحتـاج لتفصيـل وتوضيـح منـه حتـى لا تكون له مـآلات لا تحمد، سـواء فـي الواقع أو المستقبل.

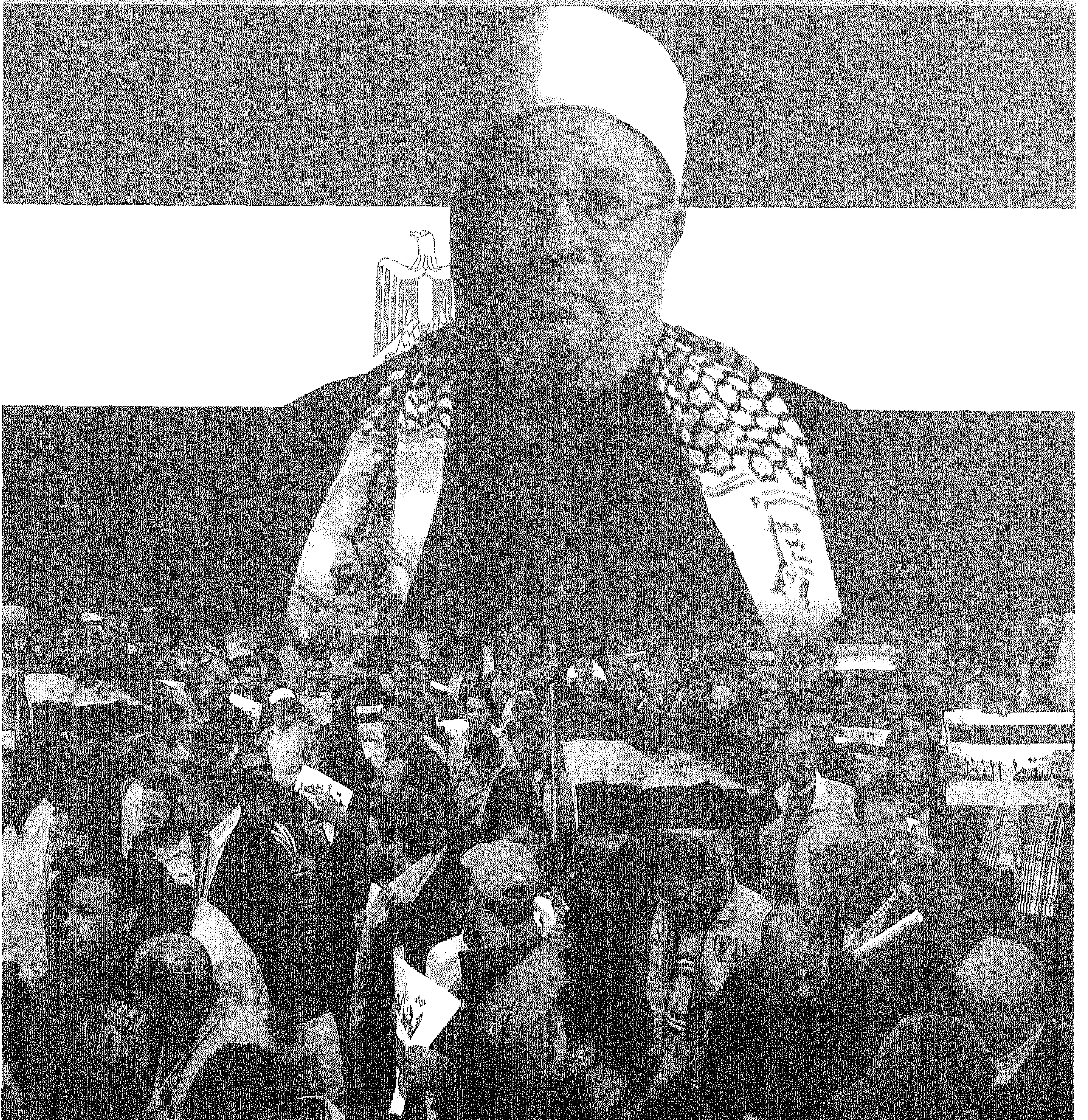
وكذلك لما لمصر من مكان ومكانة تختلف عن غيرها من البلاد التي قامت فيها ثورات مماثلة؛ فالتاريخ ينبئنا أن مصر هي قاطرة العرب، وأم المشرق، وقلب العالم الإسلامي، وقبلة الثقافة العربية والإسلامية، فما إن يحدث فيها تغيير إلا يكون له تأثير على من حولها من البلاد، بل على بلاد العرب وبلاد المسلمين جميعًا، وتأثير ثورة مصر على الثورات الأخرى خير دليل وأقرب شاهد.

ولهذه الأبعاد ـ وغيرها ـ رأينا الإمام القرضاوي أكثر حماسة، وأعظم تجاوبًا، وأدق مشاهدة للأحداث ومتابعة لتطورها، وأغزر حديثًا وكتابة وكلمات للفضائيات، وهذا لا يقلل من دوره في الثورات الأخرى، ولا يقلل من دور العلماء الشجعان الآخرين الذين قاموا بأدوار كبيرة في ثورة مصر وفي ثورات أخرى، كما أنه لا يهوِّن من شأن البلاد التي قامت فيها ثورات مشابهة؛ ولهذا لم يخلُ هذا الكتاب من إشارات إلى ثورات أخرى، أو علماء آخرين مع بلاد أخرى.

الفصل الأول

المنطلقات الشرعية لخطاب القرضاوي

في الثـــورة



تأتـي أهمية الحديث عـن المنطلقات الشـرعية التي انطلق منها الإمـام القرضاوي فـي حديثه عـن الثورة المصرية لوضـع يد القارئ علـى أبعاد هذا الخطـاب، ومعالمه الشـرعية، وبيان السـر في قوته، ومقومـات تأثيره التي جعلت له هـذا التأثير القوي في الثوار، وأحدثت له هذا الصدى الواسع داخليًّا وخارجيًّا.

وجاءت المنطلقات في عشرة، هي:

المنطلق الأول: نصوص القرآن والسنة.

المنطلق الثاني: الوعي بفقه السنن الجارية.

المنطلق الثالث: الوعي بفقه الواقع والإحساس به.

المنطلق الرابع: رعاية فقه المقاصد.

المنطلق الخامس: رعاية فقه المآلات.

المنطلق السادس: رعاية فقه الموازنات.

المنطلق السابع: التشاور مع أهل الذكر.

المنطلق الثامن: استلهام دروس التاريخ ودور العلماء الربانيين.

المنطلق التاسع: رد الشبهات وتفنيدها.

المنطلق العاشر: نقد المتخاذلين وعلماء السلطة.

وجاء الحديث عن كل منطلق في تأصيل مبينٍ أهميته في تحقيق الخطاب لأهدافه، وبلوغه لغاياته، ومستشـهدًا من بيانات الشيخ وخطبه وتصريحاته لكل منطلق من هذه المنطلقات.

المنطلق الأول
نصوص القرآن والسنة

مـن البدهيات أن يكون منطلق أي خطاب شـرعي سـواء كانت فتـاوى أم خطابة أم كتابـة أم حديثا، هو النصوص الشـرعية من كتابة وسـنة صحيحة، وإلا لـم يكن خطابًا شرعيًّا، بل كان صيحة في وادٍ، أو نفخة في رماد.

ولقـد اتخـذ الإمام القرضـاوي القـرآن الكريم والسـنة النبوية الصحيحـة مصدريه الأساسـيين، كمـا هـو الحال عنـد علماء الإسـلام على مـر العصور، والـذي ينظر في اجتهاداته وفتاواه وكتبه يجده يسـتدل أولا من القرآن ثم من السنة الصحيحة، ثم بباقي الأدلة الأصولية المتفق عليها والمختلف فيها.

بل إنه كتب عن القرآن والسنة كتابات، وقدم في فقههما ما يمكن أن يعتبر «تجديدًا» في البابين، وحسبنا عناوين كتبه: «المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة»، و»كيف نتعامل مع القرآن العظيم»، ورسالة صغيرة بعنوان: «كيف نتعامل مع القرآن»، و»كيف نتعامل مع السـنة معالم وضوابط»، و»مدخل لدراسـة السـنة النبوية»، و»السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة».

ومـن مقومات صحة خطاب القرضـاوي وتأثيره في الثـورة المصرية ـ وغيرها من الثـورات ـ أنـه جعل القـرآن حاكما على السـنة، أو جعـل القرآن هو المصـدر الأول،

والسنة المصدر الثاني، فلا تحكم السنة على القرآن وإنما القرآن هو الحاكم على السنة وأصلها وأبوها؛ ولهذا قال الإمام الشاطبي عن القرآن الكريم: «إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول، فإن كان قادرًا على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا؛ فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة»[1].

فوضْعُ الإمام الثائر للقرآن في موضعه وللسنة في مرتبتها التالية للقرآن جعله ينجو مما وقع فيه كثير ممن تسربل بنصوص نبوية صحيحة شريفة قدموها على القرآن الكريم أو فهموها بمعزل عن القرآن وكلياته القاطعة في مقاومة الظلم وعدم الركون ـ مجرد الركون ـ إلى الظالمين والطغاة والفراعين؛ فأرجعوا الحالة التي وصل إليها الواقع إلى ذنوب الناس ومعاصيهم، وأن الحل يكمن في العودة إلى البيوت أو الجلوس في المساجد لمزاولة الدعاء؛ أن يرفع الله عنا ما نحن فيه!!

وإن نظرة واحدة في بيانات الشيخ وخطبه وتصريحاته يتبين لنا من خلالها هذا الكم الهائل من الآيات القرآنية التي غذى بها خطابه فجعلت له قوة وتأثيرا بالغين في نفوس الثوار، ومن هذه الآيات:

- ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ القصص: ٦

(١) الموافقات: ٤/ ١٤٤. بتحقيق مشهور آل سلمان. الطبعة الأولى. ١٩٩٧م.

- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ(٤٢)﴾. القصص: ٤٠-٤٢

- ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١

- ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾. الرعد: ١٧

- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾. القصص:٨

- ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ الأنفال:٢٥

- ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. الزخرف: ٥٤.

- ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. هود: ١٠٢

- ﴿إِنَّ أَجَلَ الله إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. نوح: ٤

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق:٣٧

- ﴿لَا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ النساء: ١٤٨

- ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله﴾ الأحزاب:٣٩

- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إبراهيم:٤٢

- ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء:٢٧٧

- ﴿إِن يَنصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ آل عمران: ١٦٠

- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾. القصص: ٤

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦

- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. غافر: ٦٠

- ﴿وَاسْأَلُواْ الله مِن فَضْلِهِ إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. النساء: ٣٢

- ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. الممتحنة: ٤-٥

- ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ الله لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ﴾. سورة محمد: ٤

- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. النساء: ٩٣

- ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢

- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الحج: ٤٦

- ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. التوبة: ١٠٥

- ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. يونس: ٥٨

**** أمـا نصوص السـنة النبوية القاطعة والواضحة والكاشـفة عـن الواجب في مثل هـذا الموقـف فقد أورد منها الشـيخ الإمام عـددا كبيرا مما أيد به آيـات القرآن الكريم، ووضحهـا بـه وبينهـا كذلك ـ سـيأتي تخريجه فـي مواضعه من نصوص الشـيخ ـ ومن ذلك:**

- «لَعَـنَ رَسُـولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ ثَلَاثَةً رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَـهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ».
- «عَـنْ عَبْـدِ الله بْـنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللـه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَالَ عُذِّبَـتْ امْـرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَـتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًـا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَـالَ فَقَالَ وَالله أَعْلَمُ لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».
- «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».
- «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ».
- «عَـنْ ابْـنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُـولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».
- «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لـم يسـتطع فبلسـانه، فمن لم يسـتطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».
- «مـا من نبي بعثه الله فـي أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسـنَّته، ويتقيَّـدون بأمره، ثم إنـه تخلف من بعدهـم خلوف، يقولون مـا لا يفعلون، ويفعلـون ما لا يؤمرون، فمَـن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسـانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل».

- «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

- « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

- «خير أمرائكم أو أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم».

- «ثلاثةٌ لا تُردُّ دَعوتُهُمْ: الصَّائِمُ حتَّى يُفطِرُ، والإمامُ العادلُ، ودعوةُ المظلومِ يرفعها الله فوقَ الغمامِ ويَفتحُ لها أبوابَ السَّمَاءِ، ويقولُ الرَبُّ وعزَّتي لأنصُرنَّكَ ولو بعدَ حينْ».

- «أعاذك الله يا كعب بن عجرة من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون علي حوضي، يا كعب بن عجرة، الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان - أو قال: برهان».

- «إن الله ليملي للظالم حتى أخذه لم يفلته».

- «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه».

- «مَن قتل دون دينه فهو شهيد، ومَن قتل دون دمه فهو شهيد، ومَن قتل دون أهله فهو شهيد، ومَن قتل دون ماله فهو شهيد».

** إن هذه الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، لتؤكد على معنى واحـد ومفهـوم واحد، وهـو مقاومة الظلـم، وإنكار المنكر بالمسـتطاع من الوسـائل والكيفيات المشروعة، بل تدخل الصامتين عن الحق والراضين بالظلم، والراكنين إلى الطغاة والمستبدين، والمستحلين دماء الأبرياء الأطهار، والمستبيحين أعراض البرآء - تدخلهـم في دائرة الملعونيـن المعذبين الذين لا يرون الجنـة ولا يردونها ولا يجدون ريحها.

هـذا التمكـن مـن النصوص الشـرعية، وفهمهـا على وجههـا الصحيح مـع الوعي بمراتب الأعمال واسـتبصار الواقع والتنزيل الواعي للأحكام الشـرعية عليه - سيأتي الحديث عن ذلك - ورد متشـابهها إلى محكمها، وفروعها إلى أصولها، ومجملها إلى مبيَّنها هو الذي ألهم الشيخ ووفقه إلى التعبير الصحيح عن حكم الشرع في هذه النوازل المعاصـرة الكبيرة، ولم يقع فيما وقع فيه الكثيـرون من التلبيس والتدليس فضلا عمن يبيعون دينهم بدنيا غيرهم، ممن يسميهم الناس علماء السلطان.

المنطلق الثاني

الوعي بفقه السنن الجارية

ومـن المنطلقات المهمة التي انطلق منها الخطاب الشـرعي للشـيخ الإمام: الوعي بسنن الله الجارية التي أودعها في كونه وفي خلقه، والتي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول: ﴿ سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا﴾. الأحزاب:٦٢. ﴿ فَهَلْ يَنْظُـرُونَ إِلَّا سُـنَّةَ الْأَوَّلِيـنَ فَلَـنْ تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللـه تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللـه تَحْوِيلًا﴾. فاطر: ٤٣. ﴿سُنَّةَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا﴾. محمد: ٢٣.

وهـذه النظرة الكبرى في سـنن الله تُمَكِّن الفقيه والعالم من رؤية الأحداث بشـكل حقيقـي، كمـا تخوِّل له توقُّع المسـتقبل، وما سـيترتب عليـه من آثار، وهـذه النظرة لا يؤتاها أي أحد، ولا تتسـنى لكل عالم، وإنما تتوفر لمن اسـتوعب روح الشرع ومبادئه ومقاصـده وكلياتـه، وهذا إنما يكون من خـلال فروعه وجزئياته، والنظـر في التاريخ، والإفادة منه عبر العصور.

ولهذا قال في أكثر من مقام؛ في بيانه للشعب المصري العظيم، وفي أكثر من خطبة، وفـي حديثـه عن ثورات أخـرى: «إن للظالـم نهاية، وقـد حانت النهايـة، وهبت رياح التغيير، وإذا هبت رياح التغيير من الشـعب فإنه لا يسـتطيع أحد أن يوقفها، لن يستطيع أحـد أن يوقف التاريـخ، أو يناطح المريخ، أو يحارب الأقـدار، أو يؤخر طلوع النهار، «إن اللـه ليملي للظالم حتى أخذه لـم يفلتـه»، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ

ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. هود: ١٠٢. إن الله يمهل ولا يهمل، ويملي، ولكنه وضع لكل شيء حسابا وأجلا مسمى: ﴿وإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾. نوح: ٤. وهي الكلمات نفسها التي قالها أيضا على فضائية الجزيرة منتصف الليل يوم الأحد ٢٠ فبراير ٢٠١١م في كلمته التي وجهها للشعب الليبي ورئيسه.

وقال في جمعة الرحيل عن الحكام: «إنهم لا يفهمون منطق الشرع ولا منطق العصر، كما قال شوقي حينما اكتشف قبر توت عنخ آمون الفرعون القديم وكان فيه كنوز أذهلت العالم، أنشأ شوقي قصيدة معروفة يخاطب الفرعون:

زمان الفرد يا فرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

هذا ما قاله شوقي من حوالي ٨٠ سنة.. قال له زمان الفرد انتهى، ولكن هؤلاء لا يعرفون العصر ولا منطق الشرع، أرادوا أن يستمروا رغم أنف الشعب».

بل إن الشيخ بلغ به الأمر ـ من إيمانه بآيات الله، ويقينه بسنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل ـ أن أقسم في جمعة التنحي في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ١١ فبراير ٢٠١١م قائلا: «كلمتي إلى هذا الشباب أن يثبتوا في مواقفهم، أنا أقسم أنهم منتصرون؛ لأن سنة الله تأبى غير ذلك، لا يمكن لهذا الشباب المضحي الصابر المصابر المرابط أن تذهب جهوده سدى ... سنة الله أن للباطل ساعة، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة... المظلوم لابد أن ينتصر، والظالم مهما طغى وبغى واغتر بإمهال الله له لابد أن يأخذه الله أخذا أليما شديدا ... هؤلاء الظلمة لابد أن يزولوا، هؤلاء الطغاة لابد أن يذهبوا، لا يريدهم أحد، فقدوا معية الله ونصرة الله، وفقدوا نصرة الشعب، وفقدوا نصرة الجيش، وفقدوا نصرة السماء والأرض،.... أوصي شباب ميدان الشهداء أو ميدان ثورة الخامس والعشرين من يناير، أوصيهم أن يثبتوا على مواقفهم... ليظل

هؤلاء الشباب على قول لا، لن نرجع إلى بيوتنا إلا إذا حققنا هدفنا، وسيحققون هدفهم؛ لأن الله معهم، وملائكته معهم، وكل العرب والمسلمين معهم، وكل أحرار العالم معهم، فلن يخذلهم الله أبدا. سنة الله أن بعد العسر يسرا، وبعد الليل فجرا، لا يمكن أن يستمر الظلم، وإلا فأين ربوبية الله للعالم؟ ... يا شباب مصر أنتم المنصورون ... أنتم جند الله، لأنكم تدافعون عن الحق ضد الباطل، وتدافعون عن العدل ضد الظلم، وتدافعون عن الصلاح ضد الفساد، وتدافعون عن الخير ضد الشر، ومن كان كذلك لابد أن ينصره الله عز وجل».

وقال في كلمته لقناة الجزيرة الإخبارية مساء اليوم نفسه بعد التنحي: «لم يكن معقولا أن ينتصر الباطل على هذا الحق، لم يكن معقولا أن ينتصر الطاغية على الشعب، الشعب أقوى، والشعب أخلد؛ ولذلك كنت مطمئنًا كلَّ الاطمئنان؛ حتى إنني في خطبة الجمعة اليوم أقسمت - والقسم ليس شيئًا هينًا - ولكن الله ألهمني أن أقسم بأن هذا الشباب سينتصر، وعن قريب، وتحقق النصر في نفس اليوم، هذه سنة الله عز وجل، الباطل له جولة، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، فأنا أهنئ هذا الشباب، وأهنئ مصر كلها، وأهنئ بلاد العرب، وأهنئ بلاد المسلمين، وأهنئ أحرار العالم، وأهنئ الجزيرة، الجزيرة أهنئها؛ لأنها قامت بدور عظيم في بيان الحقائق، وكشف الأباطيل.... أنا أظن أن مصر كلها خرجت من بيوتها، هذه ليست ثورة الآلاف، هي ثورة الشعب المصري كله، بكل أطيافه بكل فئاته: مسلميه ومسيحييه، وفقرائه وأغنيائه، ورجاله ونسائه، ومثقفيه وأمييه، كل الشعب قال «لا» لهذا الطاغية، هل يمكن أن يُخذَل هذا الشعب، وينصر الله الباطل؟ سنة الله تأبى ذلك، البقاء للأصلح، والبقاء للحق: ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾. الرعد: ١٧.

وقال في كلمته نفسها: «أنا كنت واثقًا أن هذا الشباب الثائر الطاهر الباذل المضحي لابد أن يجني الثمرة، ثمرة الشهداء الذين سقطوا برصاص أولئك الذين لا يخشون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا، هذا الشباب كان لابد له أن ينتصر».

وقال في جمعة النصر ١٨ فبراير من ميدان التحرير؛ مبينًا موجبات هذا النصر وأسبابه: «أول من أهنئ، أهنئ هذا الشباب الذين ظن بعضهم أنه لن ينتصر، وأنا في الخطبة الماضية أقسمت على المنبر، أقسمت بالله العظيم أن هذه الثورة ستنتصر، وأن هذا الشباب لن يُخذل أبدا؛ لأني أومن بسنن الله التي لا تتخلف، أومن بوعد الله الذي لا يكذب أبدا، وقد وعد الله بنصر المؤمنين ووعد الله بإظهار الحق على الباطل ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١. لا يمكن أن ينتصر الباطل على الحق، للباطل ساعة ولكن دولة الحق إلى قيام الساعة، «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ». الرعد: ١٧ .كان لابد لهذه الثورة أن تنتصر، وأن ينتصر أبناؤها المؤمنون على ذلك الطاغوت، على ذلك الفرعون الذي هدد وتوعد، ولكن مصر حينما تؤمن قالت لفرعون الذي قال لهم «آمنتم له قبل أن آذن لكم»، وهكذا قال فرعون: أَثُرْتُمْ قبل أن آذن لكم بالثورة! لا يجوز للعقول أن تقتنع، ولا للقلوب أن تؤمن، ولا للجوارح أن تتحرك إلا بتصريح من فرعون، ثُرتم قبل أن آذن لكم بالثورة، آمنتم له قبل أن آذن لكم،.. إن مصر حينما آمنت قالت لفرعون متحدية: «لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض»، انظروا إلى الإنسان حين يؤمن والإنسان قبل أن يؤمن، السحرة الذين جمعهم فرعون من كل أنحاء مصر ألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، وقالوا لفرعون: (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذن لمن المقربين) فيه فلوس ومناصب ومنافع كثيرة، ماذا قال هؤلاء المصريون الأصلاء حينما آمنوا وظهر لهم الحق، «قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى».

هذه مصر حينما تؤمن؛ ولذلك رأينا هؤلاء الشباب من أنحاء مصر من كل الطبقات: أغنياء وفقراء ومتعلمين وأميين وعمالا ومثقفين من كل الطبقات، وإن كانت الأكثرية من المثقفين ومن المتعلمين، لا توجد فوارق بينهم.. أصبحوا قد صهروا في بوتقة واحدة: مسلمين ومسيحيين، وراديكاليين ومحافظين، ويمينيين ويساريين ورجالا ونساء وشيوخا شبابا، كلهم يعملون من أجل مصر، وتحرير مصر من الظلم والطاغوت.

وكان لابد لمصر أن تتحرر؛ لأن هذا الشباب أراد، وإذا أراد الشباب فإرادته من إرادة الله، كنا نحفظ من قديم شعر أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

وكان يقول بعض الناس هو القدر يعني تبع الناس؟ نعم، الله تعالى يقول: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، غير ما بنفسك يغير الله حالك وما بك، فتغير الشعب فغير الله ما به، صبر الشعب وبذل وضحى وأصر، لقد نزع منه الخوف، كان الفراعنة من قديم يخوفون الناس، وينتصرون بالرعب يقذفونه في قلوب الناس، ولكن الناس لم يبالوا بفرعون ولا بهامان ولا بأمن الدولة ولا بالتعذيب ولا بالجمال وبالبغال والخيول ولا بالقناصين، ولا بشيء من ذلك كله، وأصروا، أصر الشعب وأصر الشباب، شباب الثورة، على أن يستمر وحقق الله آماله، وحقق الله أهدافه، تهنئتي لهذا الشعب، تهنئتي لهذا الشباب، الشباب الثائر الذي أود أن أقبل أيديهم واحدا واحدا؛ لأنهم رفعوا رؤوسنا بما حققوا ، بما صبروا وصابروا ورابطوا، هؤلاء الشباب الذين صنعوا هذه الثورة، وضربوا للناس المثل العليا، أنا أعتبرهم كأنهم الأنصار الذين وصفهم الله في كتابه بقوله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الأنصار الذين وصفوا بأنهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع، الذين كان يضحي بعضهم من أجل بعض، يجوع أحدهم ليشبع أخوه .. يتعب أحدهم ليرتاح أخوه، يسهر أحدهم لينام أخوه، يؤثره بالفراش والطعام والشباب».

بل وجه في خطبة النصر كلمة إلى الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية جميعا[1]، فقال في خواتيم خطبته: «أقول كلمة للأنظمة الحاكمة في البلاد العربية، أقول لهم: لا تكابروا، لا تناطحوا المريخ، ولا توقفوا التاريخ، لن يستطيع أحد أن يحارب الأقدار، ولا أن يؤخر النهار، إذا طلع، الدنيا تغيرت والدنيا تطورت، والعالم العربي تغير من داخله، فلا تقفوا أمام الشعوب، حاولوا أن تتفاهموا معها، لا تضحكوا عليها، لا تحاولوا أن تأخذوها بالكلام الفارغ، الشعوب لا يمكن أن تسكت، حاوروها محاورة حقيقية، حاوروها في العمل البناء الذي يضع الأشياء في مواضعها، ويحترم عقول الناس، ويحترم عقول الشعوب، هذه رسالتي إلى حكام العرب».

هكذا كانت النتيجة حينما ضحى الثوار، وهكذا كانت السلعة التي هي النصر حينما دفع الشعب الثمن، وما أغلاه من ثمن دفعوه من أرواحهم ودمائهم وراحتهم، وهكذا كان الإمام الثائر مؤمنا كل الإيمان، ومطمئنا كل الاطمئنان إلى هذا النصر، حتى أقسم بالله على ذلك؛ فسنن الله لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول.

(١) واكبت هذه الكلمة مرور يومين على ثورة الشعب الليبي، وأيام على ثورة الشعب اليمني، والتظاهرات التي حدثت في الجزائر والمغرب والبحرين والأردن وإيران، وغيرها، ووجه الرسالة نفسها قبل ذلك في خطبة التنحي ١١ فبراير من الدوحة.

المنطلق الثالث

الوعي بفقه الواقع والإحساس به

يمثل الوعي بفقه الواقع أكثر من نصف الطريق أمام الفقيه أو المفتي لكي يتمكن من إنزال الحكم الشرعي الصحيح عليه؛ فلن يستطيع فقيه أن ينزل حكم الله تعالى على نازلة من النوازل إلا إذا استوعبها وأحاط بظروفها وملابساتها وسياقاتها، وكما قيل: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره».

ولهذا فإن للإمام ابن القيم كلامًا لا يمكن تجاوزه في هذا السياق عن أهمية فقه الواقع والواجب فيه، يقول: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علمًا.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرًا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله»[1].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ١/ ٨٧-٨٨. طبعة دار الجيل. ١٩٧٣م.

وما كان لإمامنا أن يكون له هذا الحضور مع الثورة، ولا يحدث هذا التأثير بخطابه إلا إذا كان فاقهًا بعمق للواقع، ومستوعبًا لأبعاده وظروفه وسياقاته وتاريخه، ولم لا، وهو المصري الذي ولد ونشأ وترعرع في ظل هذا الواقع؟

لقد كان القرضاوي واعيًا لدرس تونس، الذي كان - بلا شك - مُلهِمًا لمصر وللشعوب التي ثارت فيما بعد، كما كان مؤشرًا إيجابيًّا للعلماء والفقهاء بما يمكن أن يحدث في بعض البلدان التي لها ظروف مشابهة مثل تونس، وبخاصة مصر؛ ولهذا كان الشيخ الإمام واعيا ومستوعبًا لهذا الدرس.

وكان مدركًا - تمام الإدراك - لأسباب قيام هذه الثورة، وهي: الفقر والجوع والخوف والمرض والسلب ونهب ثروات مصر، وسرقة المال العام، وكبت وقهر الشعب طوال عقود من السنين، حتى إنه فلْسَف هذا الواقع بإدراكه للقانون العلمي الطبيعي الذي يحكم هذه الحالة، فقال في جمعة الرحيل: «هناك قانون طبيعي في العلوم يقول: شدة الضغط تولد الانفجار؛ الضغط اشتد عليهم، الجوع آذاهم وآلمهم، فانفجروا، ولكنهم انفجروا انفجارًا عاقلا».

كما كان مدركًا أن ما حدث يعتبر انتصارًا لكرامة مصر، واستعادة لتاريخ مصر وريادتها في المنطقة والعالم، قال الشيخ في بيان اتحاد العلماء بعدما استعرض بعض الأسباب الاقتصادية: «ناهيك بما يشكو منه وطنهم العريق في حضارته وتاريخه من وهن وتأخُّر في التعليم والصحة والاقتصاد والقوَّة العسكرية، والانسحاب من دوره التاريخي في القضية العربية مع الدولة الصهيونية ... فكادت إسرائيل كيدها لتخرجها من معركة فلسطين أو معركة الأمة العربية والإسلامية، وأصبحت مصر وسيطة بين الطرفين لا شريكا في الكفاح، وتخبطت مصر محليًّا، وضعفت مصر عربيًّا، ووهنت مصر إسلاميًّا، وتأخَّرت مصر دوليًّا، كانت ديون مصر أول ما تسلم مبارك الحكم

(١٢) مليـارا فأمسـت ديونها (٨٨٠) مليـارا، وغدا (٤٠٪) أربعون فـي المائة من أبناء مصـر تحت خط الفقـر، وكلُّ ذلك تراه أجيالهـا الجديدة، وتنكـره بقلبها، صابرة على البلاء، مصابرة على البأسـاء والضرَّاء، وفي كلِّ يوم يزداد فقر الفقراء، ويتضاعف غنى الأغنياء، وفي كلِّ يوم يمرُّ، والمرجل يغلي، والنار تشتعل تحته، حتى أوشك للمرجل أن يتفجَّر أو يتكسَّر».

كما كان إمامنا الثائر واعيًا لطبيعة الثورة ومن قام بها، وأنها تمثل الشـعب المصري بكل فئاته؛ فلم تحركهم قوى خارجية، ولـم يتصدر المشـهدَ الإخوانُ المسـلمون، ولا كانوا سـببًا فيهـا كما حاول أن يروج الإعلام الرسـمي المصري، رغـم أنهم قاموا فيها بدور مشهود؛ فقال الشيخ في جمعة الرحيل عن الثورة: «لم يحركها أحد لا من الداخل ولا مـن الخارج، الآن يقولون هناك محركات خارجيـة ومحركات داخلية، والإخوان المسـلمون، كلمـة الإخوان المسـلمين يقصدون بهـا تخويف الناس فـي الغرب، في أمريـكا وأوربا، البعبع، الإسـلام، التيار الإسـلامي، الإخـوان المسـلمين، وأنا أقول: الإخـوان المسـلمون موجـودون كفئة من الشـعب، ربما لا يزيدون عن الــ ١٠٪، أما هؤلاء الشـباب فمن كل الفئات وبعضهم غير مسيسـين إطلاقا، لا ينتسـبون إلى حزب من الأحزاب، ولا إلى هيئة من الهيئات، أبناء مصر خرجوا ثائرين، ثورة شعبية حقيقية، ما رأيت أعظم منها، ولا أطهر منها، ولا أشرف من هذه الثورة ....قالوا: آه .. الإخوان دخلوا بدليل أنهم أصبحوا يصلون جماعات، كأن الشـعب المصري لا يعرف الصلاة ولا الجماعة، الإخوان فقط هم الذين يصلون؟ الشـعب المصري ٨٠٪ أو أكثر يؤدون الصـلاة، ويؤدونهـا طبيعيا إذا كانوا في ميدان يصلونها جماعة، ولكن منذ رأوا هم أول جماعة سـلطوا عليها خراطيم المياه حينما سـجد الناس لله، خروا سـاجدين سـلطوا عليهـم الخراطيم، هؤلاء لا يعرفـون الله، لا يعرفون الآخرة، لا يعرفون حرمة لأحد».

وقال قريبا من هذا الكلام في بيان اتحاد العلماء.

وفي حديثه لقناة الجزيرة الإخبارية مساء موقعة الجمل يوم الأربعاء الدامي، الثاني من فبراير قال: «هؤلاء الشباب الأحرار الأطهار الشرفاء كانوا على مستوى من الإيمان والأخلاق والمروءة بحيث لم يرتكبوا شيئًا يعاب، كان كل همهم أن يعلنوا صوتهم وأن يرفعوا شأن بلدهم، وأن يحتجوا على المظالم التي تمت خلال سنين طويلة منذ ثلاثين سنة، ربما كانت السنون الأولى أقل ظلمًا، ولكنها ازدادت ثم ازدادت، وكل شيء زاد عن حده انعكس إلى ضده، فطفح الكيل وبلغ السيل الزبى كما تقول العرب، فكانت هذه الاحتجاجات، لم يعتدوا فيها على أحد، لم يعتدوا فيها على ملك عام أو خاص، ولكنهم كانوا مثالا حيًّا للأخلاق الكريمة». وهو حديث يدل على وعيه التاريخي بفترة حكم مبارك من أولها إلى آخرها، كما أنه مدرك تماما للمستوى الأخلاقي والحضاري الذي كان عليه الثوار، وقد أشار لذلك في مواضع عديدة من حديثه.

كما كان الشيخ الإمام واعيًا بأن الثمانية ملايين الذين خرجوا يوم ثلاثاء الغضب الذي كان احتجاجًا على ما وقع في جمعة الغضب، أنهم يمثلون الثمانين مليون مصري، قال: «لأن وراءهم أناسًا، الذي خرج وترك أباه في البيت وأمه وأولاده الصغار، كم مع كل واحد من هؤلاء، وناس كثيرين هم معهم بقلوبهم ولكن لا يستطيعون، ما عندهم هذه القدرة، كما قال شوقي في رواية مجنون ليلى:

أحب الحسين ولكنما لساني عليه وقلبي معه
إذا الفتنة اضطربت في البلاد ورمت النجاة فكن إمعة

هناك أناس من هؤلاء الإمعات لا يحبون النظام، ولا يؤيدونه، ولكن يخاف على نفسه، يخاف من خياله، فهؤلاء ضد هذه المظاهر».

ومن وعيه للمستقبل ـ فضلًا عن الواقع ـ أراد أن ينبه الشعب المصري إلى أمرين مستقبليين.

الأمر الأول: أن يصبروا على المجلس الأعلى للقوات المسلحة حتى ينجز مهمته، وأن يكفوا عن الاحتجاجات والإضرابات الفئوية حفاظًا على اقتصاد مصر الذي انهار في هذه الفترة، قال في خطبة النصر: «أنا أعرف أن أبناء مصر ظلموا كثيرًا، والفئات المختلفة من العمال والفلاحين والموظفين طالما ظلموا، ولكن الله لم يَبْنِ الدنيا في يوم واحد ولا في ساعات، بل بناها في ستة أيام، وكان قادرًا أن يبنيها بـ«كن فيكون»؛ ليعلمنا الأناة، لابد أن نصبر قليلا. أنا أنادي كل من عطل العمل وأضرب أو اعتصم أن يؤدي هذه الثورة بالعمل، مصر تريد أن تعمل، الاقتصاد المصري يتأخر يومًا فيوم، ولا يجوز لنا نحن الذين أيدنا الثورة أن نكون سببًا في تأخير بناء مصر، وفي تأخير اقتصاد مصر، بل يجب أن نقنع كل إخواننا الذين يضربون والذين يعتصمون أن يصبروا قليلًا، وننادي الجيش أن يتصل بهم ويطمئنهم، هذا ما نريد حتى تسير مصر في مرحلة البناء، وكل أبناء مصر الآن مستعدون أن يبنوا، كل واحد مستعد أن يمسك حجرا، وأن يبني شيئا في هذا البلد، فأنا أنادي أبناء البلد جميعا أن يعملوا للبلاد، نحن في مرحلة فاصلة، مرحلة يحق فيها الحق، ويبطل فيها الباطل، وإن من حق هؤلاء المصريين جميعا أن يأخذوا حقوقهم، وأن ينالوا ما يستحقون وأن يُنصَفوا، ولكن من واجبنا أيضا أن نصبر على إخواننا في الجيش حتى تتحقق الآمال كلها، واحدا بعد الآخر: «وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ». التوبة: ١٠٥».

والأمر الثاني: أنه أراد أن ينبههم إلى أن الثورة لم تنته بعد، بل هي مستمرة حتى يتم بناء مصر، كما أراد أن ينبههم إلى الأفاعي والحرابي ـ جمع حرباء ـ الذين يلوِّنون جلودهم ويشكلونها بما يناسب الأحداث والمستجدات، قال في خطبة النصر أيضًا: «إن الثورة لم تنته، إن الثورة بدأت تنتج.. لا تظنوا أن الثورة انتهت، اعتبروا الثورة مستمرة؛ لأنك ستشارك في البناء .. في بناء مصر الجديدة، مصر التي تعلمت من هذه الثورة

الشـيء الكثير، اصبـروا على ثورتكم وحافظـوا عليها، وإياكم أن يسـرقها منكم أحد، حافظوا على هذه الثورة، واحذروا من المنافقين، الذين هم مسـتعدون أن يلبسـوا كل يـوم وجهًا جديدًا، ويتكلموا بلسـان جديد ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُـواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ﴾ سورة البقرة: ١٤. كانوا بالأمس ضد الثورة، وهم اليوم مع الثورة .. احذروا من هؤلاء، أقول للشـباب حافظوا على ثورتكم وكونوا على يقظة من هذه الثورة، واستمروا في الحفاظ عليها، هذا ما أطالب به أبنائي شباب الثورة».

ومن وعيه بالواقع تقريره أنه لا يريد المجلس الأعلى أن يستمر في حكم البلاد، بل يؤدي مهمته ويسلم الحكم لمدنيين، كما حث المجلس الأعلى على الإسراع في الإجراءات اللازمة من تعديل الدسـتور، ورفع حالة الطوارئ، والإفراج عن المعتقلين سياسـيًّا والمسجونين سياسيًّا، وذكر هذا في أكثر من كلمة وبيان وخطبة، حتى ذكره في جمعة النصر.

أما إحساس شيخنا بهذا الواقع فينبع من كونه مصريًّا، ولد فيها وتربى وترعرع على أرضها، وعاش هموم مصر ومشـكلاتها بآلامها وآمالها، ولـم تفارق مصر وجدانه يومًا ما، سواء أيام إقامته بمصر أم بعد خروجه منها.

لقـد كان إمامنـا الثائـر أحد ضحايا هـذا النظام العسـكري الفـردي المركزي الذي يختصر الدولة في شخص واحد، فهو أشبه بحكم فرعون: «ما أريكم إلا ما أرى»؛ فقد اعتقـل أكثـر من مرة ـ كما أشـرنا في المقدمة ـ قبيل الثورة وبعدهـا، أولها: اعتقاله عام ١٩٤٩م نحو عشـرة أشـهر في عهد الملك فاروق، وقد كان طالبا في السـنة الخامسـة الثانوية... وكان اعتقاله الثاني في ٢ يناير ١٩٥٤م لمدة شهرين ونصف في عهد الثورة، ثم في نوفمبر ١٩٥٤م ولمدة عشـرين شـهرا تقريبا، ثم في يونيو ١٩٦٢م نحو خمسين يوما قضاها في سـجن انفـرادي في مبنى مخابرات الثـورة، وكان بجواره في الاعتقال صديق عمره ورفيق دربه الداعية المرحوم د. أحمد العسال[1].

(١) راجع مقدمة حسني أدهم جرار لديوان «نفحات ولفحات» للقرضاوي: ١٧. دار المأمون. عمان. الأردن. ط أولى. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، وراجع مذكرات القرضاوي سيرة ومسيرة.

هذا التاريخ السجوني وتلك العذابات التي عاشها القرضاوي واكتوى بنارها، حتى سطر فيها نونيته المشهورة التي بلغت أبياتها مائتين وأربعة وتسعين بيتًا، جعلت لحديثه عن مصر وثورتها نكهة خاصة وحرقة قوية ميزت حديثه عن ثورة مصر بما لم يكن بالقدر نفسه في الثورات الأخرى، فليست النائحة كالثكلى، ومن ذاق عرف، وليس من عاش ورأى كمن سمع وقرأ.

ومما قاله في هذه النونية ضمن ديوانه نفحات ولفحات: ٩١-٩٥:

قل للذي جعل الكنانة كلها ... سجنًا وبات الشعب شر سجين
يا أيها المغرور في سلطانه ... أمن النضار خُلقت أم من طين ؟
يا من أسأت لكل من قد أحسنوا ... لك دائنين فكنت شرَّ مَدين
يا ذئب غدرٍ نصبوه راعيًا ... والذئب لم يك ساعة بأمين
يا من زرعت الشر لن تجني سوى ... شرٍّ وحقدٍ في الصدور دفين
سيزول حكمك يا ظلوم كما انقضت ... دولٌ أولاتُ عساكر وحصون
ستهب عاصفةٌ تدك بناءه ... دكًا وركنُ الظلم غير ركين
ماذا كسبت وقد بذلت من القوى ... والمال بالآلاف والمليون ؟
أرهقت أعصاب البلاد ومالها ... ورجالها في الهدم لا التكوين
وأدرت معركة تأجج نارها ... مع غير (جُونْ بولٍ) ولا كوهين
هل عدت إلا بالهزيمة مرّة ... وربحت غير خسارة المغبون ؟
وحفرت في كل القلوب مغاورًا ... تهوي بها سُفلًا إلى سجّين
وبنيت من أشلائنا وعظامنا ... جسرًا به نرقى لعليين
وصنعت باليد نعش عهدك طائعًا ... ودققت إسفينًا إلى إسفين
وظننت دعوتنا تموت بضربةٍ ... خابت ظنونك فهي شر ظنون

بليت سياطُك والعزائم لم تزل   منّا كحدّ الصارم المسنون
إنا لعمري إن صمتنا برهةً   فالنار في البركان ذات كمون
تالله ما الطغيان يهزم دعوةً   يومًا وفي التاريخ برٌّ يميني
ضع في يديّ القيد ألهب أضلعي   بالسوط ضع عنقي على السكّين
لن تستطيع حصار فكري ساعةً   أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يديْ   ربّي.. وربّي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي   وأموت مبتسمًا ليحيا ديني

إن من يقرأ هذا الشعر لا يشك في أنه كُتب هذه الأيام وقيل في عصرنا الحالي، رغم أنه كتب منذ أكثر من خمسة وخمسين عامًا، ولا غرو، فالنظام المصري منذ الثورة في عام ١٩٥٢م ليس بين فترات حكمه وحكامه كبير فرق، فهو النظام المستبد البوليسي القمعي الفردي المركزي، الذي لا يخشى خالقًا، ولا يرحم مخلوقا..!.

يقول في آخر نونيته مصابرًا ومرابطًا مع إخوانه في العقيدة والدعوة، ومبشرًا بالعودة لرفع راية الإسلام:

صَبْرًا أَخِي فِي مِحْنَتِي وَعَقِيدَتِي   لاَبُدَّ بَعْدَ الصَّبْرِ مِنْ تَمْكِينِ
وَلَنَا بِيُوسُفَ أُسْوَةٌ فِي صَبْرِهِ   وَقَدِ ارْتَمَى فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينِ
هَوِّنْ عَلَيْكَ الأَمْرَ لاَ تَعْبَأْ بِهِ   إِنَّ الصِّعَابَ تَهُونُ بِالتَّهْوِينِ
أَمْسٌ مَضَى، والْيَوْمُ يَسْهُلُ بِالرِّضَا   وَغَدٌ بِبَطْنِ الْغَيْبِ شِبْهُ جَنِينِ
لاَ تَيْأَسَنَّ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ   وَتَقُلْ مَقَالَةَ قَانِطٍ وَحَزِينِ!
شَاةٌ أُسَمِّنُهَا لِذِئْبٍ غَادِرٍ   يَا ضَيْعَةَ الإِعْدَادِ وَالتَّسْمِينِ!
فَعَلَيْكَ بَذْرُ الْحَبِّ لاَ قَطْفُ الْجَنَى   وَاللهُ لِلسَّاعِينَ خَيْرُ مُعِينِ

سَنَعُودُ لِلدُّنْيَا نُطِبُّ جِرَاحَهَا سَنَعُودُ لِلتَّكْبِيرِ وَالتَّأْذِينِ
سَتَسِيرُ فُلْكُ الْحَقِّ تَحْمِلُ جُنْدَهُ وَسَتَنْتَهِي لِلشَّاطِئِ الْمَأْمُونِ
بِاللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا؛ فَهَلْ تَخْشَى الرَّدَى، وَالله خَيْرُ ضَمِينٍ؟!

ثم يقول داعيًا مبتهلًا للخلاص من الظلم، والتخلص من الطواغيت والفراعين الجدد:

يَا رَبِّ خَلِّصْ مِصْرَ مِنْ أَعْدَائِهَا وَأَعِنْ عَلَى طَاغُوتِهَا الْمَلْعُونِ!
يَا رَبِّ إِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى وَالأَمْرُ فِي كَافٍ لَدَيْكَ وَنُونِ!
باسم الفراخ الزغب هيض جناحهم فقدوا الأب الحاني بغير منون
بدموع أم روَّعوها في ابنها وبكل دمع في العيون سخين
بدعاء شيخ شردوا أبناءه ما بين معتقل وبين سجين
بسهاد زوج غاب عنها زوجها فدعت لفرط جوىً و فرط حنين
رباه رد علي مؤنس وحشتي وأغث بعودته جياع بنيني
يا من أجبت دعاء نوح «فانتصر» وحملته في فلكك المشحون
يا من أحال النار حول خليله روحًا وريحانًا بقولك: كوني
يا من أمرت الحوت يلفظ يونسًا وسترته بشجيرة اليقطين
يا رب إنا مثله في كربة فارحم عبادًا كلهم ذو النون

وقد استجاب الله لدعاء الشيخ الذي دعاه منذ قديم، كما استجاب لدعائه أثناء الثورة، وبرَّ قسمه الذي أقسمه في خطبة الجمعة يوم التنحي ١١ فبراير ٢٠١١م؛ حيث أقسم أن الثورة لابد أن تنتصر؛ لأن سنة الله تأبى إلا ذلك، وأن الظلم سيزول، وقد انتصرت الثورة، وزال كثير من الظلم.

***

ومن معالم إحساس الشيخ الثائر بالواقع: أنه كان يحس بأبنائه وأحفاده في ميدان التحرير وكل أنحاء مصر ويستشعر تعبهم جراء التظاهر والوقوف في البرد الشديد، وقلة النوم، يقول في جمعة الرحيل موجهًا حديثه للمجرمين و«البلطجية»: «حرامٌ عليكم أن تقتلوا أبناء بلدكم، أن تقتلوا هؤلاء الأطهار الشرفاء الذين خرجوا من بيوتهم وصار لهم عشرة أيام يبيتون في الميدان في هذا البرد الشديد، أحيانا لا يجدون طعامًا، ويصاب من يصاب منهم ولا يجدون دواءً، والمسئولون يمنعون الإسعاف أن يصل إليهم، ويحجزون ويصادرون مواد الإسعاف الأولية».

وكذلك متابعته لأخلاق الثوار الذين وصفهم بالأنصار، وأنهم شباب أطهار أبرار شرفاء باذل مُضَحٍّ صابر مصابر مرابط؛ فقال في خطبة النصر وفي كثير من الأحاديث: «هؤلاء الشباب الذين صنعوا هذه الثورة، وضربوا للناس المثل العليا، أنا أعتبرهم كأنهم الأنصار الذين وصفهم الله في كتابه بقوله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الأنصار الذين وصفوا بأنهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع، الذين كان يضحي بعضهم من أجل بعض، يجوع أحدهم ليشبع أخوه .. يتعب أحدهم ليرتاح أخوه، يسهر أحدهم لينام أخوه، يؤثره بالفراش والطعام والشباب، أوصي هؤلاء الشباب أن يحافظوا على هذه الروح».

وقال في خطبة التنحي: «هذه الثورة العظيمة التي علمت الناس كيف تكون الثورات، لقد استفادوا من ثورة تونس، ولا شك أن لها الفضل، ولكنها تفوقت عليها، وسبقتها بما أقامت من مثل أصبحت مدرسة بل جامعة يتعلم الناس فيها كيف يعيشون إخوة، كيف يعيشون متحابين، كيف يعيشون متساوين، لا فرق بين غني وفقير، لا فرق بين شريف ووضيع، لا فرق بين متعلم وأمي، لا فرق بين قروي ومدني، لا فرق بين رجل وامرأة، الكل صهروا في بوتقة واحدة، يخدم بعضهم بعضًا، ويساعد بعضهم

بعضًا، أبناء الأسر الغنية والمترفة جاءوا وناموا على الأرض، والفتيات الشابات الجامعيات يحملن أكياس الزبالة ليذهبن إلى الناس بعد الأكل، حتى تظل الأرض التي يعيشون عليها نظيفة، ويظل الرجل أو المرأة حينما يأكل يحمل الزبالة أو القمامة في يده لا يرميها، ينتظر حتى يأتي من يحمل الزبالة... مجتمع هائل، مجتمع رائع».

***

هذا الإدراك الشامل والكامل والتاريخي للواقع بملابساته وظروفه وسياقاته وحقيقته، والإحساس به - باعتباره مصريًّا عاش هذا الواقع، وآذاه لهيبُه، وحرَقتْه نارُه، فضلًا عن كونه عالمًا ربانيًّا يصدع بكلمة الحق ولا يخشى في الله لومة لائم - جعل حديثه قويًّا ومعبرًا ومؤثرًا ومغيرًا.

المنطلق الرابع
رعاية فقه المقاصد

أود قبل الحديث عن المقاصد ثم فقه المآلات وغيرها من أنواع الفقه في خطابات الشيخ هنا أن أقول: إن هذه الأنواع من الفقه لا يحسنها أي أحد، ولا يراعيها كل فقيه، فليس الأمر في ممارسة الاجتهاد مقصورا على النصوص فقط وفقهها رغم ما في ذلك ـ كما سبقت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب ـ من صعوبة ومشقة، بل الأمر أكبر من هذا بكثير، فحسبنا إدراك هذا الواقع المتشابك والمعقد وإنزال النصوص والأحكام عليه، فضلا عن إدخال بُعد فقه المقاصد في هذه المعادلة، وهو أمر يعد التصرف فيه وخوض غماره لا يتسنى إلا للراسخين الذي يفهمون الشرع في ضوء هذه المقاصد بمراتبها وأنواعها ومجالاتها العامة والخاصة.

وقد كتبت كتابًا كاملًا عن فقه المقاصد عند الشيخ الإمام[1] وبينت فيه أن المقاصد روح تسري في فقهه وفكره كما تجري الروح في الجسد، والدماء في العروق، وأنه مفطور على هذا الفقه، كما الشعراء مفطورون على قرض الشعر، ومن ثم فإن رعاية المقاصد عند الشيخ ليس أمرًا مقصورًا على خطابه في هذه الثورة فقط، وإنما هي سمة عامة يدركها من له أدنى صلة بمؤلفاته وفتاويه وآرائه ومواقفه واختياراته.

---

(١) هو كتاب: رعاية المقاصد في منهج القرضاوي، رؤية استقرائية تحليلية تطبيقية، نشرته دار البصائر في القاهرة. ٢٠١١م.

لقد كانت رعاية فقه المقاصد أحد المنطلقات الأساسية للإمام القرضاوي في خطابه الشرعي لهذه الثورة، وقد تجلى ذلك في عدد من الجوانب.

منها: تحريمه الخروج في المظاهرات بشكل غير سلمي؛ حيث أفتى في تصريحه لجريدة الشروق الذي نشر بالجريدة يوم الجمعة ٢٨ يناير، ونشر بموقعها يوم الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١ ٩:٠٦ م بتوقيت القاهرة- بتحريم الاعتداء على رجال الشرطة من قبل المتظاهرين، وقال «هم منا ونحن منهم ودماؤهم محرمة، ولعلهم يشكون مما نشكو، ولو أتيحت لهم الفرصة لانضموا إلى الجمهور»، مشددًا على حرمة المساس بالممتلكات العامة والخاصة، وفي المقابل أفتى القرضاوي بتحريم إطلاق الرصاص على المتظاهرين وقال «أي شرطي يطلق النار على متظاهر لم يبدر منه ما يستحق القتل مجرم وآثم»، وطالبهم بعدم الاستجابة لقادتهم «ومن يقول إنه عبد المأمور أقول له أنت عبد لله، والقتل حرام».

وكذلك حديثه المتكرر لمبارك أن يرحل ليحفظ أرواح المصريين ويحقن دماءهم، بعدما راح ضحية هذه الثورة أكثر من ٣٥٠ شهيدا، ولا شك أن حفظ النفوس من كليات مقاصد الشريعة الإسلامية، إذ حفظ النفس من كليات المقاصد.

ومنها: حديثه عن الأموال المنهوبة التي قدر ما تم تهريبه منها في السنوات الماضية بثلاثة تريليونات دولار، بالإضافة للأراضي التي تم بيعها بأبخس الأثمان، وحفظ المال من كليات المقاصد.

ومنها: خشيته على أن يتأثر الاقتصاد المصري أكثر بالإضرابات الفئوية والعمالية، ونداؤه الذي وجهه في جمعة النصر للمصريين أن يعملوا وأن يصبروا على المجلس الأعلى للقوات المسلحة حتى يقضي ما ينبغي أن يقوم به، وقد أشرنا إليه سابقًا.

ومنها: تأييده لخروج هذه الثورة التي طالبت بمقاصد إنسانية اجتماعية عادلة، اجتمعت عليها كل الشرائع، وتوافقت عليها البشرية في كل عصورها، وهي المطالبة بالحرية والعدالة والمساواة والكرامة والعيش الإنساني الكريم.

ومنها: دعوته لإقامة دولة مدنية عادلة تسـود فيها الشورى والعدالة والحق والخير، وتحكمهـا مبادئ المسـاواة والمحاسـبة والمسـاءلة والمحاكمة لمن ثبـت تورطه في أمـوال عامـة أو ممتلـكات خاصة، ولا شـك أن قيام دولـة الحرية والعدالة من أسـمى مقاصد الإسلام.

ومنها: دعوته لوحدة الشـعب المصري: مسـلميه ومسـيحييه، والقضـاء على الفتنة الطائفيـة التي أوضحت هذه الثورة أنهـا أكذوبة، وأن الذي كان يقوم بها هو هذا النظام الآثم[1]، وما من شك في أن حفظ وحدة المجتمع من أكبر مقاصد الإسلام.

لقد شهدتُ ـ بنفسي ـ المسلمين يحرسون كنائس النصارى بعد انسحاب الشرطة؛ حيث لم نسـمع باعتـداء واحد على أي من دور عبادة المسـيحيين في مصر..! ورأيت المسـيحيين يحرسـون المسـلمين وهم يصلون في ميدان التحرير أكثر من مرة، وكتب الأسـتاذ أحمد بهجت الكاتب السـاخر المعروف يقول إنه زار ميـدان التحرير، فوجد فتاة مسيحية تصب ماء الوضوء على رجل مسلم، فقال: «الآن نجحت الثورة!».

وقـال إمامنـا في خطبة النصر: «في هذا الميدان، ميدان شـهداء ثورة ٢٥ يناير وقف المسيحي مع المسلم جنبا إلى جنب، وأذكر بالأمس وأنا قادم من قطر جاء شاب وقال أنا فلان الفلاني، وأنا مسيحي، وأنا أتابعك في برنامجك «الشريعة والحياة» وفي خطبة الجمعة من قطر، وأنا أعتز بك، فأنت تدعو إلى وحدة الأمة وأنت وأنت..قلت: الحمد لله عز وجل».

وقال أيضا في الخطبة نفسها: «حفيدتي كانت تقود جيلا من الشباب يكنس وينظف الميادين، ويدهن بعض الأشـياء التي تحتاج إلى دهان، فمر عليهم أحد القُسـس، فقال

(١) يؤكد هذا ما حدث بعد الثورة بأيام في قرية صول مركز أطفيح محافظة حلوان جنوب القاهرة من هدم إحدى الكنائس بفعل المؤامرات وأعداء الثورة.

لهـم: هـل تحتاجون إلى مسـاعدة؟ فقالوا له تفضل؛ ظانين أنه سـيعمل معهم، فأخرج مائة جنيه، وقال: هذه مساعدتي لكم، فكبِّروا، واشتروا بها بعض الدهانات.. هذه هي الروح المصرية، الروح التي تسـع الجميع..أنا أرجو من شـعب مصر أن يتمسـك بهذه الوحـدة، وحـدة الصف، ليس هناك تعصـب، كلنا مؤمنون، يجـب أن نؤمن بالله، وأن نعمق إيماننا بالله، كلنا مصريون، كلنا ثائرون على الباطل، كلنا غاضبون للحق، يجب أن تظل هذه الروح أيها الإخوة والأخوات، وأيها الأبناء والبنات».

ومنها: استعادة مكانة مصر بين الأمم، وإعادة قوتها وحيوتها وريادتها التي تميزت بهـا على مـر التاريخ، بعـد أن تأخرت وتدهـورت وتقهقرت على يد النظـام المخلوع الذي أهان مصر وشوه صورتها في العالم كله.

ومنهـا: حكمه بوجـوب الدخول للميادين والانضمام للثوار رغـم وجود القناصة التـي تقنص الناس وتقتلهم؛ لأن في الجسـارة على الدخول اسـتمرارًا للثورة وتعزيزًا لهـا، وفـي ذلك من المصالح مـا لا يخفى، مع التحرز عند الدخـول والتنبه والاحتياط لتفادي وقوع أي أضرار على النفوس البشرية[1].

وهكـذا فإن رعايـة المقاصد في الاجتهـاد والتأصيل والتنزيل لهـا أهمية لا تخفى؛ حيـث تمثل السـياج الـذي يحكم تفكيـر الفقيه، وكليات الشـريعة التي يجـب إقامتها وحفظها، والأفق الذي يسبح فيه المفتي فلا يضل سواء السبيل.

(١) هذه الفتوى لم تنشر للشيخ، ولا أذيعت، ولكن سمعتها منه مباشرة.

المنطلق الخامس

رعاية فقه المآلات

إن رعاية فقه المآلات ليس مهما للفقيه فقط، بل هي ثقافة يجب أن تسود بين الناس فـي تفكيرهم، وتصرفاتهم، وقراراتهم، وحياتهم بشـكل عـام، وكذلك له أهمية كبرى للدعاة والمؤسسات والهيئات والجماعات والدعوات.

وإذا كان ذلـك مهمًّـا للنـاس عمومًا وللدعـاة أيضًا، فهـو للفقيه أشـد أهمية وأبعد أثـرًا، فرعايـة المآلات هي التي تضبط عمـل الفقيه وتحكم اجتهاداتـه وفتاويه وتنزيله للأحـكام على الواقـع، فقد يحوِّل المآلُ الفعلَ الحلال إلى حرام، والحرام إلى حلال، وليس ذلك إلا رعاية للمآلات.

ولهذا قال الإمام الشـاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شـرعًا؛ كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ»[1].

وجعـل من خصائـص الرباني، والحكيم، والراسـخ فـي العلم، والعالـم، والفقيه، والعاقـل: أنـه يجيـب السـائل على مـا يليق به فـي حالته، وأنـه ناظر في المـآلات قبل الجواب عن السؤالات[2].

(١) الموافقات: ٥/ ١٧٧.

(٢) الموافقات: ٥/ ٢٣٣.

ورعايـة هـذا الفقه كانـت من المنطلقـات الواضحة في خطاب شـيخنا الإمام لهذه الثورة؛ فما قام وانتفض مع الثورة مؤيدًا لها إلا رعاية لمآلاتها، سـواء في حالة فشـلها أو نجاحها.

ففي حالة فشـلها سـتكون مآلاتهـا وخيمة على الشـعب وعلى مصـر، وعلى الأمة كلهـا، ولهـذا قالوا: «إن نصف الثورات مقبرة للشـعوب»، فكانت مصـر ـ وقاها الله ـ ستقع فيما هو أسوأ؛ استبدادًا، وقمعًا، وسجنًا وشنقًا، ونهبًا وإفسادًا.

وفي حالة نجاحها ستكون مآلاتها عظيمة على مستوى الشعب من جميع النواحي، وعلى مسـتوى مصر كلها في الداخل، والخارج أيضا، بل على مسـتوى الأمة كلها إن شاء الله!

بـل إن إمامنـا الثائـر جعل مقاومة الفسـاد في الداخـل حماية للبلاد مـن أن يغزوها مسـتعمر خارجي، جاء هذا في سـياق تحميسه للثوار وأمره لهم أن يخرجوا وأن ينضم إليهم الشعب، يقول في جمعة الرحيل عن حديث النبي ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»: «أفضل الجهاد، لماذا؟ لأنك إذا جاهدت الفساد في الداخل فإنك تغلـق البـاب على الاحتلال أو الاسـتعمار أو الغـزو من الخارج، أفضـل الجهاد كلمة حـق عند سـلطان جائر، سـيد الشـهداء حمزة بن عبـد المطلب، ثم رجل قـام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله». لابد من تضحيات، ولكن هذا في منزلته بجوار حمزة بن عبد المطلب».

وراعى إمامنا المآلات التي تترتب على انضمام الشعب للثوار، وأن نتيجة ذلك هو الضغط على النظام الحاكم فتنكسـر شوكته، وتحطم عزيمته، يقول في خطبة الرحيل: «ناديـت أبناء مصر أن يخرجـوا ليقووا هؤلاء، فإنهم إذا كثـر عددهم كان الضغط على النظام الحاكم أكثر، فسـلِّم، إنه نظام يركب رأسـه، نظام عنيد عتيد، فكلما كان الضغط

عليه أكثر سلم بخسائر أقل، وإلا فلا يعلم إلا الله مدى الخسائر والأرواح التي سيضحي بها الشعب المصري، ولا يبالي حكامه بما يضيع، وما يُقتل من الناس، وما يسفك من دماء، وما يزهق من أرواح... أنا وليخرب العالم، أنا وبعدي الطوفان، أنادي هؤلاء الشباب أن يثبتوا، وأنادي شعب مصر أن يقف بجوارهم».

بل حذر الشباب الثوار من أن يندس بينهم من ليس منهم، ومن يمكن أن يرفع شعارات أو يهتف هتافات تؤول بتجمعهم إلى فساد وفتنة، أو يرتكبوا أشياء تنسب إلى الثوار، وهذا صلب المآلات، يقول في الخطبة نفسها: «وأنادي هؤلاء الشباب أن يحذروا ممن يندسوا في صفوفهم، هناك أناس يندسون داخل هؤلاء الشباب؛ ليرتكبوا أشياء تنسب إلى هؤلاء الشاب، والشباب واعون، ولكن أريد أن يزدادوا يقظة وحذرًا، فلا يسمحون لأحد أن يهتف هتافات لا يريدونها هم، هتافات غير مقبولة، هؤلاء الشباب شباب مهذبون، شباب تربوا تربية إيمانية في معظمهم، وإن كان أكثرهم عاديون، لكن الشباب العادي في مصر مؤمنون، علمهم دينهم، فينبغي ألا يسمحوا بأي هتافات خارجة عما يريدون... فأنا أنصح هؤلاء الشباب أن يكونوا على غاية من الحذر من اندساس هؤلاء الذين هم أجراء الحكومة، وأجراء رجال الأمن، أو هم من رجال الأمن أنفسهم، يلبسون لباسًا مدنيًّا».

أحسب أن رعاية هذا الفقه لها أهمية كبيرة في نجاح أي خطاب شرعي، وصحة أي اجتهاد أصولي أو تنزيل فقهي، ولقد كانت رعاية هذا الفقه عند إمامنا الثائر من أسباب إلهامه وتوفيقه وقوة خطابه وتأثيره في الثورة والثوار.

المنطلق السادس
رعاية فقــه المــوازنات

كمـا قلت في بداية المبحـث الرابع قبل قليل: إن هذه الأنواع من الفقه ـ الأولويات والمقاصد والموازنات والسـنن والواقع وغيرها ـ لا يحسنها كل أحد، بل القلة القليلة من الفقهاء هم الذين يراعونها، ويحسنون العمل بها تأصيلًا وتفعيلًا.

ولهـذا فإن نجاح أي خطاب وصحته وقوته وقبولـه يتوقف على رعاية هذه الأنواع مـن الفقـه، فالصحة والقوة والقبـول لا تتوقف فقط على فقه النصوص الشـرعية ـ وما أهمـه! ـ وإنما على الوعي بالواقع والحالات التي تتنزل عليه هذه النصوص، وموازنة المصالح والمفاسد التي يجب أن تراعى، وما يؤول إليه تطبيق الحكم.

ورعاية فقه الموازنات ـ في تصوري ـ خطوة سابقة على رعاية فقه المآلات، وجزء منه، وهو قائم على فقه المصالح والمفاسد، وفقه النسب بين الأعمال، فيعطي الأحكام حقها، ويضعها في مكانها، الفرض فرض، والسنة سنة، والأصل أصل، والفرع فرع... الخ؛ فيوازن الفقيه عند تنزيل الحكم بين المصالح التي يحققها الحكم وبين المفاسد، ويميز في الأحكام بين الأصل والفرع، وبين الفرض والسنة، وبين ما يتعلق بالفرد وما يتعلـق بالأمة، ويرجح اختياره بناء على ذلك، ثم ينظر إلى مآلات الحكم أو الاجتهاد، وهو أمر لا ينفك عن الموازنات.

ولقد كان رعاية فقه الموازنات أحد المنطلقات المهمة التي انطلق منها إمامنا الثائر في خطاب للثورة المصرية، ومما يدل على ذلك:

- أنه أيد الثورة منذ فجر بدايتها، رغم علمه بأنه ستكون هناك ضحايا، وهذا التأييد نتيجة الموازنة بين حق الفرد وحق الأمة، وبين المصالح المترتبة، والمفاسد المتوقعة؛ إذ يترجح حق الأمة هنا، وتزيد المصالح على المفاسد.

- ومن ذلك أنه حرض المتظاهرين على الاستمرار في التظاهر بعد الخطاب الأول والثاني للرئيس المصري الذي أعلن فيهما عدم ترشحه لفترة تالية، والتحقيق في الطعون التي وجهت لمجلس الشعب، وغير ذلك، ولو قال الشيخ للمتظاهرين بعد الخطاب الأول أو الثاني ـ كما قال البعض ـ عودوا لبيوتكم لكانت المفاسد أعظم.

- ومن ذلك أنه كان مدركًا للخراب الاقتصادي الذي حدث بفعل الثورة، ولهذا كان يأمر مبارك بالرحيل حقنًا للدماء ووقفا للخراب الاقتصادي، ولكن الخراب الذي كان قبلها وسيكون بإنهائها أكبر وأعظم، وهذا ما وقع فيه ـ للأسف ـ كثير من العلماء الذين أمروا الثوار بالعودة لبيوتهم.

- ومن ذلك أنه ظل يحمس الثوار، ويشد أزرهم، ويقوي ظهرهم، ويدعو لهم؛ لأنه لو فشلت الثورة فسوف يتوحش الفساد، ويزيد الظلم، ويتضاعف القهر والنهب، فكما قيل: «نصف الثورات مقبرة للشعوب»؛ ولهذا ـ اعتبارا لفقه الموازنات ـ لم يكن هناك بدٌّ من مواصلة الثورة، واستمرار الثوار.

- حتى إنه ذكر مصطلح «فقه الموازنات» صراحة في بيانه للشعب المصري العظيم، حين قال مخاطبا شيخ الأزهر ومفتي الجمهورية وعلماء مصر الذين طالبوا الثوار بالرجوع لبيوتهم: «وليس يجوز في فقه الموازنات الشرعية: أن تجامل فردًا على حساب شعب، لا سيما وهو أقرب إلى الأموات منه إلى الأحياء». وفي حديثه

للجيش المصري في خطبة النصر، وفي غيرها، قال: «هذا الجيش لا يمكن أن يخون بلده، لا يمكن أن يضحي بالشعب من أجل شخص واحد، هذا الجيش أعقل وأشرف من أن يفعل ذلك». وقال مخاطبا الجيش أيضًا في خطبة التنحي: «أتتخلون عن شعبكم من أجل رجل، أتبيعون مصر من أجل رجل أحمق؟».

- وفي حلقة الشريعة والحياة ١٣/ ٢/ ٢٠١١م، وهو يرد على العلماء المثبطين والمدلسين والملبَّس عليهم ذكره وغيره صراحة أيضًا، فقال: «الكثيرون للأسف من أهل العلم لا يتقنون فقه الموازنات ولا فقه المقاصد ولا فقه الأولويات،... وللأسف يفتون الناس في عوائص المسائل، وأصبح هؤلاء الناس يتصدرون الفضائيات، ويزعمون أنهم يفهمون في كل شيء، وهم لا يكادون.. ويضللون الناس.. يعني يعطون الأشياء على غير حجمها، المسألة البسيطة يضخمونها، والمسائل الكبيرة يصغرونها، فوضعوا الأمر في غير موضعه، وضلل الكثيرون المسلمين في هذه القضية، هذا ما حمسني أن أقف مع هذه الثورة العظيمة».

***

وانطلاقًا من رعاية فقه الموازنات قد نختلف مع إمامنا الشيخ في تقدير أمر ذكره في خطبة النصر ـ وتقديرُ الأمور شأن تتفاوت فيه الأنظار، وتتعدد فيه الآراء ـ وهو حديثه عن فلسطين ومعبر رفح، والصلاة في المسجد الأقصى، حين قال في رسالته إلى إخواننا في فلسطين: «وأنا عندي أمل أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما أقر عيني بنصر مصر أن يقر عيني بفتح المسجد الأقصى، وأن يهيئ لي أن أخطب في المسجد الأقصى، اللهم هيئ لنا أن نخطب في المسجد الأقصى، وندخل المسجد الأقصى، آمنين غير خائفين ولا وجلين، اللهم حقق لنا هذا الفتح المبين.. يا أبناء فلسطين، ثقوا أنكم منتصرون، سيفتح معبر رفح لكم، وأنا أطالب الجيش المصري والمجلس

الأعلى للقوات: افتحوا معبر رفح، افتحوا ما بيننا وبين إخواننا، فغزة من مصر، ومصر مـن غـزة، يجب أن تكون مصـر ردءًا ودرعًا وحصنًا، مصر التـي حاربت أربعة حروب مـن أجل فلسـطين لا ينبغي لها أن تقطـع الطريق، لابد أن تفتح المعابـر التي في أيدينا خصوصًا معبر رفح، نفتحه للقوافل التي كانت تمنع من إغاثة إخواننا».

حتى إن رئيس حكومة فلسـطين إسـماعيل هنية اتصل بالشـيخ بعـد الخطبة يدعوه لزيارة غزة؛ تمهيدًا لفتح المسجد الأقصى والصلاة فيه.

وأنا أقدر تمامًا وجهة نظر الشـيخ في ذكر هذا، فقضية فلسـطين هي قضيته الأولى، وهـو فارسـها الأول، وبسـببها منع من دخـول بلاد كثيرة فـي أمريكا وأوربـا، وكاد أن يوضع على قائمة الإرهاب، كما أن مصر جارة فلسـطين وهي الردء والدرع والحصن لفلسـطين، كمـا أن الأمـة المسـلمة لا تعـرف هـذه الفواصل بيـن البلاد التـي وضعها «سـايكس بيكو» إلا بقدر التنظيم والإدارة، لكنها لا تمنع النصرة والمؤازرة والإغاثة، وأيضا لأن تغيير مصر هو بشـارة لتغيير الأوضاع في فلسـطين، وبداية لزوال إسـرائيل من المنطقة كلها.

كل هذا أقدره وأتفهمه تمامًا، لكن كثيرين نظروا إليه على أنه تحميل للموقف فوق طاقتـه، ووضْع للحديث في غير موضعه، وهذا مـا لا يقبله فقه الموازنات، ويمكن أن يكـون له آثاره السـلبية على الثورة في مصر خاصة مـن قِبَل أوربا وبلاد الغرب عمومًا، وهذا ما لا يقبله فقه المآلات.

وينبغي أن نقدِّر أن وجود شخص الشيخ ـ بحد ذاته ـ يستدعي «أيديولوجية» معينة، ويستدعي تاريخًا يعرفه الجميع، كما يعطي ذريعة للبعض للحديث عن صورة للحكم كمـا الصورة في إيـران، فلم يكن الموقف يحتمل ـ في فقـه الموازنات ـ أكثر من هذا؛ ولذلـك تحدث بعض الناس بأنه «خوميني» مصـر، وأن ذلك اختطاف للثورة، ووضْع

ليد الإسلاميين عليها، وغير ذلك مما سنذكره بالتفصيل في فصل الآثار، رغم أن الخطبة جاء فيها ما يعتبر ميزاتٍ كبيرةً وكثيرة، وأن البعد الوطني كان حاضرًا فيها، فلأول مرة أسمع ـ أو يُسمع ـ خطيبًا يقول: أيها المصريون: مسلمين وأقباطًا، وقد جرت العادة دائمًا أن يقول الخطيب أيها المسلمون فقط.

كما كان حضوره سببًا في الزعم بأن البعض منع أحدَ شباب الثورة البارزين من اعتلاء منصة ميدان التحرير، وهذا أمر غير صحيح[1].

ولهذا أحسب ـ وقد يختلف معي غيري في تقدير الموقف ـ أن المشهد لم يكن يتحمل ـ رعاية للموازنات والمآلات ـ ذكر هذه القضايا، فمن شأنه أن يشوش على الثورة ومطالبها، ويُخرج الحديث العام والرأي العام عن مقصوده ومطلوبه، وهذا لا يعني ـ قطعًا ـ التقليل من مطلب فتح معبر رفح، أو تحرير كامل التراب الفلسطيني.

(١) في حوار نشرته مجلة المصور (عدد ٢٣ فبراير ٢٠١١م)، أجرته الصحافية مروة سنبل مع الشاب سيد أبو العلا، أحد المنظمين الذي قيل إنه منع وائل غنيم أحد رموز الثورة من الحديث إلى الجماهير، ومن أسئلة هذا الحوار: س: ما هي تفاصيل الحوار الذي دار بينك وبين غنيم؟ ج: كان حوارا مقتضبا، حيث حضر غنيم للميدان في حوالي الثانية ظهرا وأراد اعتلاء المنصة فقامت مجموعة من الشباب الذين يتولون تنظيم سلم المنصة ـ وهم متطوعون غير مسيسين ـ بمنعه، فذهبت وقلت له أنت دعوت لعدم التظاهر.. فلماذا أتيت، كما أنك لست ضمن البرنامج المقرر لهذا اليوم. س: وماذا كان رد فعله؟ ج: انصرف وانتهى الموقف عند هذا الحد. ولم يكن هناك دور فعلي للإخوان في هذا الأمر. س: من الذي اختار القرضاوي ليؤم الصلاة والخطبة في الميدان؟ ج: الشيخ يوسف القرضاوي طلب من الشباب المنظمين أن يحضر للصلاة في الجمعتين السابقتين على جمعة النصر، وكان ردنا هو تأجيل هذا الأمر لأن الثورة ما زالت مستمرة، ولم تحقق مطلبها الأول بعد وهو التنحي، وقد استشرنا وقتئذ مجموعة من العلماء المقربين من القرضاوي فأيدوا رأينا، وحين كرر الفكرة في الجمعة التالية وكانت بعض المطالب قد تحققت بالفعل فكان قرار اللجنة التنسيقية بالموافقة. س: وماذا عن دور الإخوان في ذلك؟. ج: الإخوان أبدوا تحفظا على حضور القرضاوي حتى لا تحسب الثورة للتيار الديني ولكن كان القرار النهائي للجنة التنسيقية. س: البعض يعتبر أن منع غنيم من المنصة يوم الجمعة تم بأمر الإخوان الذين تصدروا المشهد؟. ج: لم يحدث هذا.. الإخوان كغيرهم من التيارات المشاركة إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أنهم من أكثر القوى تنظيما وقد شاركت في الثورة بشكل كبير، وأؤكد على أنهم لا يقودون أي عمل من الأعمال الثورية. انتهى الحوار، وقد أورد أسئلة منها الكاتب الكبير الأستاذ فهمي هويدي في مقاله: «تكذيب رواية شائعة» بصحيفة الشرق القطرية الخميس ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٢هـ - ٣ مارس ٢٠١١م.

المنطلق السابع

التشاور مع أهل الذكر

الشورى فريضة إسلامية محكمة، مأمور بها في القرآن المكي، والقرآن المدني؛ فقد امتـدح الله المؤمنين الذين يتشـاورون في أمورهم، وجعل ذلـك من صفات الإيمان، فقال سـبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْـتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُـورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. الشـورى: ٣٨. وأمر رسـوله ﷺ بمشـاورة أصحابـه، رغم ما وقع فـي غزوة أحد ممـا قد يبدو معه ـ بادي الرأي ـ عدم جدوى الشـورى، فقال سـبحانه: ﴿فَاعْـفُ عَنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَـوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. آل عمران: ١٥٩

وقد أورد ابن أبي شيبة في مصنفه[1] عددًا من الروايات عن النبي ﷺ وعن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تأمر بهذا، وتبين نتائجه الطيبة؛ ففي الباب رقم (١٤٠) بعنوان: «في المشورة من أمر بها»، من الآثار رقم (٢٦٧٩٦-٢٦٨٠٠) روى بسنده:

- عَن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَنْ يَهْلَكَ امْرُؤٌ بَعْدَ مَشُورَةٍ».

- وقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُد لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، لاَ تَقْطَعْ أَمْرًا حَتَّى تُؤَامِرَ مُرْشِدًا، فَإِنَّك إذَا فَعَلْت ذَلِكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَيْهِ».

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٩/٨-١٠. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي. تحقيق: محمد عوامة. طبعة الدار السلفية الهندية القديمة، بترقيم طبعة دار القبلة.

- وعَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: «مَا أَمَرَ الله نَبِيَّهُ ﷺ بِالْمُشَاوَرَةِ إِلاَّ لِمَا يَعْلَمُ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.

- وعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ فَانْظُرْ كَيْفَ صَنَعَ فِيهِ عُمَرُ، فَإِنَّهُ كَانَ لاَ يَصْنَعُ شَيْئًا حَتَّى يَسْأَلَ وَيُشَاوِرَ».

- وقالَ الْحَسَنُ: «مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلاَّ هُدُوا لأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ».

ومن منطلق هذا الأصل الإسلامي والفريضة الإسلامية كان أحد منطلقات إمامنا في خطابه للثورة ومواقفه فيها.

ومن ذلك أنه أراد أن يسافر إلى القاهرة وينزل ميدان التحرير قبل التنحي، وبخاصة في جمعة الرحيل ليؤدي خطبة الجمعة فيها، وتشاور مع أهل الذكر - مع بعض قادة الثورة من حركة الإخوان وغيرهم، وأنا شاهد على ذلك - في مدى إمكانية هذا الأمر.

وأشاروا عليه بعدم السفر قبل التنحي، وكان رأيهم أن وجود الشيخ في ميدان التحرير وخطبته للجمعة سيؤدي إلى أسلمة الثورة و«أدلجتها» والحديث عن خطفها لصالح تيار معين، ونحن نريد للثورة - وبخاصة في بدايتها - أن تظل وطنية مصرية شعبية شاملة، حتى تسعى بلا تشويش نحو تحقيق مقاصدها المرصودة.

وقد استحسن الشيخ هذا الرأي ووافقهم عليه ونزل عنده؛ لما فيه من العقلانية، ولما فيه من تقدير صحيح للأمور، ولما فيه من رعاية للواقع، ورعاية للموازنات، ورعاية للمآلات، وهي كلها منطلقات انطلق منها الشيخ، تسير جميعًا في منظومة واحدة وتناسق تام، ولا ينفصل بعضها عن بعض[1].

وقد أثبتت الأيام صحة هذا الرأي، وبخاصة بعدما رأيناه من ردود أفعال - بعضها سلبي - على خطبة الشيخ لجمعة النصر، رغم أنها كانت بعد التنحي بأسبوع كامل، وكانت احتفالًا بما حققه الشعب من نصر في ثورته المباركة وحركته المثمرة.

(١) أشار الشيخ في حلقة الشريعة والحياة أنه أراد أن يسافر مصر لكنه أخر، ولم يذكر تفاصيل؛ وذكرت التفاصيل هنا؛ لأنه من حق التاريخ والأجيال.

المنطلق الثامن

استلهام دروس التاريخ ودور العلماء الربانيين

الأمـة التـي ليس لها تاريـخ فلا ذاكرة لهـا، ولا حضارة ولا مجد لهـا، ومن التاريخ نأخـذ العبرة النافعة والحكمة البالغة، ونتعلم من دروسـه وأحداثه، واسـتلهام التاريخ واسـتحضاره هو الذي نستبصر به الواقع، ونستشـرف به المستقبل، وقد قال مؤرخونا من قديم: «من وعى التاريخ في صدره أضاف أعمارا إلى عمره، ومن لم يعِ التاريخ في صدره لم يدرِ حُلوَ العيش من مُرِّه».

وفـي سـياق الثـورة المصريـة ـ وغيرها من الثـورات ـ وخطابها الشـرعي يجب أن يكون لمنطلق استلهام دروس التاريخ ودور العلماء الربانيين في أزمات الأمة وملماتها ونوازلهـا ـ أهمية لا تغيب، وقيمة لا تخفى، وأثر لا ينكر في أخذ العبرة النافعة، وقيادة الجماهير، وتوجيه سـير الأحداث، عبر بيان الأحكام الشـرعية والواجبات الإسـلامية التـي توجـه الناس، وتقودهم إلى مـا يرضي الله تعالى، في غير خـوف من ترهيب، أو طمع في ترغيب.

ولقـد كان شـيخنا الإمـام القرضـاوي موفقًـا ـ كلَّ التوفيـق ـ في اسـتلهام التاريخ، واتخاذه منطلقًا لاسـتبصار الواقع واستشراف المسـتقبل، كما كان واعيًا ـ نعم.. واعيًا ومسـتحضرًا ـ لدوره الذي يؤديه، وواجبه الذي يقوم به، وهو مواصلة مسـيرة العلماء

الربانيين والدعاة المجاهدين من أبناء هذه الأمة على مر عصورها: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله وَكَفَى بِالله حَسِيبًا﴾. الأحزاب: ٣٩

ولم لا، وهو الذي كتب عن المذاهب الفكرية والحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، بل كتب عن التاريخ صراحة وبشكل مستقل في كتابه: «تاريخنا المفترى عليه»، وكتب عن أئمة علماء ودعاة ربانيين إصلاحيين، مثل: أبي حامد الغزالي، ومحمد الغزالي، والجويني، وأبي الحسن الندوي، وغيرهم، فوعيه بالتاريخ وبدور العلماء الأبرار كان له حضور لا يخفى في خطابه للثورة.

*** فأما أنه اتخذ التاريخ منطلقًا لاستبصار الواقع، وأخذ العبرة لاستشراف المستقبل فقد تمثل في مواطن عديدة من خطابه:

<u>من ذلك:</u> أنه عرض لتاريخ مصر منذ العهد الفرعوني مبينًا بذلك أن مصر بلد الإيمان والحضارة على مر التاريخ، يقول الشيخ في خطبة التنحي «فمصر لها مكانتها، مصر بلد الحضارة، وبلد الإيمان، حتى منذ عهد الفرعونية الوثنية كانت بلد الإيمان، بالإيمان بنوا الأهرامات، الأهرام بنوها لملوكهم الذين كانوا يعتقدون في ألوهيتهم، فبنوا لهم الأهرام ليخلدوا بعد موتهم، كان الإيمان أساسًا في هذا البلد منذ العصر الفرعوني».

ويواصل حديثه عن البعد الإيماني عند شعب مصر في عهد المسيحية فيقول: «ثم دخلت مصر في الديانة المسيحية، تبنت الديانة المسيحية، فكانت أخذتها بقوة، ودافعت عن المسيحية، واصطدمت بالرومان مع أنهم كانوا مسيحيين مثلهم، ولكنهم كانوا يخالفونهم في المذهب، هؤلاء مذهبهم مذهب اليعاقبة، الشعب المصري، والرومان مذهب الملكانية، وقامت اضطهادات، وكانت عصور سموها عصور الشهداء، قدموا فيها آلاف الشهداء».

ثـم يتحـدث عن عصر الإسـلام فـي مصر فيقـول: «ثم دخلـت مصر في الإسـلام فاحتضنـت الإسـلام ودافعت عنه، وكان لهـا نصيبها في حروب الفرنجة التي سـماها الغربيـون الحروب الصليبية، فدافعت أمام الفرنجة والغربيين والأوربيين والصليبيين، وأسـرت ملكهـم لويس التاسـع فـي دار ابن لقمـان بالمنصـورة، وكان لهـا دورها في حروب التتار الذين أسـقطوا بغداد، وأسـالوا الدماء أنهارًا، كانت تسـقط من الميازيب ـ المواسـير ـ من سـطوح المنازل، وأصبح نهر دجلة نهرًا أسـود مما ألقي فيه من آلاف وملايين الكتب ٦٥٦هـ، وفي سـنة ٦٥٨ هـ بعد سـنتين أو أقل انتصر الإسـلام، وأخذ بثـأره مـن التتار في معركة من معارك التاريخ الحاسـمة تسـمى معركـة عين جالوت ـ قرية في فلسطين ـ قاد الجيشَ المصري فيها المظفرُ سيف الدين قطز، وانتصر في هذه المعركة على التتار انتصارًا لم تقم لهم فيها بعدها قائمة من الناحية العسكرية».

ثم يؤكد الشـيخ على مكانة مصر ودرها وإيمان شعبها، فيقول: «كانت مصر هكذا، دافعت عن الإسلام عسكريًا، ثم دافعت عنه فكريًا وثقافيًا وعلميًا، فكانت القبلة الثقافية للمسلمين، وكان أزهرها الذي أنشئ في أول الأمر ليكون ناشرًا للمذهب الإسماعيلي من مذاهب الشيعة فأصبح ـ بعد أن دخل صلاح الدين الأيوبي إلى مصر ـ أصبح قبلة للعالم السـني، أصبح هو المأوى والمرجع الأخير لأهل السـنة في العالم؛ لذلك اهتم الناس عامة: العرب والمسلمون والعالم بما يجري في مصر».

<u>ومـن ذلك</u>: أنه يبين وضع الحاكم في الإسـلام وحقيقة دوره ومنزلته من الشـعب، مسـتلهمًا من التاريخ سـيرة الخلفاء والحكام الحقيقيين الذين قادوا أمتهم وشـعوبهم إلـى مـا يرضي اللـه ورسـوله والمؤمنين، مسـقطًا هذا التاريـخ على الواقـع المصري ورئيسـه الـذي لا يعبـر مطلقًا عن الحاكم في الإسـلام، بل هو الكبـر والصلف وإيقاع الظلم على شعبه.

يقـول في جمعة الرحيـل: «الحاكم في هذه الأمة ليس فرعونًـا.. الحاكم وكيلٌ عن الأمة، وأجير عندها، كما دخل أبو مسلم الخولاني ـ وهو من أئمة التابعين ـ دخل على معاويـة، فقال: السـلام عليك أيهـا الأجير، فثار من حوله وقالوا: قـل أيها الأمير، فقال بل أيها الأجير، قالوا قل أيها الأمير، قال: السلام عليك أيها الأجير، فقال لهم معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول..الحاكم في الإسلام أجير عند الأمة، هي التي توليه، وهـي التـي تعطيه أجـره، وهي التي تراقبه وتحاسـبه، وتعزله إذا اسـتحق العزل، هكذا شأن الحاكم مع الأمة».

قـال: «حينمـا ولـي أبو بكـر ـ رضي اللـه عنه أول خليفة في الإسـلام ـ قـال للناس كلمـات موجـزة مضيئة: أيها الناس إني وُلِّيتُ عليكم ولسـت بخيركـم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .. هكذا كان الخليفة الأول..

وكذلـك كان الخليفـة الثاني عمر بن الخطاب، الذي قال للناس: من رأى منكم في اعوجاجًـا فليقومنـي ، فقـال له أحد الرعية: واللـه لو رأينا فيك عوجًا يـا ابن الخطاب لقومناه بسيوفنا. لم يقل اقبضوا على هذا الرجل، وانظروا ما عنده من سيوف، وانظروا مـن معـه، ولكن قال: الحمد لله الـذي جعل في رعية عمر من يقـوم له اعوجاجه بحد سيفه. ولما قيل له اتق الله يا أمير المؤمنين في كذا وفي كذا، أنكر بعض أصحابه ذلك، فقال: «دعه لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها».

عمر بن عبد العزيز حينما ولي الخلافة قال للناس: «أيها الناس إنما أنا واحد منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملا»..

يقـول: «الخليفة أو الإمام أو الحاكم هو واحد من الناس، ولكن الله حمله الأمانة، فأصبح أثقل الناس حملا؛ لأنه مسئول؛ الإمام راعٍ وهو مسـئول عن رعيته.. مسـئول

أمام الله، ومسئول أمام الشعب، ومسئول أمام ضميره، ومسئول في الدنيا، ومسئول في الآخرة. هذا هو الحاكم المسلم .. ليس الحاكم المسلم جبارًا في الأرض .. ليس فرعونًا من الفراعين، وإنما هو واحد من الناس، شأنه شأن الرعية؛ يصلي معهم، ويعيش معهم، ويحس بآلامهم، ويفرح بفرحهم، ويحزن لحزنهم. هذا هو الحاكم الذي أراده الإسلام».

ويروي موقفًا في جمعة الرحيل يبين خطورة الدماء، وكيف ينبغي أن يحرص الحاكم عليها: «إن عثمان بن عفان كان الثائرون حول داره يهددونه بالقتل، وذهب عدد من الصحابة يطلبون منه أن يدافعوا عنه فقال لهم إذا كان لي طاعة عليكم لا تمسوا أحدًا، دعوني ودعوهم أنا وشأني، وأصر على ذلك حتى قتل شهيدًا وقال: أريد ألا تُسفَك قطرة دم بسببي، فهذا هو الحاكم الأب فعلا».

ومن ذلك: بيانه أكذوبة أن حسني مبارك بطل ورجل الحرب ورجل الضربة الجوية، فيقول في خطبة التنحي: «مصر يمتن مبارك عليها بأنه هو الذي حارب، وهذه أكذوبة، لم يُعرف عن مبارك أن له بطولة في حرب أكتوبر، والتاريخ لم يحقق هذا الأمر سيحققه بعد أن يزول إن شاء الله، كل ما له من بطولة أنه ضرب جزيرة «أبا» في السودان، وقتل فيها عددًا من الإسلاميين ومن جماعة المهدي، أذكر من الذين قتلهم أخًا داعية كبيرًا صديقًا لي الدكتور محمد صالح عمر، الرجل الطاهر النقي الأبي ممن قتلهم حسني مبارك حينما دك جزيرة أبا، هذا لعله هو الذي جعل له تاريخًا عند من اختاروه».

ومن ذلك: مقارنته بين ثورة أمريكا وثورة مصر فيقول في خطبة التنحي: «لم أر ثورة بمثل هذه الجموع - يعني ثورة مصر - وهذه القوة، وهذا الاتساع، ثورة أمريكا التي استقلت على أساسها أمريكا كانت ٢٠٠ ألف، وأمريكا كانت حوالي من ٢٠٠ مليون، يعني كل واحد يمثل ألفًا، لو أخذنا الثورة التي قامت الثلاثاء الماضي - يعني

يـوم ٢٥ ينايـر ـ قـدرت بـ٨ مليـون، ومصر حوالـي ٨٠ مليون، يعنـي كل واحد يمثل عشـرة، الآن أكثر، الآن يقدرون بخمسة عشـر مليونًا أو عشرين مليونًا في أنحاء مصر، مصر كلها تطالب برحيل هذا الرجل».

ومن ذلك: خطابه للجيش المصري بأنه يجب أن يقوم بدوره مع الشـعب، وقد قام الشـعب بدوره معه في ثورة ٥٢، وأن الجيش الذي خاض حروبًا كثيرة من أجل مصر وفلسـطين لا يمكن أن يضيع الشـعب من أجل فرد واحد، يقول في خطبة التنحي عن الجيش: «وقد خاض أربع حروب من أجل مصر ومن أجل فلسطين، منذ سنة ٤٨ دخل فلسـطين للدفاع عن أهل فلسـطين، الجيوش العربية دخلت في ذلك الوقت كان عمر الجامعة العربية ٣ سنوات، والآن تترك فلسطين لأهلها في حين أن الجامعة العربية ٢٢ دولة في حين أن إسرائيل تملك أكبر ترسانة عسكرية في الشرق الأوسط. دخل العرب ومنهم الجيش المصري وبعض ضباطه قد أسـر، وبعضهم قد استشهد، وبعضهم أبلى بلاء حسنًا، ثم بعد ذلك سنة ٥٦ وسنة ٦٧ وسنة ٧٣ التي أسميها أنا حرب ٩٣، أسميها حرب العاشر من رمضان لا حرب السادس من أكتوبر، هذا ما صنعه الجيش المصري، الجيش المصري للشـعب عليه دَيْن لابد أن يوفيه، يا رجال الجيش المصري، يا رجال القـوات المسـلحة، يا أعضـاء المجلس الأعلـى، يا قائد القـوات المسـلحة العام،، يا رئيس الأركان، أطالبكم بأن تؤدوا الدَّيْن الذي عليكم للشعب، لقد قمتم سنة ١٩٥٢م بثورتكـم، فوقف الشـعب جميعًـا وراءكم ورحب بكم، وأيدكم وسـاندكم حتى مرت الثورة بسلام، الآن الشعب يريد أن يسترد حقه عليكم ودَينه منكم».

ومن ذلك: أنه لم يهمل أقرب درس تاريخي، وهـو ثورة تونس، وكيفية الإفادة منه في ثورة مصر، فقال في تصريحه لجريدة الشروق الذي نشر بالجريدة يوم الجمعة ٢٨ يناير، ونشر بموقع جريدة الشروق: الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١ ٩:٠٦ م بتوقيت القاهرة:

«لا شك أن ما حدث في تونس درس عظيم، ولابد أن يتكرر وأن تتغير الأوطان العربية إلى الأفضل، وأن تنال حقوقها وحريتها».

وقال في الخطبة الثانية من خطبة التنحي؛ شاكرًا لتونس صنيعها ومنوِّهًا بفضلها: «أريد أن أقول كلمة عن ثورة تونس، هذه الثورة التي أشعلت الشرارة الأولى، والتي بدأت مسيرة الثورات، لا شك أن الفضل للمبتدي، وإن أحسن المقتدي، ثورة تونس، ومحمد بوعزيزي، وسيدي بوزيد، المدينة الأولى التي حملت لواء الثورة، لابد أن نخصهم بالتحية والتقدير والتكريم والشكر».

هكذا كان وعي إمامنا الثائر بالتاريخ ابتداء من عهود الفراعنة في مصر، وانتهاء بأقرب تاريخ لنا وهو ثورة تونس، مستعرضًا هذا كله، ومستلهمًا منه الدروس النافعة، ومبينًا طرق الإفادة من هذا التاريخ الطويل، وكيف نحقق به أكبر المصالح، ونتجنب ما يمكن من مفاسد، وهذا يبين للدعاة والعلماء أهمية الوعي بالتاريخ في ممارسة الدعوة والاجتهاد الشرعي للنوازل المعاصرة.

*** وأما أنه كان واعيًا بالدور الذي يؤديه، والواجب الذي يقوم به، واستشعاره لدوره الرباني؛ مستلهمًا تاريخ العلماء الربانيين؛ فقد تمثل في عدد من الأمور:

من ذلك: الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي توجب رفض الظلم، وتأمر الأمة بأن تقف في وجه الظالم وتقول له: «لا»، ونصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الخوف من ترهيب، أو الطمع في ترغيب، وعدم الركون إلى الذين ظلموا، وكل ما في هذا المعنى، وهو ما أوردنا منه عددًا كبيرًا في المبحث الأول من هذا الفصل، ولا شك أن هذا يدل على ربانية الشيخ، ووقوفه بكل ما يملك ضد الظلم والطغاة.

ومن ذلك: أنه لم يخش أن يصف النظام الحاكم المصري بما يستحق، فجاء في تصريحه لجريدة الشروق ٢٧ يناير: «واستنكر القرضاوي تصريحات رموز الحكومة والحزب الوطني التي لا تعبر عن رؤية أو إدراك لم يحدث»، مضيفًا «كلامهم دليل على ضيق أفقهم، فهم لا يحسون بالتغيير الذي حدث في نفوس الشباب المصري».

ومن ذلك: تصريحه لقناة الجزيرة الإخبارية مساء السبت ٢٩ يناير قال في كلمته للنظام الحاكم والرئيس كلماتٍ قويةً صلبة واضحة لا مواربة فيها: «أما كلمتي إلى النظام المصري، وعلى رأسه الرئيس حسني مبارك، فإني آسف أشد الأسف أن أرى هذا النظام أعمى لا يبصر، وأراه أصم لا يسمع، وأراه غبيًا لا يفهم،... كنت أود من الرئيس حسني مبارك الذي انتظرنا خطابه طويلًا، ثم خرج علينا بخطاب كأنه يعيش في عالم غير عالمنا، لا يحس بما يجري في الشارع المصري، لا يحس بالشهداء الذين سقطوا، لا يحس بالجرحى، لا يحس بالجوعى، لا يحس بآلام هذا الشعب، وكل ما خرج علينا به أنه قال سيحل الحكومة، وما فائدة حل الحكومة؟لم يقل شيئًا مما ينبغي أن يقال،لم يقل إنه لن يترشح مرة أخرى، لن يورث الحكم لأحد، إنه سيحل مجلس الشعب ومجلس الشورى اللذين قاما على تزوير على أعلى مستويات التزوير بما لم يعرفه العالم قط، إنه سيلغي حكم الطوارئ الذي حكم مصر وقهر مصر عشرات السنين، لم يقل شيئًا من هذا، دليل على أن هذا النظام لا يعي ولا يعقل، ولم يتعظ بالماضي القريب، والدرس لا زال حيًا، درس تونس؛ ولذلك أنصح الرئيس مبارك أن يتخلى عن منصبه، وأن يرحل عن مصر، ليس هناك حل لهذه المشكلة إلا أن يرحل مبارك، ولا يخرب مصر، مصر في أيام معدودة خسرت عشرات المليارات، ونزل الجنيه المصري إلى أدنى المستويات، وتعطل الاقتصاد المصري، والعمال مضربون عن العمل في مصانعهم، لا تخربها يا مبارك وتقعد على تلِّها، ارحل يا مبارك، ارحم هذا الشعب، يكفيك ثلاثون سنة، كان ينبغي أن تحكم اثنتي عشرة سنة، فحكمت ثلاثين سنة، إن

كان الحكم غرمًا فيكفيك هذا الغرم، وإن كان غنمًا فحسبك ما غنمت، ارحم هذا الشعب وارحل، ارحل عنه، حتى لا يزداد خراب مصر، لقد قتل العشرات في يوم واحد، العشرات من أناس خرجوا متظاهرين يطالبون بحقهم في العدالة الاجتماعية، في الكرامة الإنسانية، في الكسب الحلال، ولكنك وجنودك قابلتهم بالرصاص الحي في صدورهم،لم يعد لك بقاء يا مبارك، أنصحك أيها الرئيس أن تستفيد من درس زين العابدين علي، وتخرج على رجليك مختارًا بدل أن تخرج مكرهًا، لا أريد أن تحاكمك الجماهير، أريد أن تحاكم بعد ذلك أمام محكمة عادلة، محكمة مدنية، لا كالمحاكم العسكرية التي تنشئها لمحاكمة خصومك؛ فتحكم عليهم بأحكام ظالمة طاغية، أريد لك أن تخرج على رجليك من مصر، وتترك هذا الشعب يختار لنفسه. إن للظالم نهاية، وقد حانت النهاية... أقول هذا بنفسي، باسمي، وباسم أبناء مصر، كل مصر، كلهم يعبرون الآن، ويطلبون منك أن ترحل على رجليك، أقول هذا باسم علماء الدين في مصر، مئات الآلاف من علماء الأزهر، وأقول هذا باسم علماء العالم الإسلامي، أضعاف علماء مصر، أدعوك باسم هؤلاء أن ترحل وترحم بلدك وترحم أهلك، إن كان في قلبك ذرة من رحمة، أو في رأسك ذرة من تفكير».

<u>ومن ذلك:</u> أنه في بيانه للشعب المصري العظيم قال للرئيس: «إننا لا نزال ندعو الرئيس حسني مبارك: أن يَدَع الغرور والكبرياء والمكابرة، ويستجيب لصيحات الشعب، ولا يعرِّض وطنه لمزيد من الاضطراب والخراب، وسفك الدماء: (١٥٠) شهيدا، وأربعة آلاف جريح، وعدد من المفقودين أو المختفين، ويكفي الرئيس ثلاثون عامًا من الحكم والتسلُّط، ولا داعي للألاعيب المكشوفة، مثل تسيير المظاهرات التي نراها تتكوَّن من عشرات الأفراد، أكثرهم من الشرطة السرية، والمأجورين في مقابلة المسيرات المليونية».

ومن ذلك: أنه في خطبة التنحي استعرض الجرائم التي حدثت للثوار، ثم قال: «هذه كلها في سجلات حسني مبارك، وما له من الحسن شيء، ولا من البركة شيء، ولا من الحمد شيء، مبارك يتحمل مسئولية هؤلاء القتلى، الذين عُدوا في آخر إحصاء فكانوا ثلاثمائة وثلاثة وأربعين شهيدًا من الشهداء، غير الآلاف من الجرحى الذين أصيب بعضهم بعاهات مستديمة ومعوقات في أبدانهم ... حسني مبارك مسئول عن هذا، وهو مسئول أيضًا عما حدث لمصر، عن سرقة أموال مصر، وثروة مصر، وأراضي مصر، ليكون له ولأنصاره ولأصهاره ولأولاده ولأتباعه ثروات في الخارج».

ومن ذلك: خطابه لفرنسا في خطبة التنحي، قال لها مستنكرًا تدخلها السافر في تقرير مصير الشعوب: «وأطلب من فرنسا التي تدس أنفها وتتدخل في شئون تونس، أقول لها: يا فرنسا، يا بلد الحريات، يا أم الثورات، كما تريدين الحرية لنفسك، اتركي الحرية لبلاد الله ولعباد الله، نحن مخلوقون أحرارًا مثلك وقبلك بقرون، قال خليفتنا الثاني: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» اتركوا لنا شئوننا، كفوا أيديكم عن التدخل في أمرنا، نحن في عالم جديد، نحن في عالم غير العالم الذي كنتم فيه مستعمرين سادة، بلادنا حرة، وأمتنا حرة، وليس لأحد علينا من سلطان، لا نركع إلا لله، لا ينحني ظهرنا إلا لله، لا نعفر جباهنا إلا لله، ساجدين أو راكعين، كفوا عنا، هذه كلمة أوجهها إلى فرنسا، وإلى أمريكا وإلى كل البلاد الذين يتخذون بلادنا كأنها مطية لهم».

ومن ذلك: أنه في خطبة الرحيل خاطب الرئيس بكلمات قوية فقال: «إذا كان بقي عندك ذرة من رحمة في قلبك أو ذرة من عقلك في رأسك ارحل وارحم هذه البلد، أنت مسئول عن القتلى الذين قتلوا من أول يوم إلى آخر يوم، بالأمس وأول أمس قتل ١٠ بالقناصة، وجرح حوالي ١٥٠٠ أو أكثر، ولا ندري ماذا يحدث اليوم، ألست مسئولًا يا مبارك عن هذه الدماء التي سالت.؟».

هذا ما تحدث به القرضاوي بكل قوة وصراحة ووضوح، بلا مواربة ولا التواء، ولا تمييع للموقف، فضلا عن التزلف والنفاق المكشوف الذي فضح الله به الكثير من يُسمَّوْن العلماء والدعاة في هذا الحدث الكبير، وهو خطاب يدل بشكل واضح على أنه امتداد لهؤلاء العلماء الربانيين الذين كتب التاريخ عنهم بكل فخار واعتزاز.

ومن دلائل وعيه بدوره الرباني واستلهامه أدوار العلماء الربانيين أنه ذكر نماذج منهم واضحة؛ فقال في جمعة الرحيل: «الحاكم وكيلٌ عن الأمة، وأجير عندها، كما دخل أبو مسلم الخولاني - وهو من أئمة التابعين - دخل على معاوية، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فثار من حوله وقالوا قل أيها الأمير فقال بل أيها الأجير، قالوا قل أيها الأمير، قال السلام عليك أيها الأجير، فقال لهم معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول».

وذكر عددًا من العلماء الربانيين في نهاية حلقة الشريعة والحياة في إجابة عن سؤال لمقدم الحلقة قال فيه: «في مصر وفي تونس وجدنا أن الشعوب سبقت العلماء إلى ساحة التغيير. لماذا تأخر بعض العلماء عن مواكبة التغيير ودفع الظلم والظالمين؟».

فقال الشيخ: بسبب أن بعض العلماء متخلفون دينيًّا، تخلفوا دينيًّا وتخلفوا دنيويًّا، ولم يقتبسوا من روح القرآن، وروح السنة، ومن روح الذين جاهدوا في سبيل الله، كثير من العلماء جاهدوا قديمًا وحديثًا، في عهد الحجاج بن يوسف سار العلماء بقيادة واحد معروف اسمه عبد الرحمن بن الأشعث قاد ثورة العلماء وفي معركة معروفة اسمها «دير الجماجم» وانتصر - للأسف - عليهم الحجاج، وقتل منهم من قتل. فمن قديم العلماء.. وفي الأمير عبد القادر الجزائري في جهاد الفرنسيين والسنوسيين في جهاد الطليان، وعدد من العلماء كان لهم دور، فنرجو إن شاء الله أن يعود.. العلماء شاركوا بقوة في هذه المسيرة في مصر، علماء الأزهر وبعمائمهم فإن شاء الله يعني العلماء يقومون بدورهم».

هكـذا ـ بـكل وعي ـ يذكر القرضاوي هذه النماذج المجاهـدة من العلماء والدعاة، وهذا يدلك على أنه لم يكن يتحدث من فراغ، إنما باسـتلهام روح القرآن وروح السـنة في الثورة على الظلم والظالمين، واستدعاء روح المجاهدين في سبيل الله من العلماء والدعـاة علـى مـر العصور، بل إننـي أتصور أن اسـتلهام دور العز بن عبد السـلام كان حاضـرًا في خطاب الشـيخ بقوة، وبخاصـة أن دوره كان في مصر، فلا غرو أن نسـمي الإمام القرضاوي «ابن عبد السلام الثورة المصرية».

المنطلق التاسع

رد الشبهات وتفنيدها

الشبهات التي أثيرت حول الثورة المصرية، وحول الثوار لم تكن قليلة، بل أثرت تأثيرا سلبيًّا على قطاع غير قليل من الشعب المصري، وأتت هذه الشبهات من ناحيتين:

الأولى: ـ وأذكرها بكل أسف ـ هي ناحية العلماء الذين جهلوا أحكام الشرع في هذا السياق، أو تجاهلوها رغبة في منصب أو رهبة من سلطان؛ فحرموا المظاهرات، وعدوها بدعة، وخروجًا على الحاكم، وهو محرَّم عندهم باتفاق العلماء، وأنها فتنة وفساد، ومآلاتها إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح، وتخريب المنشآت والمؤسسات.

والناحية الثانية: هي ناحية الإعلام الرسمي المصري، الذي «شيطن» الثوار، ورماهم بكل تهمة، وألصق بهم كل نقيصة؛ فجعلهم مأجورين، مدفوعين من قوى خارجية، ويريدون تخريب مصر، وتدمير مؤسسات البلد، وإهدار مقدرات الوطن، ووقف حركة الحياة، بل بلغت الوقاحة بهذا الإعلام أن اتهم الثوار بأن بينهم فضائح جنسية في ميدان التحرير بين الرجال والنساء..!!.

وكانت إرادة الله وإحاطته من وراء ذلك كله، فألهم الثوار الثبات والصمود والاستمرار والتحدي الذي تكسرت عليه كل المؤامرات، وانتفت به كل الشائعات، وذابت به كل الشبهات، واندحرت به التهم جميعًا؛ وذلك فضل الله وحده ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

ولقد كان لشيخنا الإمام الثائر دور بارز في دفع هذه التهم، ودحر هذه الشائعات، وتفنيد تلك الشبهات عبر إدراكه للواقع، ومعرفته لحقيقة الثورة وشبابها، وخطابه الشرعي الرصين الذي رد الشبهات وفند الأغاليط؛ فبلَّغ بذلك الدعوة، وأقام الحجة، ودفع الشبهة.

وقد ارتكز الشيخ في دفع الشبهات ـ من خلال استقرائي لخطابه ـ على عدد من المعالم، منها:

الأول: توضيح معنى «الخوارج»، والثاني: توضيح معنى «الخروج» على الحاكم، والثالث: بيان الجانب النقدي الحديثي لبعض نصوص السنة النبوية، والرابع: الرد على كون المظاهرات بدعة، والخامس: رد المتشابه إلى المحكم، والفروع إلى الأصول، وهكذا، والسادس: ذكْر عدد هائل من النصوص الشرعية لتوصيف ما يحدث.

ولتوضيح مفهوم الخروج وضرورة طاعة ولي الأمر قال الشيخ في تصريحه لقناة الجزيرة مباشر من القاهرة ٢٨ يناير ٢٠١١م، وهو وقت مبكر في الثورة مجيبًا على سؤال وجهته المذيعة إليه عن أن بعض العلماء يرون أن هذه المظاهرات خروج عن الحكام وليست مشروعة، وضرورة طاعة أولي الأمر. قال الشيخ: «هذا سوء فهم للدين؛ لأن الإسلام يجعل حق الطاعة لمن أطاع الله، ونفذ أحكامه في العدالة والكرامة والحرية، أما من خرج على الدين، وظلم الشعب وسرقه ونهب ثرواته فكيف يطاع؟ لا طاعة لأحد في معصية الله، والمسلمون مجمعون على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد صحت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن هناك حكامًا ظلمة، الرسول ﷺ يأمر بجهادهم، قال: فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، وقال ﷺ: «يا كعب بن عُجرة، أجارك الله من إمارة السفهاء، قال وما إمارة السفهاء

يا رسول الله؟ قال: قوم يأتون بعدي، يهدون بغير هديي، ويستنون بغير سنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليسوا مني ولست منهم، ولن يردوا علي حوضي»، برئ النبي ﷺ ممن يصدق هؤلاء الحكام بكذبهم، ويعينهم على ظلمهم؛ فالإسلام لا يقبل إطلاقًا أن ينصاع الناس للحاكم الظالم. القرآن يجعل الذين يطيعون الحاكم الظالم مثله: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ القصص: ٦. ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ . وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾. القصص ٤٠-٤٢. وذم الشعب المصري الذي أطاع فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. الزخرف: ٥٤. فلذلك نحن نؤيد الشعب حينما يرفض أن يستخف به فرعون».

ويوضح معنى الخروج أكثر فيقول في بيانه للشعب المصري العظيم بأنه هو الخروج المسلح، وليس الخروج السلمي، يقول: «إن الإسلام يشدد في الخروج المسلح على الحاكم، ويشترط له شروطًا، وذلك حتى لا يؤدي الخروج بالسلاح إلى فتنة عمياء، تسفك فيها الدماء، ولا يتحرر الناس من الحاكم، أما ما دون ذلك من وسائل المقاومة فالإسلام يشرعها، بل يرحب بها، حتى تظل الأمة حية الضمير، قوية العزم، قادرة على أن تقول: لا، بملء فيها. وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»... ولقد ابتكر عصرنا وسائل سلمية لمقاومة الحكّام المستبدِّين والمتسلِّطين على شعوبهم، ومنها هذه الوسيلة الفعالة: وسيلة التظاهر السلمي، تقوم به الجماهير بالنزول إلى الشارع، والهتاف بمطالبها المشروعة، وهي وسيلة ضغط معروفة في العالم كلِّه، وكثيرًا ما تؤدِّي إلى سقوط الحكم الدكتاتوري رغم أنفه، دون طلقة نار، ولا سيَّما إذا تكاثر المتظاهرون وتكاتفوا».

وفي حلقة الشريعة والحياة يبين أنه الخروج المسلح مع توصيف دقيق لما يجري في الواقع: «هذا ليس خروجًا، المقصود بالخروج المسلح، والخروج المسلح هذا لا يقدر عليه إلا من يملك القوة؛ ولذلك أنا قلت: إن التغيير ـ تغيير نظام الحكم ـ في عصرنا لازم يكون بأحد ثلاثة وسائل، الوسيلة الأولى: ممكن تكون بالطريقة الديمقراطية إذا كان في ديمقراطية حقيقية نحاول نأخذ نكسب الشعب ونأخذ أغلبية في البرلمان والسلطة التشريعية تغير ما تشاء من القوانين، هذه وسيلة، الوسيلة الأخرى: عن طريق القوات المسلحة، إذا كان القوات المسلحة هي التي تستطيع أن تطيح بالحكم وتأتي بحكم آخر يعني هذا أيضًا أكثر بلادنا العربية كلها قامت عن طريق التغلب، يسمونه الفقهاء التغلب عن طريق القوة العسكرية، وطريقة أخرى: اللي هي عن طريق ثورة الشعب مثلما حدث في إيران كان في الشاه ويملك السافاك ويملك جيشًا ويملك كذا وقام الشعب بقيادة الإمام الخميني وأصبح الشعب في ناحية والجيش في ناحية، الجيش قعد يضرب في الناس ولكن مش ممكن يستمر في ضرب الناس لأن الجيش هو من الشعب، فبعد الهدنة كف يده انتصرت الثورة عن طريق الشعب، وأيضًا تونس عن طريق الشعب، وهذه أيضًا مصر تنتصر عن طريق الشعب، فهذا ليس خروجًا هذا أن تقوم ثورة شعبية معبرة عن إرادة الناس، هذه هي البيعة، هذا هو الرضا العام؛ لأنه كيف تحصل على الرضا؟ الناس قاموا في مصر معبرين عن أنفسهم، خلاص، المفروض إذا الناس اللي عندهم بصيرة، هل تكون مع هؤلاء الذين يطالبون بالحق ويرفضون الباطل وينشدون العدل ويأبون الظلم، تكون مع هؤلاء وللا مع الظالم اللي سرق أموال البلد ونهب الثروات وصنع الفساد وعذب الناس حتى الموت وفعل الأفاعيل، تكون مع هذا ولا مع هذا؟».

وقال في الحلقة نفسها: «كلمة الخروج إذا ذكرت في الفقه الإسلامي يعني الخروج المسلح، هل هؤلاء كانوا يحملون أي شيء؟ ما كانوا يحملون أي سلاح، خرجوا يعني ليس في أيديهم شيء إلا من كان معه مصحف أو شيء، لسانهم فقط، بيهتفوا».

وللرد على أنهم خوارج، بين الشيخ المقصود بالخوارج، فقال في حلقة الشريعة والحياة: «هذا شيء أقابله بغاية الأسى والأسف؛ أن هناك أناسًا يعني ينسبون إلى الدين وإلى علم الدين اختلطت عليهم الحقائق بالأباطيل، فاتهموا هؤلاء الشباب بأنهم خارجون، الخوارج يعني لهم صفات، من هذه الصفات أنهم يكفرون من سواهم، كل من عداهم كافر، وأنهم يستحلون دماء الناس وأموالهم كل من عاداهم حتى إنهم استحلوا دم ابن الإسلام البكر، فارس الإسلام، وحكيم الأمة، علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ استحلوا دمه، وقال قائلهم، شاعرهم:

يا ضربة من تقي ـ يقصد بها عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي ـ

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

قاتل علي أوفى البرية عند الله ميزانا، هل الشباب دول يكفرون الناس، هل الشباب دول يستبيحون دماء الخلق؟».

ولبيان ما جرى من هؤلاء العلماء الذين لُبِّس الأمر عليهم يقول الشيخ في حلقة الشريعة والحياة: «من يقول إنهم من الخوارج هؤلاء الذين ينتسبون إلى العلماء الحقيقية اتبعوا المتشابهات وتركوا المحكمات، لم يردوا الفروع إلى أصولها، ولا الجزئيات إلى كلياتها، ولا الظنيات إلى القطعيات، وحرفوا الكلم عن مواضعه، سموا الأشياء بغير أسمائها، سموا هذه التظاهرات خروجًا».

وللرد على أن المتظاهرين أحدثوا فتنةً وتخريبًا، بين الشيخ أنهم شباب طاهر نقي باذل مُضحٍّ مسالم راقٍ، وذكر أن من مارس القتل هو الحزب الوطني والنظام الحاكم، قال في خطبة التنحي: «هؤلاء الشباب الذين قاموا بهذه الثورة، ثورة الخامس والعشرين من يناير، كانوا مثلًا يحتذى؛ لم يحملوا سلاحًا، لم يميلوا إلى العنف، إنما

يريدون أن يحققوا مطالبهم بالكلمة والتظاهر السلمي والهتاف، لا شيء أكثر من ذلك، الذين استخدموا العنف ضدهم هم حسني مبارك ورجاله وحكومته، قاوموا السلم بالحرب، قاوموا القلم بالسيف، قاوموا اللسان بالسنان، وقتلوا من قتلوا من هؤلاء الشباب، قتلوهم بالرصاص الحي، وجهوا الرصاص الحي إلى صدورهم، أمروا جنودهم أن يقتلوا هؤلاء الشباب، يقتلوهم قتلا، بل أكثر من ذلك رأينا ورأيتم ورأى الناس السيارات التي تدهس الناس دهسًا، سيارة شرطة كبيرة ـ عرف بعد أنها مسروقة من السفارة الأمريكية ـ دهست عشرين شخصًا، رأيناها وهي تصول وتجول، وتروح وتعود، وتدوس على البشر، كأنهم صراصير».

وقال في حلقة الشريعة والحياة معربًا عن أسفه لهذا الفهم: «وأنا آسف جدًّا أن علماء كبارًا اتهموا هؤلاء الشباب بالضلال وبالخروج عن الإسلام وبإحداث الفتنة، وغريب يعني هذا، هؤلاء الشباب الذين قاموا يعني يرفضون الظلم أنا لا أدري كيف ضاع على هؤلاء الآيات والأحاديث التي ترفض الظلم! مئات الآيات في القرآن الكريم ترفض الظلم، وتلعن الظالمين، وتكره الظلم وأهله، وأن الله لا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، ولا يفلح الظالمون إلى آخره... والركون الميل إلى الظالمين يوجب مساس النار والعياذ بالله ... فالإسلام يعلمنا أن نقف في وجه الظالمين، وأحاديث النبي ﷺ كثيرة «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، «إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده»، «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم» أحاديث كثيرة، النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذكر الظالمين من الأمراء وقال «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» هذه أحاديث الرسول «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه ومن لم

يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» هؤلاء غيروا بلسانهم ما حملوا سيفًا، ولا ضربوا قنبلة، ولا اعتدوا على أحد».

وللرد على كون المظاهرات بدعة قال الإمام في حلقة الشريعة والحياة: «وبعضهم جعل هذا التظاهر بدعة، وهذا غير مسلم، أولا البدعة حقيقة في أمر الدين، وهذا ليس مـن أمر الدين، أمور الدنيا تقـوم على الابتداع، وأمور الدين تقـوم على الاتباع، فنحن نأخذ من الغرب أشـياء كثيرة هل كان أيام الرسـول كان في مدارس مبنية وكذا وبتاع؟ هـل كان فـي مجالس يعنـي مجلس شـورى ومجلس شـعب ومجلـس.. دي كلها... أدوات وآليات، وسـائل تأخذها من كل من تشاء، والمسلمون أخذوا الدواوين، سيدنا عمـر أول مـن دون الدواويـن ومصـر الأمصار، والدواويـن أخذها من الـروم دواوين وسـجلات وكذا، وأخـذ الخراج من الفرس، وعمل للمسـلمين تاريخًـا كما عند بلاد الحضارات تاريخ، دي كلها ليسـت شـيئًا مما يعتبر من الابتداع إطلاقًا، بعدين أنا أقول الصحابة تظاهروا عندما دخل سيدنا عمر في الإسلام قال: لابد نخرج بقوة يعني لنظهر قوتنا للمشـركين، فخرجوا في صفين صف على رأسـه حمزة بن عبد المطلب، وصف على رأسـه عمر، ومشـوا يعني وكأن الأرض تهتز من تحتهم، إظهار القوة أي مانع في هذا؟ فهؤلاء الناس الحقيقة يعني يحرفون الكلم عن مواضعه».

أما رد الشيخ على بعض النصوص الشرعية التي تبيح للحاكم أن يأخذ مال الرعية، ويضرب ظهرها، فقال مبينًا الناحية الحديثية النقدية لهذه النصوص في حلقة الشـريعة والحياة: «أنا أتعجب من هؤلاء المتدينين والذين يدعون العلم، بيعتمدوا على حديث في صحيح مسلم، حديث حذيفة اللي فيه «وإن جُلد ظهرك وأُخذ مالك» وهذا الحديث ليس من أصول مسـلم، مسـلم أحاديثه نوعـان: أحاديث أصول، وأحاديـث متابِعات، فأحاديث المتابعات هذه لا يدقق مسلم فيها تدقيقه في أحاديث الأصول، فهذا حديث

من أحاديث المتابعات، وقد قال فيه الدار قطني، هو الحديث يعني عن أبي سلام قال: قـال حذيفـة بن اليمان: يا رسـول الله إنا كنا بشـرٌ فجـاء الله بهذا الخيـر، فهل بعد هذا الخير.. إلى آخره، وبعدين في هذا الحديث أنه في ناس يقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشـياطين فـي جثمان إنس، قال قلت كيف أصنع يا رسـول اللـه إن أدركت ذلك؟ قال تسـمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسـمع وأطع. هذا الحديث ليس صحيحًـا وإن كان في مسـلم، ولكنه مـن أحاديث المتابعات، وهو مرسـل. قال الإمام الـدار قطني في الإلزامات والتتبع: أخرج مسـلم حديث معاوية بن سـلام عن زيد عن أبي سـلام قال: قـال حذيفة وذكر الحديـث، فقال: وهذا عندي مرسـل، يعني منقطع، يعنـي من شـروط صحة الحديث أن يرويه عدل ضابط، يعني إنسـان عـادل مأمون في دينـه، وضابط يعني بيحفظ كويس مـا يخربش ذاكرته يعني تكون ذاكرته سـليمة تمامًا متقنًا للحفظ، وبعدين متصل السند من مبتدئه إلى منتهاه، اتصال السند شرط في صحة الحديث، فهذا الحديث ليس متصل السـند؛ لأن أبا سـلام هـذا الذي روى عن حذيفة قالـوا لم يسـمع من حذيفة...ففي انقطاع، أبو سـلام لم يرو عـن حذيفة، وهذا ما ذكره الدار قطني، وما ذكره ابن حجر، ومـا ذكره المزي، وما ذكره الكثيرون؛ أنه لم يرو عن حذيفـة، لم يسـمع منه، فهذا الحديث اللي معتمـد الكثيرين لأنه.. والناس يقولون لك فـي صحيـح مسـلم، طيب هو أصـل ولا متابع... لم يبحثـوا هذا. بعديـن القرآن يعني يحـذر مـن الظالمين ومن الركـون إليهم ويأمر الناس ألا يكونوا جنـودًا لفرعون، نترك هذا كله، ونترك الأحاديث الصحيحة!».

***

وهكذا يبدد الشيخ الإمام هذه الشبهات، ويفندها واحدة بعد واحدة، تحت مطارق العلم الصحيح، والحجة القوية، والنظر الكلي إلى نصوص الشريعة، ورد متشابهاتها إلى محكماتها، وفروعها إلى أصولها، وجزئياتها إلى كلياتها، وعبر حديثه عن ضعف النصوص التي يحتجون بها في حرمة الخروج على الحكام ووجوب طاعتهم، ومن خلال توضيحه للمفاهيم وتحريره لها؛ حتى لا تسمى الأسماء بغير اسمها.

ويعتبر رد الشبهات أحد أهم المعالم في أي خطاب، وفي أي دعوة، وفي أي فكرة، ولقد كان لرد الشيخ لهذه الشبهات عن الثوار وتفنيدها أثر كبير في تثبيت الثوار، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن هذه النوازل التي قدرها الله على الأمة في هذا العصر.

المنطلق العاشر

نقد المتخاذلين وعلماء السلطة

هذا المنطلق مرتبط بما قبله، وربما كان من الممكن دمجه معه، لكنني أردت فصله عن سابقه لأهميته وإبرازه؛ حيث كان هؤلاء الذين يلبسون لباس العلماء ويدعون العلم يمارسون أدوارًا لا تقل خبثا ولا خيانة عما قام به الإعلام الرسمي؛ في قلب الحقائق، وتخذيل الناس، وتثبيط الجماهير، ولهذا كان لابد لهم هنا من وقفة خاصة.

وقد سبقت الإشارة في المدخل لهذا الكتاب أن قسمنا الحكومات والعلماء إلى أربعة أنماط ومواقف، ومن مواقف العلماء ذكرنا من كان ضد الثورة بتوظيف خاطئ لبعض النصوص الشرعية، وتنزيل آثم لبعض المفاهيم الفكرية، وبعضهم ميَّع الموقف ولم يكن واضحًا، وبعضهم صمت ولم ينبس ببنت شفة، فضلا عن العلماء الصادقين الذي أيدوا الثورة ورعوها من البدء للختام؛ قولًا وعملًا.

ولقد دعا الإمام القرضاوي في أكثر من موضع من خطاباته علماء الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وشيخ الأزهر ومفتي الجمهورية وعلماء مصر ودعاتها وخطبائها إلى تأييد الثورة، والوقوف بجانبها، والانضمام إليهم بزيهم وعمائمهم؛ حتى يستوعب الموقف من البداية ويرفع الحرج عن بعضهم ممن هم لا ينفكون عن الحرج الحكومي بحكم مناصبهم، فاستجاب لندائه الكثير، ولكنه فوجئ بمواقف بعضهم لا تتناسب مع الموقف، بل تحرض وتصد عن طريق الثورة على الظلم، والصدع بالحق أمام الطغاة.

من ذلك: ما جـاء في كلمته لقناة الجزيرة الإخبارية مسـاء الأربعاء الدامي ٢ فبراير ٢٠١١م: «أنا دعوت شيخ الأزهر من قبل، وأرسلت له رسالة ـ يبدو أنها رسالة خاصة لم تنشـرها وسـائل الإعلام ـ أن يقف مع الشـعب ولا يقف مع أعداء الشـعب، ولكن للأسف صدر منه تصريح اليوم يدين المتظاهرين، يدين المظلومين ولا يدين الظالمين، ويقول: إن الذين يدعون إلى هذه المظاهرات ليس في قلوبهم ذرة من إيمان[1]، ولماذا لا تقول هذا على الذين يقفون ضد هذه المظاهرات، كل ما تطلبه هذه المظاهرات هو بعض حقوقهم، يطلبون أن يتعيشـوا من حلال، يطلبون الحرية، يطلبون الكرامة، أهذا ممنوع على الناس؟».

وفـي جمعـة الرحيـل التي أذيع طـرف من خطبتهـا في إذاعـة ميـدان التحرير، قال مخاطبًا الشـباب: «اثبتوا أيها الشـباب، لا تستمعوا إلى المثبطين الخانعين والضائعين، لا تسـتمعوا لهؤلاء، للأسف وجدنا من يثبط الشباب، وبعضهم يرتدي زي العلماء، لا تسمعوا لهؤلاء العلماء، فكثير منهم إما ملبس عليهم التبس عليهم الحق بالباطل، ولم يـروا الأمر علـى حقيقته، ولعل الله ينيـر بصائرهـم، وكثير منهـم ممن يسـمونهم الناس علماء السلطة وعملاء الشرطة، فهم لا يعملون للدين، وإنما يعملون للدنيا، اثبتوا أيها الشـباب، إنكم تقومون بفرض كفاية عن أمة مصر وعن شـعب مصر، شعب مصر لابد أن يكون فيه من يتحرك لإحقاق الحق وإبطال الباطل، أنتم الذين قمتم بهذا الأمر نيابة عن شعب مصر».

ومـع هـذا لـم ييأس مـن هذه النوعيـة من العلمـاء أو يعـرض عنهم، فقال فـي بيانه إلـى الشـعب المصـري العظيم بتاريـخ ٦ فبراير: «وإنـي أنادي كبار العلمـاء، وأعضاء مجمع البحوث الإسـلامية، على رأسـهم فضيلـة الإمام الأكبر شـيخ الأزهر، وفضيلة

(١) ممن ركز الشيخ القرضاوي على موقفهم موقف شيخ الأزهر د. أحمد الطيب، وكان ينبغي ألا يفوته مفتي مصر د. علي جمعة، الذي كان موقفه في غاية السوء قبل وأثناء وبعد الثورة.

مفتـي الجمهورية، أن ينضمُّوا إلى الاحتجاجات السـلميَّة، حتى لا يعدَّهم الناس ممَّن يسمِّيهم الناس: علماء السلطة، أو عملاء الشرطة!».

ونادى الشباب مرة أخرى في خطبة التنحي، فقال: «يا شباب مصر أنتم المنصورون ... أنتـم جنـد اللـه، لأنكم تدافعون عن الحـق ضد الباطل، وتدافعـون عن العدل ضد الظلم، وتدافعون عن الصلاح ضد الفسـاد، وتدافعون عن الخير ضد الشـر، ومن كان كذلك لابد أن ينصره الله عز وجل... سـتجدون ثمرة جهادكم عن قريب، سـتقر أعين المؤمنيـن، وسـتبكي أعين الظالميـن ومن آزر الظالميـن ومن أيد الظالمين، للأسـف وجدنـا ممـن يُعتبرون من علماء الدين مـن يؤيد الظالمين، ومن يثبـط المؤمنين، ومن يتهـم هؤلاء الشـباب بأنهم دعاة فتنة، أي فتنة؟ الفتنة هي الـذي يفعلونه هم، هم الذين يثيـرون الفتن، ويقفون ضـد المجاهدين، نحن أُمرنا أن نقاوم الظلم، الإسـلام يدعونا إلى ألا نظلم ولا نعين ظالما».

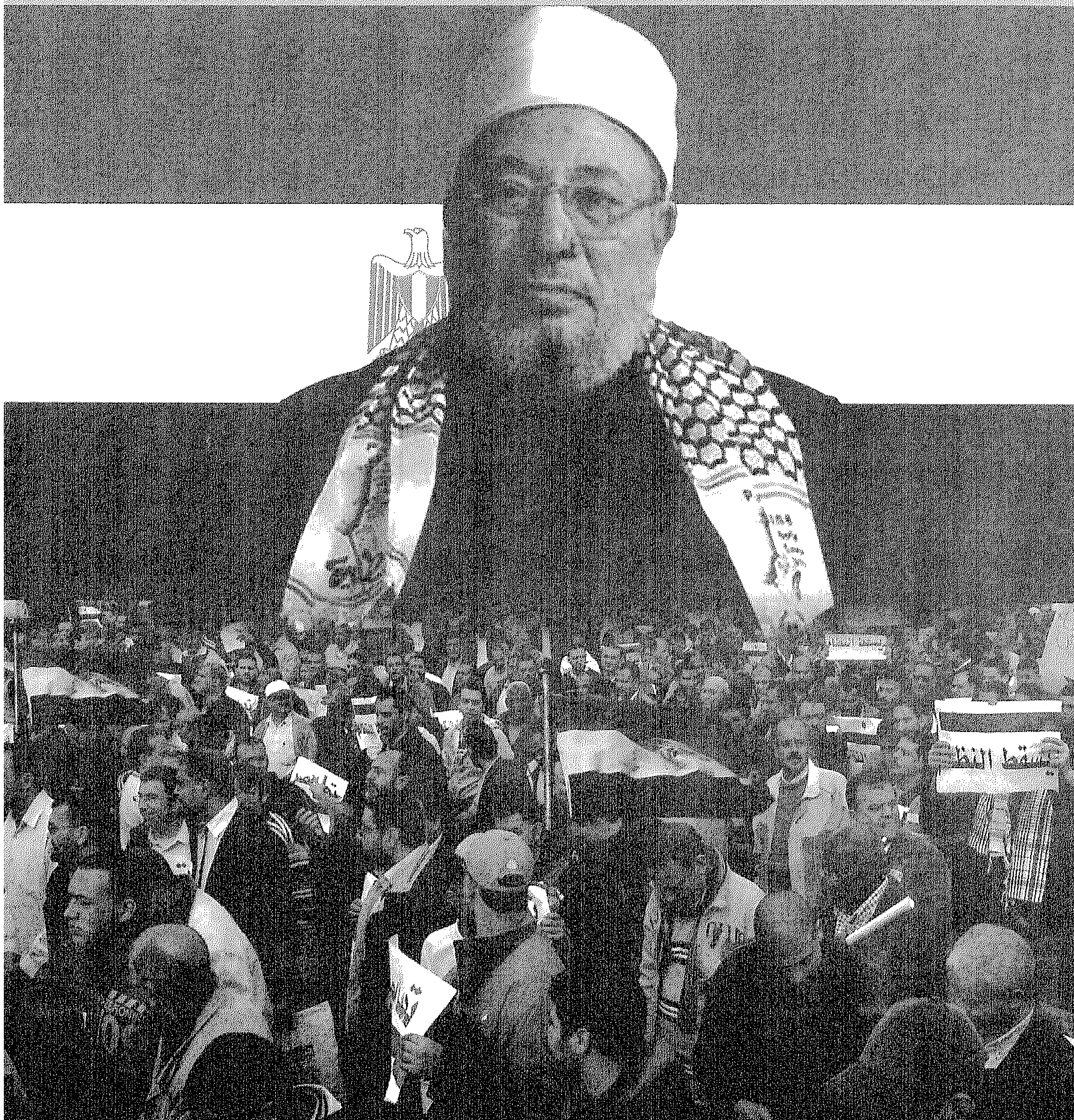
وسـاق الشيخ أحاديث من السنة مما سـبق ذكره ثم قال لهؤلاء العلماء: «ماذا يقول هـؤلاء فـي هذه الأحاديـث، ماذا يقـول المثبطون؟ يقفون أمام شـعب كامل، الشـعب المصـري بقضـه وقضيضـه، أنا أرى أن هذه الثـورة ممثلة لكل الشـعب المصري بكل أطيافـه إلا هذه الفئات الذيـن حجبهم الله عن البصر وعن البصيـرة، لم يبصروا الحق وهو أمام أعينهم، لأنهم عطلوا أجهزة المعرفة والإحساس عندهـم».

كان هـذا خطـاب إمامنا الثائر للكشـف عن الموقف الصحيـح، وبيان زيـف موقف هـؤلاء العلمـاء الذين صـدَّروا خطابًا يصد عن الحق وعن سـبيل الله، فانكشـفوا أمام جماهير الثورة، وسقطوا من أعينهم، بل من أعين العالم كله: علماء وطلاب علم، وهكذا تكشف المواقف والشدائد عن معادن الناس، ويميز الله بها الخبيث من الطيب.

الفصل الثاني

قواعد حاكمة لخطاب القرضاوي

في الثـــورة



في هذا الفصل نستنتج بعض القواعد الشرعية التي حكمت خطاب الإمام في حديثه للثورة المصرية، وإذا كانت المنطلقات مثلت أهمية كبرى حيث إنها الأساس الذي انطلق منه الخطاب، والمهاد الذي نشأ فيه، فإن القواعد الشرعية تمثل السياج الحامي والحاكم والضابط لجوانب الخطاب المختلفة التي تمثل جزءًا من شرعيته ومشروعيته.

ومن القواعد التي حكمت الخطاب الشرعي للقرضاوي في الثورة، ومنحته مزيدًا من المشروعية والشرعية، وميزته بالقوة والتأثير، ونحت به نحو الواقعية والتطبيقية والتنزيلية الصحيحة ـ ما يلي:

حق الأمة مقدم على حق الأفراد، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والمشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع، وللوسائل حكم المقاصد، والأمور بمقاصدها، وحقوق الله مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبنية على المشاحة والمضايقة، والظني لا يقاوم القطعي فضلا عن أن يقدم عليه، وكذلك المحكم لا يقدم عليه المتشابه، والمبين لا يقدم عليه المجمل، ودرء أعظم المفاسد بارتكاب أخفها، وجلب أعظم المصالح بتفويت أدناها، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وتصرف الحاكم على الرعية منوط بالمصلحة، وغير ذلك من قواعد.

وهي قواعد مستخرجة من خطابه بشكل عام، وليس بالضرورة أن أذكر في جميع القواعد تطبيقًا منقولًا، وإنما يكفي أن يوجد ما يدل على القاعدة تطبيقيًّا في ضوء المنطلقات السابقة، ومن الروح العامة للخطاب عبر التأمل في مقاصده وأسراره وتوجُّهاته وملابساته.

وقد أوردت القاعدة، وشرحت المراد بها عند غموضها، وأدلتها، وأوردت لها تطبيقات من كلام الفقهاء والأصوليين، ثم أوردت تطبيقاتها من خطاب الشيخ للثورة.

القاعدة الأولى
حق الأمة مقدم على حق الفرد

من القواعد التي حكمت الخطاب الشرعي للقرضاوي في هذه الثورة أن حق الأمة مقدم على حق الأفراد، وقد تحدث هو عن ذلك في دراسته الجديدة والجادة عن فقه الأولويات، ولهذا رأيت أن أنقل ما قاله عن ذلك هنا ـ على طوله ـ لأهميته، قال تحت عنوان: «أولوية حقوق الجماعة على حقوق الأفراد»:

«ومما يذكر هنا أيضا في فقه الأولويات: أن الفرائض المتعلقة بحقوق الجماعة مقدمة على الفرائض المتعلقة بحقوق الأفراد؛ فإن الفرد لا بقاء له إلا بالجماعة، ولا يستطيع أن يعيش وحده، فهو مدني بطبعه، كما قال القدماء، أو هو حيوان اجتماعي كما قال المحدثون. فالمرء قليل بنفسه، كثير بجماعته، بل هو عدم نفسه، موجود بجماعته؛ ومن هنا كان الواجب المتعلق بحق الجماعة أو الأمة أوكد من الواجب المتعلق بحق الفرد.

ولهذا قرر العلماء في التعارض بين الجهاد ـ إذا كان فرض كفاية ـ وبين بر الوالدين، أن بر الوالدين مقدم، كما ثبت من الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها، ولكن إذا كان الجهاد فرض عين، كما إذا غزا الأعداء الكفار بلدًا من بلاد الإسلام، ففرض على أهله كافة أن يهبوا للدفاع عن بلدهم. فإذا عارض بعض الآباء أو الأمهات ـ بمقتضى عواطفهم ـ في اشتراك أبنائهم في هذا الجهاد الدفاعي، فلا عبرة بمعارضتهم شرعًا.

صحيح أن برهما وطاعتهما فرض عين، كما أن الجهاد هنا فرض عين، ولكن فرض الجهاد هنا، لحماية الأمة كلها، ومنها الوالدان، فلو سقط البلد، أو هلك أهله، لهلك الأبوان فيمن هلك، فالجهاد هنا لمصلحة الجميع، وقد يعبر عن ذلك بأن الجهاد هنا حق الله، والبر حق الوالدين، وحق الله تعالى مقدم على حق خلقه.

وهذا تأكيد للمقولة السابقة، فكثيرا ما تكون كلمة «حق الله» تعبيرًا عن حق الجماعة أو الأمة؛ إذ إن الله تعالى لا تعود عليه مصلحة من وراء هذه الأحكام، فإنما هي أولا وأخيرًا لمصلحة عباده.

وتطبيقا لهذه القاعدة: ـ والكلام لا يزال للشيخ ـ تقديم حق الأمة على حق الفرد، أجاز الإمام الغزالي وغيره رمي المسلمين إذا تترس العدو بهم (أي احتمى بهم وجعلهم ترسًا له في مقدمة جيشه) بشروط معينة، مع أن من المقرر الذي لا نزاع فيه: أن حقن دماء المسلمين واجب، وأنه لا يجوز سفك دم من مسلم بغير حق. فكيف استجاز مثل الغزالي رمي هؤلاء المسلمين البرآء في جيش العدو الكافر؟.

إنما استجاز ذلك وكل من وافقه، صيانة للجماعة، وحفظًا للأمة من الهلاك، فإن الفرد يمكن أن يعوض، أما الأمة فلا عوض عنها.

يقول الفقهاء: لو أن الأعداء تترسوا ببعض المسلمين، كأن كانوا أسرى عندهم أو نحو ذلك، وجعلوهم في مواجهة الجيش المسلم، ليتقوا به، وكان في ترك هؤلاء الغزاة خطر على الأمة الإسلامية جاز قتالهم، وإن قتلوا المسلمين الذين معهم، مع أنهم معصومو الدم لا ذنب لهم، ولكن ضرورة الدفاع عن الأمة كلها اقتضت التضحية بهؤلاء الأفراد خشية استئصال الإسلام واستعلاء الكفر، وأجر هؤلاء الأفراد على الله.

ولهذا، رد الإمام الغزالي اعتراض من يقول في هذه الصورة: «هذا سفك دم معصوم محرم، بأنه معارض؛ لأن في الكف عنه إحلال دماء معصومة لا حصر لها، ونحن نعلم

أن الشرع يؤثر الكلي على الجزئي، فإن حفظ أهل الإسلام عن اصطلام الكفار أهم في مقصود الشرع من حفظ دم مسلم واحد، فهذا مقطوع به من مقصود الشرع»، وهذا ـ كما رأينا ـ مبني على فقه الموازنات.

ومثل ذلك: إذا اقتضت ظروف الحرب فرض ضرائب على القادرين وأهل اليسار لتمويل الجهاد، وإمداد الجيوش، وإعداد الحصون، ونحو ذلك من احتياجات الحرب، فإن الشرع يؤيد ذلك ويوجبه، كما نص على ذلك الفقهاء، وإن كان الكثير منهم في الأحوال المعتادة لا يطالب الناس بحق في المال غير الزكاة. واستدل الغزالي لذلك بقوله: «لأنا نعلم أنه إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشرع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين، وما يؤديه كل واحد منهم (أي المكلفين بالضرائب الإضافية) قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه وماله، لو خلت خطة الإسلام (أي بلاده) عن ذي شوكة يحفظ نظام الأمور، ويقطع مادة الشرور».

ومثل ذلك: فك أسرى المسلمين، وتخليصهم من ذل أسر الكفار، مهما كلف ذلك من الأموال. قال الإمام مالك: يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم، وإن استغرق ذلك أموالهم.

هذا؛ لأن كرامة هؤلاء الأسرى من كرامة الأمة الإسلامية، وكرامة الأمة فوق الحرمة الخاصة لأموال الأفراد[1]. ا.هـ.

ومن تطبيقات ذلك على خطاب الإمام الثائر للثورة المصرية: أن هناك أفرادًا ماتوا وسفك دماؤهم وجرحوا جراحات متفاوتة، ولكن يُقدَّم عليه حق الأمة في العيش الكريم والحرية وحقن دماء الشعب التي تسيل وأرواح الشعب التي تزهق ليل نهار في مقرات الشرطة ومقرات جهاز أمن الدولة.

(١) في فقه الأولويات: ١٢٤-١٢٦. مكتبة وهبة. القاهرة. الطبعة الرابعة. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ومراجعه.

وإذا قيل: أليس في هذا إباحة دم حرام بغير حق؟ قلنا ما قاله أبو حامد الغزالي حين اعترض ـ كما أوردناه في كلام القرضاوي ـ على من يقول في هذه الصورة: «هذا سفك دم معصوم محرم، بأنه معارض؛ لأن في الكف عنه إحلال دماء معصومة لا حصر لها، ونحن نعلم أن الشرع يؤثر الكلي على الجزئي».

وهناك أفراد أضيروا في معاشهم وأعمالهم التي تعطلت بعض الوقت جراء أحداث هذه الثورة، لكن ينبغي أن يقدم حق الأمة: إنسانيًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا... الخ، على حقوق الأفراد؛ لأن في إحياء حقوق الجماعة إحياء لحقوق الأفراد على المدى الطويل، وإن أضير بعض الأفراد لبعض الوقت؛ لأن في القيام بالثورة والانتفاضة إحياء حقيقيًّا طويلًا لحقوق الجماعة، ومنها حقوق هؤلاء الأفراد.

ولهذا وجه نداءه في بيان الاتحاد لكل فصائل المجتمع وكل طبقاته: «إلى أن يَدَعوا شواغلهم الخاصَّة، وينضمُّوا إلى هؤلاء الشباب الأطهار من أبنائهم، ولتتخلَّ كلُّ فئة منهم عن طلباتها الخاصة، وأهدافها الخاصة، وتركِّز على طلب واحد، هو الذي يردده شبابهم وأبناؤهم، والمعبِّرون عنهم».

ولهذا فإن قاعدة حق الجماعة أو الأمة مقدم على حق الأفراد كانت قاعدة حاكمة لخطاب القرضاوي في هذه الثورة، ويجب أن تكون قاعدة حاكمة في كل خطاب.

القاعدة الثانية

لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة(١)

البيـان هو: رفع الإيهام، والتعريف، والإعلام بما ليس بمعروف(٢)، ومراد القاعدة: أن كل مجمل أو مطلق أو عام أو مشترك أو مجاز أو غير ذلك مما يحتاج للبيان لا يجوز تأخيـر البيـان عند وقت الاحتيـاج إليه، وهو الوقـت الذي إذا فـات المكلف لا يمكنه الإتيـان بالعمل(٣)، وقد أجمع العلماء على ذلـك(٤) إلا من يجوّز التكليف بما لا يطاق وهـم المعتزلـة، وصورته كما يقول ابن النجـار أن يقول: صلوا غدا، ثم لا يبين لهم في غد كيف يصلون ونحو ذلك(٥).

---

(١) المستصفى للغزالي : ١٩٢. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٣هـ شرح الكوكب المنير لابن النجار: ٣/ ٤٥١، وما بعدها. تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد. مكتبة العبيكان. الطبعة الثانية. ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧ م، وانظر: البحر المحيط للزركشي: ٢/ ٣٧٠. تحقيق: د. محمد محمد تامر. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) انظر المستصفى للغزالي: ١٩١، وكشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعلاء الدين البخاري: ٣/ ١٦١. تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الإحكام للآمدي : ٣/ ٢٩. تحقيق: د. سيد الجميلي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر البحر المحيط للزركشي: ٣/ ٧٨ .

(٤) المستصفى للغزالي: ١٩٢، وانظر: التلخيص في أصول الفقه للجويني: ٢/ ٢٠٨. دار البشائر الإسلامية. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، وراجع المصادر السابقة.

(٥) شرح الكوكب المنير لابن النجار: ٣/ ٤٥٢.

ومن فروع هذه القاعدة: أن النبي ﷺ لم ينه حمزة بن عمرو عن سرد الصيام، وأرشده إلى يوم ويوم، ولو كان أفضل في حق كل الناس لأرشده إليه وبينه له(1)، ومنها: القول بعدم وجوب الكفارة على المرأة إذا واقعها زوجها في نهار رمضان، قالوا: «إن النبي ﷺ لم يعلم المرأة بوجوب الكفارة عليها مع الحاجة إلى الإعلام، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة»(2)، ومنها: عدم وجوب التكبيرات التي للركوع وللسجود وللقيام من سجود أو تشهد أوسط، قالوا: «لا يجب لأن النبي ﷺ لم يعلمها المسيء في صلاته، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة»(3).

وبيان إمامنا الثائر لم يتأخر عند وقت الحاجة في أوقات الثورة جميعًا؛ فقد شهد الشيخ شرارة الثورة الأولى يوم الثلاثاء ٢٥ يناير، وقد كان في ملتقى خريجي الأزهر بالقاهرة، ثم بعد ذلك تحدث لجريدة الشروق يوم الخميس ٢٧ يناير، ثم تحدث لقناة الجزيرة مباشر ٢٨ يناير، ثم تحدث إلى قناة الجزيرة الإخبارية السبت ٢٩ يناير، ثم بيان اتحاد العلماء في ٣٠ يناير، ثم كلمة ودعاء لقناة الجزيرة الإخبارية يوم الأربعاء الدامي ٢ فبراير، ثم جمعة الرحيل ٤ فبراير، ثم بيانه للشعب المصري العظيم يوم ٦ فبراير، ثم خطبة جمعة التنحي يوم ١١ فبراير، ثم كلمة لقناة الجزيرة الإخبارية بعد التنحي بقليل مساء الجمعة ١١ فبراير، ثم خطبة جمعة النصر في ميدان التحرير بالقاهرة يوم ١٨ فبراير.

وكان في كل هذه الخطابات يبين الأحكام، ويظهر الحلال والحرام، ويخاطب جميع الجهات بما يجب عليها وما يحرم عليها.

(1) شرح النووي على صحيح مسلم: ٨/ ٤١-٤٢. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الثانية. ١٣٩٢هـ.

(2) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد: ٢٧٥. تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، و الحاوي في فقه الشافعي للماوردي: ٣/ ٤٢٥. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ- ١٩٩

(3) الكافي لابن قدامة: ١/ ٢٩٨. تحقيق عبد الله التركي. طبعة هجر. القاهرة.

فقد أمر مبارك بالرحيل، وهو واجب عليه لأن الشعب رفضه، ولأن برحيله ستحقن الدماء والأرواح والأموال، وهو الذي يتحمل إثم ما جرى لمصر أثناء الثورة وقبل الثورة، مبينًا واجبات الحاكم، ووضعيته مع الأمة، وفقه الخروج بأبعاده المختلفة.

وخاطب الجيش بما يجب عليه، وهو أن يتدخل لحماية الشعب، ويحرم عليه أن يتعرض للشعب بسوء أو أذى، وأن من واجبه أن يقود البلد لمرحلة انتقالية أو يسندها لرئيس المحكمة الدستورية أو لجنة من الحكماء.

وخاطب الثوار بما يجب عليهم، فأكد أنهم يقومون بفرض كفاية عن مصر، وأن الله قدر عليهم أن يقوموا بهذه المسئولية، وأوصاهم بالثبات والاستمرار والحذر، وحرم عليهم أن يفسدوا شيئًا أو يخربوا المجتمع أو يقتلوا أحدًا، بل يجب أن تظل ثورتهم سلمية بيضاء.

وخاطب العلماء والدعاة، وأوضح لهم وجوب المشاركة والانضمام للثوار، وحرمة التأخير عن ذلك؛ فضلا عن المعارضة والتثبيط الذي مارسه بعض المتنسبين للعلماء، إما جهلا بتوصيف الواقع، أو مكرًا وممالأة للسلطان.

وخاطب الشعب المصري كله، وبين له أنه من الواجب على كل قادر النزول للميدان مع الثوار، لأن في نصرهم نصرًا للحق، ونصرًا للخير، ونصرًا للعدل.

وخاطب الشرطة والمجرمين و»البلطجية»، وبين لهم حرمة وخطورة ما يقومون به من قتل وسفك وتجريح، وأنهم يجب أن يستيقظوا مما وقعوا فيه من تغرير وتلبيس.

وخاطب مؤسسات المجتمع المدني المحلية والعالمية بوجوب التدخل لمنع هذا السفك والخراب، فإن في تأخرهم مزيدًا من الدماء وإزهاق الأرواح والجراح.

كل هذه الجهات، وغيرها، بين لها القرضاوي ما يجب عليها وما يحرم، وهو بيان لم يتأخر عن وقت الحاجة، فالجميع في المشهد كان على علم بحقوقه وواجباته، وما يجوز وما لا يجوز، وقد أثبتت الأحداث وعي جماهير الثورة بهذه الأحكام الشرعية التي شكل القرضاوي جزءًا لا يُنكر منه بخطابه لها.

القاعدة الثالثة

ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب [1]

الواجب هو: ما تعلق العقاب بتركه[2].

ومراد القاعدة: أن ما ورد فيه الدليل بإيجابه، وكان ذلك الواجب لا يؤدَّى إلا بعمل من الأعمال حتى يمكن فعله، فإن ذلك العمل المؤدي إلى الواجب يعتبر واجبًا، ولو لم يرد فيه دليل على وجوبه.

ومن فروع القاعدة: قال الزركشي: «إذا لم يمكن الكف عن المحظور إلا بالكف عما ليس بمحظور كما إذا اختلط بالطاهر النجس كالدم والبول يقع في الماء القليل أو الحلال بالحرام فإما أن يختلط ويمتزج بحيث يتعذر التمييز فيجب الكف عن استعماله ويحكم بتحريم الكل»[3].

---

(١) راجع القاعدة في: المستصفى للغزالي : ٥٧، ٦٦، وشرح الكوكب المنير: ١/ ٣٦٠. وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة: ٣٣. تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد. جامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض. الطبعة الثانية. ١٣٩٩هـ.

(٢) اللمع في أصول الفقه للشيرازي: ١١. دار الكتب العلمية. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م، وانظر في تعريفات الواجب مثلا: شرح الكوكب المنير: ١/ ٣٤٩، وكشف الأسرار: ٢/ ٤٣٦.

(٣) البحر المحيط: ١/ ٢٠٧.

ومنهـا مثلا: مـا لا يتـم إيصال الـزكاة إلى مسـتحقيها أو بعضهـم إلا بـه فهو واجب، من التعرف على الفقراء والمسـاكين ودعوتهم إلى أخذها أو نقلها وإيصالها إليهم، أو إعطائها لمن يوصلها إليهم مباشرة، توزيع زكاته بنفسه أفضل لأنه يؤدي ركن دينه.

ومـن تطبيقاتهـا في خطاب الشـيخ الإمام أن الفسـاد الذي جـرى، والكبت والقهر والاسـتبداد الـذي بلـغ مـداه كان لابـد من تغييـره والوقوف ضـده، ولن يتـم ذلك إلا بالخروج في مظاهرات حاشدة، تؤدي إلى تغيير شامل.

كما أن اسـتمرار الثورة كان يوجب أن ينضم إليها كل فئات الشـعب؛ ولهذا خاطب الأطباء والمهندسين والمحامين والصحافيين والإعلاميين والعلماء والدعاة والعلميين بضـرورة انضمامهـم للثوار، وأن يقوم كل منهم بدوره، حتى يتقوى ظهر الثورة ويُشـد أزرها، وتستمر في طريقها تحقيقًا لأهداف الثورة.

بل إنه نص على هذه القاعدة صراحة في بيانه للشعب المصري العظيم حين استعرض الظلم الهائل الذي وقع من مبارك على الشعب، ثم قال: «ولهذا كان النزول إلى الشارع ـ وخصوصًـا يوم الجمعة ـ للمشـاركة في الاحتجاج: واجبًا شـرعًا على كلِّ قادر على الوصـول إلـى أماكن التجمُّع، وليس لـه عذر يمنعه؛ لأن هذه وسـيلة إلى التخلُّص من الفرعون، دون مزيد من الخسائر في الأرواح، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب».

ولما كان لكل ثورة سُـرَّاق يسـرقونها، ويوجهونها إلى غير مـا قامت له، كان يجب التحذير من ذلك والتنبيه عليه، ولفت نظر الثوار إليه، فمع وعيهم أوجب عليهـم الإمام القرضـاوي الحـذر واليقظـة والحـرص على الثـورة من أن يسـرقها مـن يوجهها لغير أهدافها، وتضيع الجهود والدماء والأرواح والجراح سدى وهباء...

قـال هـذا في ثورة تونس، وفـي ثورة مصر، واعتبر أن الثورة لا زالت مسـتمرة حتى تحقيـق كامل أهدافهـا، وبهذا تكون القاعـدة عملت عملها قبل الثـورة، وأثناء الثورة، وبعد الثورة..!

القاعدة الرابعة

المشقة تجلب التيسير[1]

المشقة هي: الثِّقَل والشدة والعَناء، والتيسير هو: التسهيل، وهذه القاعدة من القواعد الكبرى الخمس التي يُرجع إليها العلماء جميع مسائل الفقه[2].

ومراد القاعدة: أن المشقة الواقعة على المكلف نحو مرض أو سفر يوجب الشرع لها تسهيلًا وتخفيفًا؛ مما يعكس مراعاة الشرع لحال المكلف وطاقته، واتسام التكاليف وبناءها بالسماحة، وهو ما اصطلح العلماء على تسميته بالرخص؛ ولذا فإن هذه القاعدة يخرِّج عليها العلماء من مختلف مذاهبهم جميعَ رخص الشرع وتيسيراته.

ولا يراد بالمشقة في القاعدة كل مشقة[3]؛ فمما يقع تحت مسمى المشقة مشقة لا تنفك العبادة عنها، مثل الوضوء والغسل في البرد، والصوم في الحر، ومشقة الحج، فلا أثر لهذه المشقات في تخفيف الأحكام[4].

(١) الأشباه والنظائر لابن السبكي: ١/ ٥٩. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى ١٤١١هـ. ١٩٩١م، وللسيوطي: ٧٦. دار الكتب العلمية. ١٤٠٣هـ ولابن نجيم: ٧٥. دار الكتب العلمية. ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.

(٢) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي: ٧ - ٨.

(٣) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ٢/ ٧. تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي. طبعة دار المعارف. بيروت، والموافقات: ٣/ ١٩٨.

(٤) قواعد الأحكام: ٢/ ٧.

والعلماء يستدلون لهذه القاعدة بالكتاب كما في قوله تعالى : {يريد الله أن يخفف عنكـم} وغيـر ذلك من الآيات. والسـنة، كما في قوله ﷺ في حديـث عن أبي هريرة : «إن الدين يسر»[1]. كما يستدلون بالإجماع، والاستقراء[2].

ومن فروع هذه القاعدة: جميع الرخص التي شرعها الله ترفيهًا وتخفيفًا عنة المكلف لسبب من الأسباب التي تقتضي هذا التخفيف، وهذه الأسباب بالاستقراء سبعة:

السفر: ومن أجله أبيح الفطر في رمضان، وقصر الصلاة الرباعية، وسقوط الجمعة، والجماعة، والتيمم.

المرض: ومن أجله أبيح الفطر في رمضان، التيمم، والصلاة قاعدًا، وتناول المحرم للعلاج.

الإكـراه: ومن أجله أبيح للمكره التلفـظ بكلمة الكفر، وترك الواجب، وإتلاف مال الغير، وأكل الميتة، وشرب الخمر.

النسـيان: ومن أجله رفع الإثم عمن ارتكب معصية ناسـيًا، ولـم يبطل صوم من أكل فـي نهار رمضان أو شـرب ناسًـا، ولم تحرم ذبيحة من ترك التسـمية عليهـا عند ذبحها ناسيًا.

الجهـل: ومن أجله سـاغ رد المبيع بالعيب لمن اشـتراه جاهلًا بعيبه، وسـاغ فسـخ الـزواج بالعيـب لمـن تزوج جاهـلًا به، واغتفـر التناقض فـي دعوى النسـب للجهل، وكذلك اغتفر التناقض للوراث والوصي وناظر الوقف للجهل.

---

(١) البخاري : كتاب الإيمان. باب الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

(٢) الموافقات ٢/ ٢١٢.

عموم البلوى: ومن أجله عفي عن رشـاش النجاسـات من طين الشوارع وغيره مما لا يمكن الاحتراز عنه، وعفي عن الغبن اليسير في المعاوضات.

النقـص: ومـن فروعه: رفـع التكليف عن فاقـد الأهلية كالطفـل والمجنون، ورفع بعض الواجبات عن الأرقاء وعن النسـاء، ولـذا لا تجب عليهن الجمعة ولا الجماعة، ولا الجهاد[١].

ومن تطبيقات هذه القاعدة في خطاب القرضاوي للثورة أنه في خطبة النصر؛ ونظرًا للأعداد الهائلة التي صلت خلفه؛ حيث بلغت ثلاثة ملايين، قال لهم بعد الخطبة وقبل الصلاة: «أيها الإخوة المصلون: هذا الزحام المبارك، حوالي ثلاثة مليون، يجوز لمن لم يستطع أن يصلي خلف الإمام أن يصلي أمام الإمام، الإخوة الذين يصلون في الأمام يجوز، ومن لم يجد مكانًا يسـجد فيه فليسـجد على ظهر أخيـه، هذه الزحمة رحمة إن شاء الله، وسنصلي الظهر والعصر معا إن شاء الله».

فأجـاز الشـيخ هنا الصلاة أمـام الإمام، وهـو رأي فقهي معتبر، كمـا أجاز للمصلي السـجود على ظهر من أمامه. وأجاز لهم الجمع بيـن الظهر والعصر، والجمع موجود قبـل جمعة النصر بطبيعة الحـال، وبخاصة في الأيام المليونية، وكذلك غيرها لصعوبة الوضوء،وندرة أماكن الخلاء التي كانت مشكلة كبيرة في الميدان.

وهـذا كله تطبيق عملي واضح للقاعدة: «المشـقة تجلب التيسـير»، أو «كلما ضاق الأمر اتسـع»، فكل هذه المشـقات والضوائق والزحام جلب هذا التيسـير، وشرع هذه التوسعة.

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف: ٢٠٩. دار القلم. الطبعة الثامنة.

القاعدة الخامسة

الأمــور بمقاصــدها[1]

الأعمـال تشـمل: الأقـوال، والأفعـال. والنية: الإرادة. وتشـمل: العـزم، والقصد، والهمّ بالشيء.

ومراد القاعدة: أن الأعمال ـ أقوالًا كانت أم أفعالًا ـ تستحق الجزاء عليها بناءً على النيات والمقاصد؛ ولذلك اشـترطوا النيـة في صحة جميع العبادات، بمعنى إخلاصها للـه تعالى، وللنيـات والمقاصد أثر في ترتيب الأحكام الشـرعية علـى الأعمال، وفي تقرير الجزاء عليها، والنية يجب أن تكون موافقة لمقصود الشرع.

والعلمـاء يقسـمون النية إلى نوعيـن: نية تمييز، ونية قربة ، فالأولـى: تميز العبادات عـن العـادات، كما تميز العبادات بعضها عن بعـض؛ كالتمييز بين صلاة الظهر وصلاة العصر، أو بين الفرض والنفل، ومجال هذه النية هو ما لا يتميز من الأعمال بعضه عن بعض . والثانية: تعني أن المكلف إنما يقصد بعمله التقرب لله تعالى وابتغاء مرضاته، ومجال هذا النوع هو جميع أعمال المكلف.

ومعنى القاعدة مبثوث بكثرة في النصوص الشرعية، وقد عبرت عنها السنة النبوية، وذلك في حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[2].

(١) الأشباه للسيوطي: ص:٨، وللسبكي: ١/ ٦٥، وما بعدها، ولابن نجيم: ٢٧.

(٢) أول حديث في صحيح البخاري.

ومـن فروع هذه القاعدة: أن من غسـل أعضاء الوضوء تبـردًا لا لغرض العبادة فإنه لا يرفع حدثه ولا يجزئه، كما أن من ترك الطعام بين طلوع الفجر إلى غروب الشـمس لغرض الحمية والمداواة لا لقصد العبادة فإنه لا يعد صومًا شرعيًّا.

كمـا أن من فروعها أن الجاني يراعي في عقوبتـه قصده ونيته، فغير القاصد للجناية عقوبتـه مخففة عن الذي قصدها؛ فقتل العمد عقوبته مغلظة عن قتل الخطأ وقتل عمد الخطـأ، والقانونيون يعتبرون الأسـباب ـ وهي عندهم عبارة عـن الباعث على العمل ـ في الحكم.

ومـن تطبيقات هـذه القاعدة في خطاب شـيخنا الإمـام: أنه حكم علـى من يقتلون الثـوار بارتكابهـم كبيرة من أكبـر الكبائر للنصوص الواردة في تحريـم قتل النفس بغير حق، وأنه يكفر إذا استحل ذلك، كما ورد في حلقة الشريعة والحياة.

ومـن ذلـك ما ورد فـي أكثر مـن مقام من تحذيـره الجنـود أن يطيعـوا قادتهم حين يأمرونهم بالقتل وتوجيه الرصاص الحي لصدور الثوار، مبينًا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن ذلك حكمه على الضحايا من الثوار بأنهم شـهداء، جاء في بيان الاتحاد قوله: «ويبين الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هنا: أن المائة وخمسين قتيلا، الذين سقطوا برصاص رجال الأمن أو من يعمل لحسابهم من البلطجية والمجرمين، إنما هم شهداء عنـد الله؛ لأنهـم خرجوا مـن جوامعهم في صـلاة الجمعـة، متوضئة أيديهـم، طاهرة قلوبهم، محتسـبين عند الله ما يصيبهم من أذى، يطلبون حقوقهم وحقوق أمتهم، غير باغين ولا عادين، لا يحملون سـلاحًا، ولا ينوون ظلمًـا لأحد، فبُغي عليهم بغير حق، ووجِّـه الرصاص الحي إلى صدورهم، مـن أناس يفترض أن يحموهـم..فهؤلاء القتلى

شـهداء، لأنهم مقتولون ظلمًـا وعدوانًا، ولأنهم خرجوا من بيوتهـم بنية الجهاد، وهم يدخلون في مضمون الحديث الشريف: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله».

أمـا قاتلوهـم، فعليهـم لعنة اللـه والملائكة والنـاس أجمعين، وننذرهـم بقول الله سـبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء:٩٣

وبخاصـة أن القاتل هو المسـئول عن حماية أرواح النـاس وأموالهم، فكيف يصبح حارسُ الإنسان قاتلَه، وحاميه سارقه؟

وآمِرُوهم الكبار شـركاؤهم في الإثم، بل هم أكبر جرمًا، وأعظم إثمًا، وسينتقم الله منهم في الدنيا والآخرة، ﴿وَسَـيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء:٢٧٧.

ا.هـ.

القاعدة السادسة

حقوق الله مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبنية على المشاحة والمضايقة(١)

حق الله تعالى: «ما يتعلق به النفع العام من غير اختصاص بأحد، فنسب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه»(٢).

وحق العبد: عبارة عن المصالح الخاصة التي قررتها الشريعة له، وهو ما ألزم الله تعالى به العباد من إعطاء الحق لصاحبه وعدم التعدي عليه(٣).

ومراد القاعدة: أنه يُتساهل في حقوق الله عند التعارض مع حقوق العباد؛ فلو اجتمع الحقان في وقت واحد، ولم يمكن الجمع بينهما، فإن حق العبد يقدم في الاستيفاء على حق الله تعالى؛ وذلك لاستعلاء الله تعالى واستغنائه عن حقه؛ فلا يتضرر بفوات حقوقه ولا ينتفع بحصولها، وأما العبد ففقير محتاج لحقوقه ينتفع بحصولها، ويتضرر

---

(١) انظر: الإحكام للآمدي: ٢/ ٢٩٠، والقواعد لابن رجب: ٣٤١. مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة. ١٩٩٩م، والبحر المحيط للزركشي: ٤/ ٤٨١، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإسنوي: ٥١٥. تحقيق: د. محمد حسن هيتو. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ.

(٢) شرح التلويح على التوضيح لسعد الدين التفتازاني: ٢/ ٣١٥. تحقيق: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م، وكشف الأسرار: ٤/ ١٩٥.

(٣) شرح التلويح على التوضيح لسعد الدين التفتازاني: ٢/ ٣١٥.

بضياعها؛ ولشدة خصومة الله تعالى في حقوق العباد، وكثرة تجاوز الله تعالى وعفوه وتفضله وكرمه[1]؛ فحقوق الله تعالى التي لا تتعلق بحقوق الآدميين تسقط بالتوبة، وأما حقوق العباد فلا تسقط بالتوبة فقط دون ردها لأصحابها.

ومن فروع هذه القاعدة: أن المتمتع في الحج إذا مات وعليه هدي التمتع، ودين آخر لآدمي، فإن قضاء الدين من تركته مقدم على هدي التمتع[2]. ومن مات وعليه كفارة ودَين، فإن الدين يقدم على الكفارة من تركته[3]، وإذا اجتمع القصاص في اليد اليمنى وحد السرقة قدم القصاص؛ لأنه حق العبد ويسقط حد القطع لفوات العضو[4].

ومن تطبيقات هذه القاعدة في خطاب القرضاوي للثورة: حديثه عن الأموال المنهوبة والثروات المسلوبة، وبخاصة أن معظمها أموال الشعب وأموال عامة، والأموال العامة لا يتسامح فيها تسامح الأموال الخاصة مع التغليظ في الخاص والعام.

ومن ذلك: استعراض خطايا النظام في مصر ـ وكذلك في تونس وليبيا ـ خلال عقود بحق الشعب من ظلم وقهر وكبت وقتل وسفك وترويع وإرهاب وإرعاب، وحرمان للأمة من حقوقها الإنسانية الطبيعية.

ومن ذلك: ذكره للمسجونين السياسيين، والمعتقلين السياسيين، الذين لُفِّقت لهم تهم ظالمة، وحُكِم عليهم بسنوات ظلمًا وعدوانًا، أو اعتقلوا بغير جريرة، ومطالبته بالإفراج الفوري عنهم.

(١) انظر: الإحكام للآمدي: ٢/ ٢٩٠.

(٢) انظر شرح مختصر خليل للخرشي: ٨/ ١٩٧، حاشية الدسوقي: ٤/ ٣٤٧.

(٣) انظر نظرية التقعيد الفقهي للروكي: ١٩٨.

(٤) انظر المبسوط: ٩/ ١٨٥، بدائع الصنائع: ١٠/ ١٦٢، فتح القدير: ٥/ ٣٤١، حاشية ابن عابدين: ٤/ ٥٢.

كل هـذا يتصل بحقـوق العباد التي هي مبنية على عدم التسـاهل وعدم المسـامحة وعـدم التهـاون فيها؛ ولهذا لا يسـامح الله عبده المتعدي على حقـوق أخيه إلا إذا عفا هذا الأخ، فعفو الله مترتب على عفو العبد عن أخيه فيما يتصل بشأن حقوقه؛ ولهذا لا يقبل الله توبة عبد فيما يتصل بحقوق العباد إلا إذا رُدت الحقوق لأصحابها، والأموال لمستحقيها، والمظالم لمظلوميها، حتى الحقوق النفسـية والمعنويـة من إهانةٍ للناس وإهدار لكرامتهم، وتدمير لإنسـانيتهم، وترويع لأمنهم شـيبًا وأطفالا، رجالًا ونسـاء ـ لابـد من ردها، وتعويضها، والاعتذار عنهـا، وهي ربما تكون من الأهمية بما يزيد عن الحقوق المادية.

مـن أجل هذا كله كان التركيز في خطاب القرضاوي للثورة واضحًا في اسـتعراض حقـوق الشـعب التـي سـلبت، وأمواله التـي نهبـت، ومقدراته التـي عبث بهـا الطغاة والمسـتبدون، وقامت المجموعـات الحقوقيـة الدولية بتتبع ثروات مصـر، ومحاولة ردها، وتقديم السارقين لمحاكمات عادلة.

القاعدة السابعة

للوسائل أحكام المقاصد[1]

المراد بالوسائل هنا: الطرق المفضية إلى المقاصد[2]، والمقاصد هي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها[3]. ومن ثم؛ فإن مجال القاعدة يكاد يشمل جميع الفروع الفقهية، «ولما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها»[4]؛ فالوسائل تدور مع مقاصدها في الحكم حيث دارت؛ فما كان من الأحكام واجبًا فوسيلته واجبة، وما كان مندوبًا فوسيلته مندوبة، وهكذا[5].

كما ينبني على كون الوسائل معتبرة بالمقاصد تابعة لها أنه إذا تعارضت الوسائل مع مقاصدها وجب تأخيرها وتقديم المقاصد؛ فهي بمنزلة التابع مع متبوعه؛ ولا يجوز أن يعود التابع على متبوعه بالبطلان، وينبني على ذلك أيضًا أن يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد.

(١) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام: ١/ ٤٦، والفروق مع هوامشه للقرافي: ٢/ ٥٩. تحقيق خليل المنصور. دار الكتب العلمية. ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، والأصول من علم الأصول للعلامة ابن عثيمين: ٢٧. دار ابن الجوزي. ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر الفروق مع هوامشه للقرافي: ٢/ ٦٠.

(٣) الفروق مع هوامشه للقرافي: ٢/ ٥٩.

(٤) إعلام الموقعين، لابن القيم: ٣/ ١٦٤. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٥) راجع في هذا المعنى: قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام: ١/ ٤٦، موسوعة القواعد الفقهية، للبورنو: ٩/ ٢١٩.

والأدلـة على هذه القاعدة كثيرة ووفيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبـة: ١٢٠]، فترتب ثواب الله تعالى على الظمأ والنصب، لا لذات النصب والظمأ ولكن لكون ذلك وسيلة مفضية ومشقة مصاحبة للجهاد الذي يعز الإسلام ويصون المسلمين[1].

ومن فروع هذه القاعدة: في العبادات مثلًا يعتبر كل ما هو وسيلة للعبادة عبادة.

ومـن ذلك: حرمـة النظر للأجنبية؛ لأنه مُفضٍ إلى الزنا ووسـيلة إليـه؛ فالنظرة بريد الزنا، ومن ذلك: تحريم ربا الفضل الذي حرم لأجل أنه طريق لربا النسيئة المراد لذاته، وفي الحديث: «ما أسكر كثيره، فقليله حرام»[2]، بالرغم من كون القليل غير مسكر فإنه وسيلة للكثير؛ فأعطَى الشارع هنا للوسيلة حكمَ أصلِها ومتبوعها.

ومن تطبيقات هذه القاعدة في خطاب القرضاوي للثورة: ما جاء في حلقة «الشريعة والحياة» من رده على من قال إن المظاهرات بدعة، قال: «وبعضهم جعل هذا التظاهر اعتبـره بدعـة، وهذا غير مسـلم، أولا: البدعة حقيقة في أمر الديـن، وهذا ليس من أمر الديـن، أمـور الدنيا تقوم على الابتداع، وأمور الدين تقوم على الاتباع، فنحن نأخذ من الغرب أشـياء كثيرة، هل كان أيام الرسـول كان في مدارس مبنية وكذا وبتاع؟ هل كان في مجالس يعني مجلس شورى ومجلس شعب ومجلس... دي كلها أدوات وآليات، وسـائل تأخذها من كل من تشاء، ولذلك المسلمون أخذوا الدواوين، سيدنا عمر أول مـن دون الدواويـن ومصر الأمصـار والدواويـن أخذها من الروم دواوين وسـجلات وكـذا، وأخذ الخراج من الفرس، وعمل للمسـلمين تاريخًا كمـا عند بلاد الحضارات تاريخ، دي كلها ليست شيئًا مما يعتبر من الابتداع إطلاقًا».

(١) انظر: قواعد الأحكام: ١/ ١٠٥-١٠٦، الفروق، للقرافي مع هوامشه: ٢/ ٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله: كتاب الأشربة. باب: النهي عن المسكر.

وجعـل دعـم المتظاهرين وتطبيبهم وكف الأذى عنهم واجبًا لتحقيق المقصود وهو دحر الطغيان ورفع الظلم، ونشر العدل والحرية؛ ولهذا نصّ على ذلك في بيانه للشعب المصري العظيم: «النزول إلى الشـارع... للمشاركة في الاحتجاج: واجب شرعًا على كلِّ قـادر على الوصـول إلى أماكن التجمُّع، وليس له عذر يمنعه؛ لأن هذه وسـيلة إلى التخلُّـص من الفرعون، دون مزيد من الخسـائر فـي الأرواح، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب».

وحرم ما قام به البلطجية ـ وإن كان ما قاموا به محرمًا لذاته ـ لكنه في الوقت نفسـه وسيلة لغاية أكبر، وهو القضاء على الثورة بمطالبها الإنسانية والشرعية الحقة.

فهذه كلها وسائل يكون حكمها تابعًا لما قامت لتحقيقه من مقاصد، فما كان واجبًا فوسيلته واجبة، وما كان حرامًا فوسيلته حرام، وما كان مباحًا فوسيلته مباح، وهكذا.

القاعدة الثامنة

تصرف الحاكم على الرعية منوط بالمصلحة[1]

تبين القاعدة أن الإمام ليس له أن يتصرف في شيء من مجاري الأحكام بما يتشهى ويتمنى، ولكنه يبني أموره كلها، دقها وجلها، عَقْدَها وحَلَّها، على وجه المصلحة المشروعة في كل باب. وقد لخص الإمام الماوردي المصالح التي يجب على الإمام مراعاتها في قوله: «والذي يلزم سلطان الأمة من أمورها سبعة أشياء:

أحدها: حفظ الدين من تبديل فيه، والحث على العمل به من غير إهمال له.

والثاني: حراسة البيضة والذب عن الأمة من عدو في الدين أو باغي نفس أو مال.

والثالث: عمارة البلدان باعتماد مصالحها، وتهذيب سبلها ومسالكها.

والرابع: تقدير ما يتولاه من الأموال بسنن الدين من غير تحريف في أخذها وإعطائها.

والخامس: معاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها واعتماد النصفة في فصلها.

والسادس: إقامة الحدود على مستحقها من غير تجاوز فيها، ولا تقصير عنها.

والسابع: اختيار خلفائه في الأمور أن يكونوا من أهل الكفاية فيها، والأمانة عليها، فإذا فعل من أفضى إليه سلطان الأمة ما ذكرنا من هذه الأشياء السبعة كان مؤديًا لحق

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي: ١٢١، ولابن نجيم: ١٢٣.

الله تعالى فيهم، مستوجبًا لطاعتهم ومناصحتهم، مستحقًّا لصدق ميلهم ومحبتهم، وإن قصر عنها، ولم يقم بحقها وواجبها كان بها مؤاخذًا، ثم هو من الرعية على استبطان معصية ومقت، يتربصون الفرص لإظهارهما، ويتوقعون الدوائر لإعلانهما.»[1]ا.هـ.

ويقول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي -يرحمه الله-: «وظيفة حاكم ما في أي بلد مسلم، أن يحرس الإيمان، ويقيم العدالة، ويصون المصالح، فإذا فرط في أداء هذه الواجبات فقد قصر في أعمال وظيفته، ووجب تنبيهه وإرشاده، أما إذا هدم الإيمان بالإلحاد، وأضاع العدالة بالجور، وأهمل المصالح باللهو، فقد خرج عن طبيعة وظيفته ووجب إسقاطه»[2].

ويبين الغزالي متى ينحل العقد الذي بين الحاكم والمحكومين، فيقول: «والأمة في خل من السمع والطاعة بداهة إذا حكمت على أساس من جحد الفرائض، وإقرار المحرمات ونهب الحقوق وإجابة الشهوات؛ لأن معنى ذلك أن الحكم قد مرق من الإسلام وفسق عن أمر الله، وأن الحاكمين أنفسهم قد انسلخوا عن الدين، فليس لهم على أحد عهد !!»[3].

وما حدث في تونس ومصر -ويحدث في ليبيا واليمن والأردن وسائر البلدان العربية التي ضيع حكامها ورؤساؤها حقوق العباد، وجاروا على ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسينياتهم- ليس إلا تطبيقًا عمليًّا لما قاله الماوردي والغزالي؛ فقد أعلنت هذه الشعوب عند أول فرصة سنحت معصيتها ومقتها لحكامها الظالمين وأسقطوهم.

ومن تطبيقات هذه القاعدة في خطاب إمامنا الثائر للثورة المصرية: أنه بين أيضا وظائف الحاكم عند الأمة ووضعيته معها، وهو أنه أجير عندها، ووكيل عنها، وممثلا

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي: ١٥١. دار اقرأ. بيروت. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الإسلام والاستبداد السياسي: ١٦٠. طبعة نهضة مصر.

(٣) الإسلام والاستبداد السياسي: ١٦٢.

لها، وليس مستبدًّا بها، متألِّهًا فوقها، متعاليًا عليها، وإنما يحزن لحزنها، ويفرح لفرحها، ويعيش آمالها وآلامها، وأن للأمة حق توجيهه ونصحه، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومحاسبته ومحاكمته، وعزله إذا لزم الأمر.

ومن ذلك: أنه أمره بالخروج والرحيل؛ لأن العقد الذي بينه وبين الأمة انحلَّ بخروج الشعب المصري رافضًا له خالعًا طاعته وإمرته للظلم الذي وقع منه على الشعب، وسرقته ومن معه لثروات البلد.

ولما كان تصرف الحاكم على رعيته منوطًا بالمصالح التي ذكرها الماوردي، ولم يحقق الحاكم هذه المصالح، فلا سمع له ولا طاعة على الرعية، ومن حقهم في أقرب فرصة أن يثوروا عليه ويخلعوه، وهو ما حدث في مصر، ومن قبلها تونس، وهو ما أيده القرضاوي وآزره في فتاويه وخطاباته.

القاعدة التاسعة

كل ما خالف أصلا قطعيا مردود[1]

القطـع يطلقه الأصوليـون على الثبوت اليقيني الجازم الـذي لا يحتمل الكذب، أو ما يقطع الاحتمالَ الناشئ عن دليل[2].

تقرر هذه القاعدة أن النصوص الشرعية ليست على وزن واحد في القطعية وغيرها مـن ظن وشـك ووهم، فهي متفاوتة من هذه الجهـة، والظن أو القطع أو غيرهما يكون في النصوص من جهتين: جهة الثبوت، وجهة الدلالة.

ومما يتصل بهذا الموضوع، ما يلي:

أن المتشابِه يُرَدُّ إلى المحكم ويحمل عليه[3]، فالمُحكم لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، عند أكثر الأصوليين[4] وهو قول الكرخي والجصاص من الحنفية[5] والمتشابه يحتمل وجهين أو أكثر[6].

---

(١) الموافقات للشاطبي: ٣/ ٢٠٦.

(٢) وانظر: شرح التلويح على التوضيح، للتفتازاني: ١/ ٢٤٢.

(٣) الفصول في الأصول للجصاص: ١/ ٣٧٤. طبعة أوقاف الكويت بتحقيق د. عجيل النشمي، والبحر المحيط: ١/ ٣٦٩.

(٤) الفصول: ١/ ٣٧٧.

(٥) الفصول: ١/ ٣٧٣.

(٦) العقد المنظوم للقرافي: ١/ ٥٥١ ط: المكتبة المكية الأولى. ١٤٢٠هـ.

ومـن تطبيقـات هذه القاعدة: ما روى منسـوبًا للنبي ﷺ: «أنـا خاتـم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشـاء الله» فهذا الاسـتثناء الموجود في هذا النص معلوم أنه موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعًا، ومن أدلة ذلك كونه مخالفًا لقطعيات الشريعة، منها قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحـزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ: «وختم بي النبيون»[1]، ولمخالفته إجماع الأمة على أنه لا نبي بعده ﷺ. وكتب الموضوعات مليئة بالأمثلة لهذا الأمر.

وهكـذا، فإن الظنـي لا يقاوم القطعي؛ فضلا عن أن يقدَّم عليه، والمتشـابه لا يقاوم المحكـم؛ فضلا عن أن يقدم عليه، والمجمـل لا يقدم على المبين؛ فضلا عن أن يقدم عليه، قال الشـوكاني: «لا يقدم الدليل الظني على القطعي... لأنه إيثار للحجة الضعيفة علـى الحجة القوية، وكل عاقـل لا يصدر منه ذلك»[2]. وهذا يحل إشـكالات أصولية كبيرة، وينعكس بدوره على الاجتهاد التأصيلي والتنزيلي معًا.

ومـن تطبيقات ذلك في خطاب القرضاوي للثورة: تناوله للحديث الذي يسـتدل به من قال بأن الخروج على الحاكم حرام حتى لو أخذ مالك أو ضرب ظهرك، وهو الذي رواه مسـلم بسـنده عن أبي سـلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا بِشَـرٍّ فَجَاءَ الله بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَـرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْـتَنُّونَ بِسُـنَّتِي، وَسَـيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ؛ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[3].

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: رقم (٢٢١٣)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده: رقم (٦٣٦٠).

(٢) إرشاد الفحول: ١/ ١٩٧. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة. باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

قال الشيخ في بيان القطعي والظني، والمحكم والمتشابه هنا، كما جاء في حلقة الشريعة والحياة: «فهذا ليس خروجًا هذا أن تقوم ثورة شعبية معبرة عن إرادة الناس هذه هي البيعة هذا هو الرضا العام؛ لأنه كيف تحصل على الرضا؟ الناس قاموا في مصر معبرين عن أنفسهم، خلاص، المفروض إذا الناس اللي عندهم بصيرة، هل تكون مع هؤلاء الذين يطالبون بالحق، ويرفضون الباطل، وينشدون العدل، ويأبون الظلم تكون مع هؤلاء، وللا مع الظالم اللي سرق أموال البلد، ونهب الثروات، وصنع الفساد، وعذب الناس حتى الموت، وفعل الأفاعيل تكون مع هذا وللا مع هذا؟ يعني أنا أتعجب من هؤلاء المتدينين، والذين يدعون العلم». ثم يتحدث عن الناحية النقدية الحديثية لسند هذا الحديث، كما أوردناه من قبل في منطلق رد الشبهات.

ويقول في الحلقة نفسها: «وأنا آسف جدا أن علماء كبارًا اتهموا هؤلاء الشباب بالضلال وبالخروج عن الإسلام وبإحداث الفتنة، وغريب يعني هذا، هؤلاء الشباب الذين قاموا يرفضون الظلم، أنا لا أدري كيف ضاع على هؤلاء الآيات والأحاديث التي ترفض الظلم! مئات الآيات في القرآن الكريم ترفض الظلم، وتلعن الظالمين، وتكره الظلم وأهله، وأن الله لا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، ولا يفلح الظالمون إلى آخره[1]... وأحاديث النبي ﷺ كثيرة[2]... هؤلاء - يعني الشباب - يغيرون بلسانهم، ما حملوا سيفًا ولا ضربوا قنبلة... ولا اعتدوا على أحد».

فالشيخ هنا يبين أنه لا يصح فقهًا ولا عقلًا أن نترك القطعيات والمحكمات، وننشغل بالظنيات أو المتشابهات، ونترك نصوص القرآن والسنة القاطعة ونتمسك بحديث في سنده مقال، ولو افترضنا صحة الحديث فهل يقاوم مئات الآيات والأحاديث الصحيحة التي تقطع بالأمر دون شك أو تردد؟ وعندئذ سيكون للحديث فهم معين، أو مساق محدد، أو تأويل سائغ.

(١) أورد الشيخ هنا عددًا من الآيات القرآنية، تركنا للقارئ أن يطالعها هناك في الحلقة.

(٢) أورد الشيخ هنا عددًا منم الأحاديث النبوية، تركنا للقارئ أن يطالعها هناك في الحلقة أيضًا.

ولهـذا فـإن الذين تلبسـوا بهـذا الحديـث وعميـت بصائرهـم وبصيرتهـم عن كل النصوص الشـرعية القاطعة والمحكمة وقعوا فـي معارضة هذه الكليات، وفي معاندة القـدر، ورفـض السـنن الجاريـة، وتمسـكوا ـ في صـورة من أبشـع صـور التلبيس أو التدليس ـ بظنيات أو متشابهات، من أجل تجهيل الناس أو التلبيس عليهم لصدهم عما قامـوا من أجله، وهو عظيم؛ ولذلـك كان الفهم أو الفقه في ضوء الكليات والقطعيات والمحكمات أمرًا له أهميته وخطورته.

القاعدة العاشرة

درء أعظم المفاسد بارتكاب أخفها، وجلب أعظم المصالح بتفويت أدناها[1]

هـذه القاعدة تعتبـر معيارًا عامًّا محكمًا عند تزاحـم المصالح وتعارضها مع بعضها البعـض، وتزاحـم المفاسـد وتعارضها مـع بعضها البعـض، ولم يمكن الجمـع بينها، فيتحتم المصير إلى الترجيح.

والمـراد بالقاعـدة: أنهـا توضـح أن الترجيـح بينهـا يكـون مبنيًّا على أسـاس عظم المصلحـة وعظـم المفسـدة فتُقـدم المصلحـة الأعظـم وإن كان على حسـاب فوات المصلحة الأدنى، وتؤخر المفسدة الأعظم وإن تسبب هذا في وقوع مفسدة أدنى.

ويدلـك علـى هذا الاسـتقراء؛ فـ«إذا تأملت شـرائع دينه ـ سـبحانه وتعالـى ـ التي وضعهـا بيـن عبـاده وجدتها لا تخـرج عن تحصيـل المصالـح الخالصـة أو الراجحة بحسب الإمكان، وان تزاحمت قدَّم أهمها وأجلها وإن فاتت أدناهما، وتعطيل المفاسد الخالصـة أو الراجحة بحسـب الإمـكان، وإن تزاحمت عطل أعظمها فسـادًا باحتمال أدناهمـا، وعلـى هذا وضع أحكم الحاكمين شـرائع دينه، دالَّة عليه، شـاهدة له بكمال علمه وحكمته ولطفه بعباده وإحسـانه إليهم. وهذه الجملة لا يستريب فيها من له ذوق

(١) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية: ٦٦. طبعة دار المعرفة، ومجموع الفتاوى لابن تيمية :٢٠/ ٤٨، ٢٣/ ١٨٢، ٣٤٣، ٢٨/ ٢٨٤ و٢٩/ ٢٢٨.

من الشريعة وارتضع من ثديها، وورد من صفو حوضها، وكلما كان تضلعه منها أعظم كان شهوده لمحاسنها ومصالحها أكمل»(١) ويقول ابن تيمية رحمه الله : «والشارع دائما يرجح خير الخيرين بتفويت أدناهما؛ ويدفع شر الشرين بالتزام أدناهما»(٢).

ومعرفة مراتب المصالح عند التعارض أمر مركوز في الفطر، وهو مسلك من مسالك العلماء بل العقلاء في الترجيح عند تعارض الأمور، وباب عظيم من أبواب الدين، وقد اهتم أهل العلم ببيان درجات الأعمال والمصالح، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، إنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين. وينشد: إن اللبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرا»(٣).

وكانت العرب تقول :«القتل أنفى للقتل»، وأحسن من ذلك وأبلغ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة - ١٧٩] . فمصلحة حفظ نفس واحدة أدنى من مصلحة حفظ الأنفس الكثيرة، فإذا تعارضتا تهدر الأولى حفاظًا على الثانية.

ووضع المصالح والمفاسد في مراتبها، وترتيبها بحسب قوتها مأمور به ضمنا في الأمر باتباع خير الخيرين وأحسن الحسنين كما في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف : ١٤٥] أي بأحسن ما جاء في الألواح، وكما في قوله تعالى: ﴿واتبعوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٥] وقوله: ﴿الذين يَسْتَمِعُونَ القول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:١٨] ، فالتكاليف منها ما هو حسن، ومنها ما هو أحسن، فعند التزاحم يقدم الأحسن فالحسن.

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٢٢ . طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٣/ ١٨٢. وله باب ماتع يتحدث فيه عن تعارض الحسنات والسيئات: ٢٠/ ٤٨، وما بعدها، وقد نقله عنه شيخنا القرضاوي في كتابه فقه الأولويات.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٠/ ٥٤.

ومن فروع هذه القاعدة: قول العز بن عبد السلام :«لو أكره على قتل مسلم، بحيث إنـه لـو امتنع منه قُتل، فيلزمه أن يدرأ مفسـدة القتل بالصبر علـى القتل؛ لأن صبره على القتل أقل مفسدة من إقدامه عليه. وان قدر على دفع المكروه بسبب من الأسباب لزمه ذلـك لقدرتـه على درء المفسـدتين، وإنما قُـدم درء القتل بالصبر علـى القتل لإجماع العلمـاء علـى تحريـم القتـل، واختلافهـم في الاستسـلام للقتـل، فوجـب تقديم درء المفسـدة المجمع على وجوب درئها على درء المفسـدة المختلفة في وجوب درئها. وكذلك لو أكره على الزنى واللواط، فإن الصبر مختلف في جوازه ولا خلاف»[1].

ومنها أيضا: جواز تشـريح جثة المسـلم عند الحاجة، مع تعـارض هذا مع مصلحة إكرامـه حيًّـا وميتًا؛ لأن ذلك فيـه تحقيق لمصلحـة أعظم من معرفة أسـباب الجريمة، والتعـرف علـى أنواع الأمـراض حتى تتخذ الاحتياطـات الوقائية وغيـر ذلك، وهو ما ذهب إليه مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة[2].

ومـن تطبيقـات هـذه القاعدة في خطـاب الإمام القرضـاوي للثورة: أنه أيـد الثورة واسـتمرارها؛ وتأييدُها وتعزيز اسـتمرارها أمر فيه مفاسد بلا شك، ومن هذه المفاسد: إزهاق بعض الأرواح، وسـفك بعض الدماء، وإحداث بعض الجراحات، وأن تخسـر البلاد من توقيف بعض مواردها، وتنزل عملتها، وتعطيل أعمال الناس.

ووقـف الثورة أمر فيه مصالح بلا شـك، ومن ذلك: أن تعـود الحياة اليومية طبيعية، أن تتوقـف الخسـائر في مـوارد الدولة، وقف إزهاق الأرواح وسـفك الدماء وإحداث الجراح، وهكذا.

ولكـن انظـر إلى المصالـح المترتبة على تأييد الثورة واسـتمرارها، وإلى المفاسـد المترتبة على إيقاف الثورة وإنهائها..

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ١/ ٧٩، وراجع: ٢/ ١٦١.

(٢) راجع ص ١٧، وانظر في المسألة قرارات دار الإفتاء المصرية، رقم (٨٨)، وفتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية رقم (٤٧).

فمن المصالح المترتبة على تعزيز استمرارها: ما رأيناه من كم الفساد الهائل الذي كان، وما تم من تجميد أرصدة أكابر المجرمين ومنعهم من السفر، وتحويل بعضهم إلى محاكمات، ووقف نهب ثروات البلد، وتعديل الدستور، والإفراج عن كثير من المسجونين والمعتقلين ظلمًا، وأن الناس تحرروا من الخوف والرعب، وأصبحوا أحرارًا، والحرية من المقاصد العالية للشريعة، والزيادات التي حدثت في أجور الناس.. إلى غير ذلك من مصالح تظهر يومًا بعد يوم، وتتطور مع مرور الزمن، وتتكاثر على المدى البعيد.

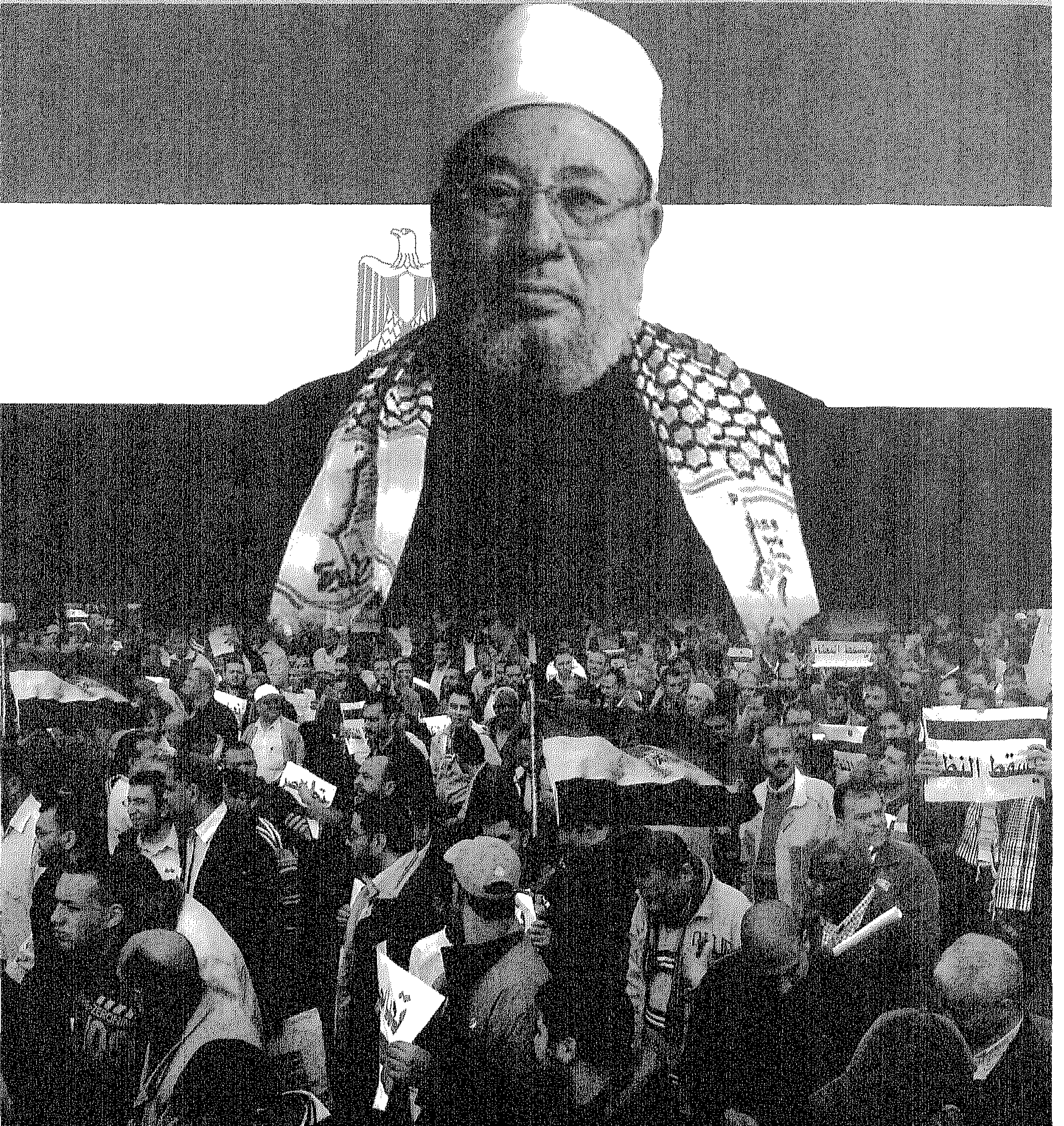
ومن المفاسد المترتبة على إيقاف الثورة: أن يظل الحال كما كان عليه من ظلم وعسف وحياة في ظل الخوف والرعب، واستمرار نهب مقدرات البلاد، بل إن الحياة ستئول إلى أسوأ مما كانت عليه؛ لأن نصف الثورات ـ كما قيل ـ مقبرة للشعوب، ويكفي من المفاسد أن يظل الحال كما هو عليه مع نزوله إلى الأدنى ثم الأدنى، وكان سيتطور أكثر إلى الأسوأ فالأسوأ... ومن أجل هذا يحكم بارتكاب أخف المفاسد وأقلها وأقصرها لدفع أعظمها وأكثرها وأدومها، وبتفويت أقل المصالح وأقلها وأقصرها لتحصيل أعظمها وأكثرها وأدومها.

ومن ذلك أيضا: ما سبق ذكره في رعاية المقاصد من المنطلقات بشأن «القناصة» التي تقنص الناس من السطوح فتقتلهم، لو رجع الناس عن التظاهر والانضمام لإخوانهم لأصبحت الثورة في خطر؛ ولهذا يفتى بالتحرز والتحوط مع الدخول والاقتحام وإن فقدنا بعض النفوس، فإن في ذهابها استبقاءً للعديد، واستمرارًا للثورة؛ وفي استمرار الثورة تحقيق مصالح كبرى، ودفع مفاسد عظمى.

بهذه القواعد يتبين لنا أن خطاب إمامنا الثائر كان راشدًا وواعيًا؛ إذ إن خلو أي خطاب شرعي من هذه القواعد الكلية ـ حاكمة له وضابطة لنواحيه ـ يفقده كثيرًا من قوته، ومن ثم آثاره، وقليل من الفقهاء من يراعون ذلك.

الفصل الثالث

الخصائص العامة لخطاب القرضاوي في الثـــورة



بدا من خطاب العلامة القرضاوي لثورة مصر أنه يتميز بعدد من الخصائص قلما تتوافر في خطاب فقيه أو داعية أو ثائر، وهي خصائص عززت من قوة الخطاب، ومنحته مزيدًا من التميز، وجعلته محل قبول من الرأي العام، وموضع ترقب من الثوار، وتنفيذ في الواقع العملي للثورة.

ومن الطبيعي أن خطابًا انطلق من المنطلقات التي فصلنا القول فيها في الفصل الأول، واحتكم إلى قواعد شرعية حكمت الخطاب وقوّته شرعيًّا ومشروعية ـ أن يتصف بصفات ويختص بخصائص تتناسب مع هذه المنطلقات، وتتواءم مع تلك القواعد الشرعية الحاكمة.

ومن الخصائص التي وجدناها لهذا الخطاب: أنه خطاب رباني، وأنه خطاب وسطي، وأنه خطاب مواكب للحدث، وأنه خطاب شامل لكل النواحي، وأنه خطاب مستوعب لكل الأطراف، وأنه خطاب واضح وبيّن.

وسوف نبين أهمية هذه الخصائص في بلوغ الخطاب لغاياته المرصودة، ونذكر تطبيقات جسدت كل خاصية من هذه الخصائص من خطاب شيخنا الإمام للثورة المصرية.

الخصيصة الأولى

الربـــــانية

خصيصة الربانية من أهم خصائص العقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، بل هي خصيصة الإسـلام الأولى التي تحدث عنها ـ وغيرها ـ شـهيد الإسـلام سيد قطب من ناحية الفكر والتصور والمصدر والعقيدة في كتابه الفارق في تاريخ الفكر الإسـلامي: «خصائـص التصـور الإسـلامي ومقوماته»، وتحدث عنها شـيخنا القرضاوي بشـكل أشمل في كتابه القيم: «الخصائص العامة للإسلام».

والربانيـة التي نعنيهـا هنا، لا تعبر بالضرورة عن مصدريتها في الفكر الإسـلامي أو التصـور والاعتقـاد، وإنما تتصل مباشـرة بالمرجعية في الخطـاب، والصدور عن هذه المرجعيـة، والتوقيـع عنها، والتوجه في كل أمر لها، والتخلق بأخلاق الرب ـ سـبحانه وتعالى ـ بما يليق بطاقة العبد وطبيعته، ولا تعني كهنوتًا أو وضعًا لمعنى الخصيصة في غير موضعها.

ووجـود خصيصة الربانية فـي أي خطاب وأي حديث تجعل له مفعول السـحر في النفوس؛ إذ يلقي الله تعالى كلمات على لسان عبده يلهمه إياها ويوفقه إليها دون إعداد ولا ترتيب، ويكون موفقًا ومؤيدًا ومسددًا؛ وهذا مقتضى استعانة العبد بالله، وقربه من مولاه؛ فالله تعالى لا يدع عباده الصالحين المجاهدين يُتَخطَّفون في الأرض..!

وهـذا مـا كان واضحًا في خطاب الإمـام القرضاوي للثورة المصريـة ـ وغيرها من الثـورات ـ فلـم أجد خطابًـا في ميادين مصـر، وعلى رأسـها ميدان التحريـر، يؤثر في الجماهير ويفعل فيهم فعله كما رأيت مثل خطاب القرضاوي..!

وكذلك فإنه لم يُعِدَّ لخطابه لقناة الجزيرة مساء يوم السبت ٢٩ يناير، وكان في غاية القوة والمواكبة للحدث، وأقسم في خطبة التنحي ١١ فبراير أن الثورة لابد أن تنتصر؛ لأن هـذا مـن سـنن الله، فلا يمكن لله تعالـى أن ينصر الباطل على الحق، والشـر على الخير، والضلال على الهدى، وبخاصة أن الثوار قد ضحوا، وأخذوا بالأسباب، وقدموا الثمن الغالي من دماء وأرواح وجراحات؛ ولهذا كان لابد أن يتنزل النصر عليهم، وقد كان .. فما هي إلا ساعات حتى أعلن عن تنحي الرئيس المصري، وأوضح القرضاوي في حديثه لقناة الجزيرة مسـاء ذلك اليوم أن الله ألهمه القسـم في خطبة الجمعة، وهذا من دلائل ربانيته في خطابه للثورة.

وإن انطلاق القرضاوي من نصوص القرآن والسنة الهائلة التي استشهد بها وأوردها إيـرادًا بديعا في خطابه لمن أكبر المعالم لهذه الربانية في خطابه ذي المرجعية الربانية، وقد سبق إيراد هذه النصوص أو بعض منها في المنطلق الأول من الفصل الأول؛ وهذا مـن دلائل الربانيـة كذلك؛ إذ ينبغي على العالـم الرباني أن يُرجع الأمـور إلى «الرب» سبحانه، ويصـدر عـن تعاليمـه وكلامه، وكلامـه يأمر بالأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، وينهى عن الركون للظالميـن، ويأمر بمقاومتهم، والوقـوف أمامهم، والأخذ علـى أيديهـم، وكفهم عن ظلمهـم، فذلك نصرهم، كما اتضح كثيرًا بشـكل متكرر في خطابات الشيخ للثورة من خلال نصوص القرآن والسنة.

ومن معالم ربانية خطابه للثورة المصرية أنه قام بواجبه في قول كلمة الحق عند سلطان جائـر، وينبغي أن تتوسـع دلالـة «العندية» هنا في قول النبي ﷺ: «عند سـلطان جائر»؛

فليس شرطًا أن يكون بين يديه، فوسائل الإعلام المعاصرة أعطت مرونة في هذا المعنى، ومنحته قدرًا كبيرًا من السعة؛ بحيث يمكن أن يتحقق معنى «العندية» وهو بعيد عنه شريطة أن يصله الخطاب، وما أكثر الوسائل التي تقوم بتوصيل الخطاب اليوم.

إن خطاب القرضاوي في الثورة المصرية وغيرها لم يعرف التلون، ولا التميع، ولا مسك العصا من المنتصف كما فعل كثير من الدعاة والعلماء، بل قال ـ كما نحسب والله حسيبه ـ كلمة الحق التي كان يجب أن تقال في هذا الموقف، وأدى الواجب الشرعي المنوط بالعلماء كما كان ينبغي أن يؤدى، وقام بفرض الكفاية عن كثير من العلماء في مصر والعالم كله، بلا مراعاة لحسابات شخصية أو مصالح ذاتية أو منافع ضيقة؛ مُقدمًا المصلحة العامة على الخاصة، ومصلحة الأمة على مصلحة الأفراد.

كما أنه خطاب لم يعرف الوقوف عند مجرد الكلام والخطب والبيانات، وإنما تعدى ذلك ليختم القيام بالواجب الشرعي، ويكلل جهده وجهاده بشكل عملي؛ حيث سافر لمصر وخطب جمعة النصر في جماهير الثورة الحاشدة التي تجاوزت أربعة ملايين في هذا اليوم.

ولهذا نقول باطمئنان: إن الخصيصة الأولى في خطاب القرضاوي للثورة المصرية هي الربانية، التي ميزت خطابه من البدء للختام، وبرزت جلية في الأقوال والأعمال سواء بسواء.

الخصيصة الثانية

الوسـطية

من أهم الخصائص التي ميزت خطاب شيخنا الإمام في للثورة المصرية أنه خطاب وسطي، ومن شأن الوسطية في الخطاب أن يجتمع عليها الأطراف المتناقضة، وتذوب عندها الفوارق، ويُقَلل بها الخلاف؛ فالوسـطية الإسـلامية الجامعة من أهم مقاصدها أنها توحد أو تقرب الفرقاء، وتحشدهم على هدف واحد وموقف واحد.

وقد يظن ظانٌّ أن الخطاب الوسطي هو مسك العصا من المنتصف، فلا يبدو أنه مع الثوار، ولا يبدو أنه مع النظام، فيقف موقفًا مائعًا يَضيع معه الحق، وتظلم عنده الحقيقة!!

والحق أن هذا جهل بمضمون الوسطية ومفهومها؛ إذ الوسطية لا تعني مسك العصا من المنتصف في مثل هـذه المواقف حتى لا يصنف أو يتحيـز لموقف معين ولو كان هو الحق؛ ولهذا فإن الوسـطية تعني الحـق، وتعني العدل، وتعني التوازن، وتعني عدم التحيز، وتعني الخير.

قـال المفسـرون في قولـه تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨]، أي: أعدلهم[1]. يؤكد هذا الإمام الرازي في تفسيره بقوله: إن أعدل بقاع الشيء وسطه؛ لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء، وعلى اعتدال[2].

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٢/ ١٩٣، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٢١)، وتفسير القرطبي: ٢/ ١٤٨.

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي: ٤/ ١٠٨-١٠٩. المطبعة المصرية. ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م.

ويقول أبو السعود: الوسط في الأصل اسم لما تستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة، ثم استعير للخصال البشرية المحمودة، لكون تلك الخصال أوساطًا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرق الإفراط والتفريط[1].

ولهذا كان الإسلام عدلًا متوازنًا خيِّرًا غير متحيز في كل مجالاته: عقائدَ، وأخلاقًا، وعباداتٍ، وتشريعًا، ومعاملة.

وبعض العلماء - أو الذين يطلق عليهم الناس علماء - لم يفهموا الوسطية المطلوبة في هذا الموقف، أو بالأحرى لم يعبر خطابهم في هذا الموقف عن هذه الخصيصة التي اختص الله بها أمة الإسلام، وعدَّها القرآن جعْلًا إلهيًّا خالصًا حين قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. البقرة: ١٤٣

بل ذهب بعضهم إلى مسك العصا من المنتصف، وهو ترجمة عملية خاطئة ومخطئة عن الوسطية في هذا الموقف، فجعل من حق المتظاهرين التظاهر السلمي، ومن واجبه احترام الرئيس الذين زعموا أنه أب للجميع، ولا يجوز أن يتعامل الأبناء مع الآباء أو رب الأسرة بهذا التطاول، وأنه ينبغي أن يحافظ المتظاهرون على مؤسسات الدولة، في الوقت الذي لم يدينوا فيه شيئًا مما قام به النظام، وما قامت به الشرطة من إطلاق للمجرمين من السجون، وما قام به رجال الحزب الوطني الذين استأجروا «البلطجية»، للتخريب والتدمير والتحريق والتقتيل والإفساد في الأرض.

اتبع إمامنا الثائر خطابًا تميز بوسطيته، والوسطية - كما سبق ذكره - تعني العدل والحق والخير، فالحق هنا هو تأييد هؤلاء الطاهرين، الذين خرجوا مسالين لا يملكون إلا أصواتهم، وبخاصة أن الحق معهم، وأنهم يدافعون عن الخير ضد الشر، وعن الحق ضد الباطل، وعن حفظ البلد من إهدار أموالها ومقدراتها وتقهقرها بين الأمم.

(١) تفسير أبي السعود: ١/ ١٢٣. طبعة صبيح.

والـذي يعـرف كيـف يعيش هذا الشـعب، وكيـف يحيا، وكيـف يعاملـه النظام في كل مؤسسـاته لا يسـعه إلا أن يؤيد هذه الثـورة؛ لأن الحق والخير والعـدل في تأييدها والوقوف معها، والظلم والخسران في الصد عنها وتشويهها والافتراء عليها.

ومن معالم الوسطية في خطاب إمامنا الثائر أنه أفتى ـ في تصريحه لجريدة الشروق الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١ ـ بتحريم إطلاق الرصاص على المتظاهرين وقال: «أي شرطي يطلق النار على متظاهر لم يبدر منه ما يستحق القتل مجرم وآثم»، وطالبهم بعدم الاستجابة لقادتهم «ومن يقول إنه عبد المأمور أقول له: أنت عبد لله، والقتل حرام».

ولم يقف عند هذا القول بل إنه حرم في المقابل تحريمًا قاطعًا الاعتداء على رجال الشرطة من قبل المتظاهرين، وقال «هم منا ونحن منهم ودماؤهم محرمة، ولعلهم يشكون مما نشكو، ولو أتيحت لهم الفرصة لانضموا إلى الجمهور»، مشددًا على حرمة المساس بالممتلكات العامة والخاصة. وهذا يبين التوازن والعدل في المواقف والأقوال.

ومن ذلك: أنه قال في خطبة التنحي مخاطبا الجيش: «يا رجال الجيش المصري، يا رجال القوات المسلحة، يا أعضاء المجلس الأعلى، يا قائد القوات المسلحة العام،، يا رئيس الأركان، أطالبكم بأن تؤدوا الدين الذي عليكم للشعب، لقد قمتم سنة ١٩٥٢م بثورتكم، فوقف الشعب جميعًا وراءكم ورحب بكم، وأيدكم وساندكم حتى مرت الثورة بسلام، الآن الشعب يريد أن يسترد حقه عليكم ودَينه منكم». وهذا يبين الحق والعدل في الخطاب، وهو من مضمون الوسطية الإسلامية الجامعة.

ومن ذلك أيضًا: أنه أمر أصحاب المطالب الفئوية أن يكفوا عن التظاهر من أجل تخفيف الخسائر التي تزداد يومًا بعد يوم على الاقتصاد المصري، فقال: «أنا أنادي كل من عطل العمل وأضرب أو اعتصم أن يؤدي هذه الثورة بالعمل، مصر تريد أن تعمل،

الاقتصاد المصري يتأخر يومًا فيوم، ولا يجوز لنا نحن الذين أيدنا الثورة أن نكون سببًا في تأخير بناء مصر، وفي تأخير اقتصاد مصر، بل يجب أن نقنع كل إخواننا الذين يضربون والذين يعتصمون أن يصبروا قليلًا».

وفي الوقت نفسه وجه نداءه للجيش أن يسرع في إنجاز المهمة وتحقيق المطالب، وأن يتصل بهؤلاء المضربين ويطمئنهم، فقال في الخطبة نفسها: «وننادي الجيش أن يتصل بهم -يعني المضربين- ويطمئنهم، هذا ما نريد حتى تسير مصر في مرحلة البناء.... إن من حق هؤلاء المصريين جميعًا أن يأخذوا حقوقهم، وأن ينالوا ما يستحقون وأن يُنصَفوا، ولكن من واجبنا أيضًا أن نصبر على إخواننا في الجيش حتى تتحقق الآمال كلها، واحدًا بعد الآخر».

وهذا خطاب من شأنه أن يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، وينزع الفتن من المجتمع، ويحشد الجهود تجاه العمل، ويوحد الصفوف نحو البناء والعمران.

الخصيصة الثالثة

المـــواكبة

مواكبة الخطاب للحدث أو النازلة أمر هام؛ إذ إن الحدث أو النازلة تحتاج إلى استيعاب من العلماء والدعاة؛ بالحديث عنها، وبيان أحكامها، وفقه مرتبتها، والتعبير عن جزئياتها وكلياتها، ووضعها في مكانها الصحيح دون تهوين أو تهويل.

وهذا يعطي مصداقية للخطاب وصاحبه، ويعمل على إدخال الحدث تحت سلطان الشريعة دون أن يند عنها؛ فمن مقاصد الشريعة بسط سلطانها على الواقع بمستجداته ونوازله، وهذا يبين للناس الحق من الباطل، والخير من الشر، والحلال من الحرام، ويضع كل شيء في مكانه بالقسطاس المستقيم دون طغيان ولا إخسار.

ومن الخصائص التي تميز بها خطاب إمامنا الثائر أنه كان خطابًا مواكبًا للحدث، مستوعبًا له، مبينًا ما فيه من خير وشر، وما فيه من حق وباطل، وما فيه من ظلم وعدل، وما فيه من حلال وحرام.

<u>ومن معالم مواكبة الخطاب للحدث:</u> أنه كان معه في كل مراحله، فقد شهد الشيخ شرارة الثورة الأولى يوم الثلاثاء ٢٥ يناير، وقد كان في ملتقى خريجي الأزهر بالقاهرة، ثم بعد ذلك تحدث لجريدة الشروق المصرية يوم الخميس ٢٧ يناير، ثم تحدث لقناة الجزيرة مباشر ٢٨ يناير، ثم تحدث إلى قناة الجزيرة الإخبارية السبت ٢٩ يناير، ثم بيان اتحاد العلماء في ٣٠ يناير، ثم كلمة ودعاء لقناة الجزيرة الإخبارية يوم الأربعاء الدامي ٢ فبراير،

ثـم جمعـة الرحيل ٤ فبراير، ثم بيانه للشـعب المصري العظيم يـوم ٦ فبراير، ثم خطبة جمعة التنحي يوم ١١ فبراير، ثم كلمة لقناة الجزيرة الإخبارية بعد التنحي بقليل مسـاء الجمعة ١١ فبراير، ثم خطبة جمعة النصر في ميدان التحرير بالقاهرة يوم ١٨ فبراير.

وبين هذا وذاك كان لا ينقطع حديثه بين الناس وفي مجالسه الخاصة والعامة، وفي الملتقـى الثاني لتلاميـذ القرضاوي، وغير ذلك، وهذا يدل علـى أن خطابه كان مواكبًا للحدث من حيث الزمن والمتابعة الدقيقة للحدث وتطوراته.

ومنها أيضا: أنه كان خطابًا قويًّا على مستوى الحدث، بل كان رائدًا له وقائدًا زمامه ومبصِّـرًا الجماهيـر الثائـرة بما يجب عليهم مـن واجبات، وما ينبغـي أن يطالبوا به من حقـوق؛ فمع مواكبـة الحدث من حيث الزمن والمسـاحة، فقد كان كذلـك مواكبًا من حيـث قـوة الحديث وسـخونته وأهميته، وتقدير مكانته وانتشـاره في العالـم، ومتابعة الدنيا له من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب.

فلم يكن الخطاب متأخرًا عن الحدث، ولا كان على درجة أقل منه قوة وحضورًا، بل كان في كل كلماته التي يوجهها لأطراف الثورة: من رئيس، وشعب، وجيش، وشرطة، ومجرمين، وغير ذلك ـ في غاية القوة والوضوح، وبخاصة كلماته التي وجهها للرئيس قبـل التنحـي كانت جريئة وقوية ومباشـرة لا تحتمل التأويـل ولا الوقوف في منتصف المشـهد، وإنما كانت مطالبة له بالرحيل؛ حيث لن تحل المشكلة إلا برحيله، كما كان واضحًا جدًّا في كلمته لقناة الجزيرة الإخبارية السبت ٢٩ يناير.

قـال لـه: «أنصح الرئيـس مبارك أن يتخلى عـن منصبه، وأن يرحل عـن مصر، ليس هناك حل لهذه المشـكلة إلا أن يرحل مبـارك، ولا يخرب مصر، مصر في أيام معدودة خسـرت عشـرات المليارات، ونـزل الجنيه المصري إلـى أدنى المسـتويات، وتعطل الاقتصـاد المصـري، والعمال مضربون عـن العمل في مصانعهـم، لا تخربها يا مبارك

وتقعد على تلِّها، ارحل يا مبارك، ارحم هذا الشعب، يكفيك ثلاثون سنة، كان ينبغي أن تحكم اثنتي عشرة سنة، فحكمت ثلاثين سنة، إن كان الحكم غرمًا فيكفيك هذا الغرم، وإن كان غنمًا فحسبك ما غنمت، ارحم هذا الشعب وارحل، ارحل عنه، حتى لا يزداد خراب مصر، لقد قتل العشرات في يوم واحد، العشرات من أناس خرجوا متظاهرين يطالبون بحقهم في العدالة الاجتماعية، في الكرامة الإنسانية، في الكسب الحلال، ولكنك وجنودك قابلتهم بالرصاص الحي في صدورهم،لم يعد لك بقاء يا مبارك، أنصحك أيها الرئيس أن تستفيد من درس زين العابدين علي، وتخرج على رجليك مختارًا، بدل أن تخرج مكرهًا، لا أريد أن تحاكمك الجماهير، أريد أن تحاكم بعد ذلك أمام محكمة عادلة، محكمة مدنية، لا كالمحاكم العسكرية التي تنشئها لمحاكمة خصومك؛ فتحكم عليهم بأحكام ظالمة طاغية، أريد لك أن تخرج على رجليك من مصر، وتترك هذا الشعب يختار لنفسه».

وكان يحمله مسئولية كل ما حدث من دماء وأرواح وخراب اقتصادي واجتماعي وأمني ومؤسساتي في مصر، ووصف نظامه بالغباء والعمى والصمم والجمود، بل نفى عن محمد حسني مبارك صفات اسمه؛ فليس له من الحمد شيء، ولا من الحسن شيء، ولا من البركة شيء، كما جاء في خطبة التنحي.

قال بعدما استعرض الأرواح والدماء والخراب الذي جرى لمصر قبل التنحي بساعات: «هذه كلها في سجلات حسني مبارك، وما له من الحسن شيء، ولا من البركة شيء، ولا من الحمد شيء، مبارك يتحمل مسئولية هؤلاء القتلى، الذين عُدوا في آخر إحصاء فكانوا ثلاثمائة وثلاثة وأربعين شهيدًا من الشهداء، غير الآلاف من الجرحى الذين أصيب بعضهم بعاهات مستديمة ومعوقات في أبدانهم، هو الذي أرسل البلطجية المجرمين وأرسل معهم البغال والخيول والجمال ومعهم أيضا الأسلحة البيضاء، المطاوي والسكاكين، وأرسل القناصة يقتلون الناس من سطوح

العمارات وسطوح المنازل يصطادونهم من فوق السطوح، قتلوا عشرة في يومين، حسني مبارك مسئول عن هذه الدماء، «مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا». المائدة: ٣٢. هؤلاء لم يقتلوا نفسا ولم يفسدوا في الأرض، بل خرجوا يطلبون حقوقهم، يطلبون عزتهم وكرامتهم وكرامة قومهم، لماذا يقتلون؟ حسني مبارك مسئول عن هذا، وهو مسئول أيضا عما حدث لمصر، عن سرقة أموال مصر، وثروة مصر، وأراضي مصر، ليكون له ولأنصاره ولأصهاره ولأولاده ولأتباعه ثروات في الخارج».

وبهذا يكون خطاب الشيخ جمع في مواكبته للحدث بين متابعة الحدث بالبيانات والخطابات والخطب من بدايته حتى نهايته التي توّجها بحضوره مع الثوار في خطبة النصر، وبين قوته ومناسبته للحدث ووضوحه ومباشرته.

الخصيصة الرابعة

الشـــمولية

شمول الخطاب للنواحي كلها يجعل له مصداقية، ويجعله أدعى للقبول من الجميع، وأقرب إلى التنفيذ العملي، ولا أقصد هنا أطراف المشهد، فهذا موضوع الخصيصة التالية، وإنما أقصد النواحي الموضوعية وليست الشخصية.

لقد جمع خطاب القرضاوي بين الدنيا والآخرة، وربط بين إقناع العقل واستثارة القلب، وزاوج بين الحكمة والموعظة الحسنة، وهذا مقتضى الخطاب الدعوي الناجح الذي يشمل هذه النواحي جميعًا.

ومن جمعه بين العقل والقلب أنه في خطبة الرحيل عقب على قتل الشرطة والبلطجية للشعب ومزج في خطابه لهم بين الإقناع والإثارة التي تحملهم على ترك هذه الممارسات المحرمة والمجرَّمة، وعدم التفكير في الإقدام عليها، قال: «الشباب قبضوا على بعض هؤلاء الناس ولما سألوا بعضهم لماذا تقتلنا يا أخي؟ نحن خرجنا من أجلك!! خرجنا من أجل إنصاف المظلومين .. ليس لنا أي شيء في هذا الأمر إلا أننا ندافع عن شعبنا ونطالب بحقه. لماذا تقتلنا، لماذا تضربنا بالمولوتوف؟ لماذا تقنصنا، قناصة من فوق سطوح الفنادق والعمارات ؟.. يسلطون ذلك على هؤلاء الشباب ليقتلوهم. بكى هؤلاء الشباب وقالوا: والله ما كنا نعرف. إنهم قالوا لنا إن هؤلاء مجرمون يريدون تخريب البلد وصدقناهم ففعلنا ما فعلنا..أنا أنادي هؤلاء

الشباب المغرر بهم المخدوعين أن ينتبهوا ويعلموا أنهم إنما يقتلون أهلهم وإخوانهم.. يا شـباب .. يا شـرطة .. يا مسـتأجرون .. حرامٌ عليكم أن تقتلوا أبناء بلدكم، أن تقتلوا هـؤلاء الأطهـار الشـرفاء الذيـن خرجوا مـن بيوتهم وصار لهم عشـرة أيـام يبيتون في الميـدان في هذا البرد الشـديد، أحيانًا لا يجدون طعامًـا، ويصاب من يصاب منهم ولا يجدون دواءً، والمسئولون يمنعون الإسـعاف أن يصل إليهم، ويحجزون ويصادرون مواد الإسعاف الأولية».

فانظر كيف احتوى الخطاب على إقناع العقل بأنه وضح أن هؤلاء الشـباب خرجوا من أجل البلطجية والشـرطة المنحرفة، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وفي الوقت نفسـه أثار قلوبهم بأن هذا عمل حرام، وبخاصـة أن هؤلاء الأطهار متعبون منهكون لا يجدون شرابًا ولا طعامًا ولا دواء.

ومـن جمعـه بين العقـل والقلب موقفه من الجيـش في كل كلماته التـي وجهها له؛ حيـث ناداه بأنه هل يعقل أن يضحي بشـعب كامل من أجل فـرد واحد، من أجل رجل أحمق؟ ويعرب دائمًا في أمله الكبير في الجيش، وأنه لن يسـتخدم العنف مع الشـعب بل سـينضم إليه، وأن الجيش عليه دين للشعب؛ حيث وقف الشعب خلف الجيش في ثورة ٥٢، والآن يجب أن يرد الجيش للشعب الدين ويقوم معه بالواجب.

قـال فـي خطبـة التنحي: « أنـا لا زال عندي أمـل كبير في الجيـش المصري، وأرى أن رجـال الجيـش المصـري لـن يكونوا أقـل وطنية ولا أقـل وعيًا ولا أقـل بصيرة من الجيش التونسـي، الجيش التونسـي وقائد الجيش التونسـي هو الـذي كان له الفضل، لـو لم يتدخـل الجيش ويرحل ابن علي ويقـول له اذهب وينضم إلى الشـعب الثائر ما نجحت ثورة تونس، فالآن موقف الجيش المصري كل العالم تشرئب عنقه وترنو عينه إلـى جيش مصر، هل هو جيش مصـر أم جيش مبارك، لا أظن أن أحدا في هذا الجيش

يعتز بأن ينتسب لمبارك الذي طغى في البلاد فأكثر فيه الفساد فهو جدير أن يصب عليه ربنا سوط عذاب ؛ لأن ربنا دائما بالمرصاد لا يغفل عن شيء ولا يغيب عنه شيء، يا جيش مصر أنت مطالب اليوم أن تنصر الشعب، أن تنصر الوطن، أن تنصر الحق، أن تزهق الباطل، أن تريح هذا الشعب من العناء الذي لاقاه خلال هذه الأيام، التي هي أيام مباركة وسيسجلها التاريخ، وسيسجل التاريخ إما لك أو عليك يا جيش مصر، وأنا أظن أنه لن يسجل عليك، وأحسب أنه لن يخيب ظني، لن يخيب ظني في جيش مصر، أطالب هذا الجيش أن يضع الأمور في نصابها، وأن يطوى هذا الفصل من تاريخ مصر، هذا الفصل الأسود الذي أذاق البلاد الصعب والعلقم، هذه كلمتي إلى جيش مصر العزيز علينا والحبيب إلينا، أرجو ألا يُخيِّب فألنا، وألا يضيع حسن ظننا فيه».

وفي قوله للجيش: «سيكتب التاريخ إما لك أو عليك، وأنا أظن أنه لن يسجل عليك، وأحسب أنه لن يخيب ظني، لن يخيب ظني في جيش مصر» فيه إثارة لمشاعر الجيش ومحاولة لاستيعابه وحمله على الانتصار للحق والتاريخ.

وفي خطبة النصر قال: «أنا أحيي جيش مصر، أحيي هذا الجيش؛ فهو درع الشعب وسنده وفخره، وقد قال لي بعض الإخوة: لا تسرف في مدح الجيش ربما يخيب ظنك ولا ينصر الثورة، فقلت لهم: والله لن يخيبوا ظني، وحينما خطبت الخطبة الماضية بعد البيان الأول الذي صدر ـ وقد أصاب كثيرًا من الناس بالإحباط ـ قلت: إنني مؤمن بأن جيش مصر لن يكون أقل وطنية من جيش تونس، جيش تونس نصر ثورة تونس، وجيش مصر الذي دخل أربعة حروب من أجل مصر ومن أجل فلسطين، هذا الجيش لا يمكن أن يخون بلده، لا يمكن أن يضحي بالشعب من أجل شخص واحد، هذا الجيش أعقل وأشرف من أن يفعل ذلك، وأقسمت أن الجيش سينضم إلى الشعب، وانضم الجيش إلى الشعب، وأصدر هذه القرارات التي رأيناها، وأعلن من أول يوم أن حق التعبير السلمي مكفول للشعب، وأعلن أنه يتفهم مطالب الشعب، وأنه لن

يمد يده، ولم ولن يستخدم القوة ضد أبناء الشعب الثائرين والمتظاهرين سلميًّا، هذا الجيش الذي أعلن أنه ليس بديلًا عن الشرعية التي يريدها الشعب، ويرتضيها شباب هذا الميدان، كما أعلن أنه متمسك بالحرية والديمقراطية».

فانظر إلى هذه المحاولات الاستيعابية؛ حيث يستوعبه بأنه لن يخيب ظنه ولا ظن الشعب، وبأن التاريخ لن يكتب إلا له، وبأن بعض الإخوة قال له قبل الخطبة: لا تسرف في مدح الجيش ربما يخيب ظنك ولا ينصر الثورة، فأقسم أنهم لن يخيبوا ظنه، هذا كله خطاب تبرز فيه العقلانية ومحاولة استقطاب الجيش وتوليد رؤية عنده لذاته تمنعه من اتخاذ موقف معين، وهو من الحكمة التي لا تخفى، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

ومن معالم كون الخطاب شاملًا لكل النواحي أنه زاوج بين الدنيا والآخرة، فتحدث كثيرًا عن خراب مصر، والإساءة لحضارتها على يد هذا النظام، ونهب ثرواتها، وتحطيم مقدراتها، فهذا جانب دنيوي، أما الجانب الأخروي فقد وظفه في خطابه للشرطة والجيش.

حيث نادى الشرطة الذين يقتلون إخوانهم بالرصاص الحي في خطبة الرحيل بقوله: «أقول لهؤلاء الشرطة: لن ينفعكم ضباطكم، ولن ينفعكم حكامكم يوم القيامة، يوم تجدون جهنم مفتوحة لكم، لا يجوز لإنسان أن يقتل إنسانا بقتل إنسان، إلا إذا حكم القضاء بقتله...لا يملك ضابط أن يقول اضرب النار..لا...ليس هو إلها يصدر أمره للخلق فيأتمروا به..فأنا أحذر هؤلاء الشرطة؛ أن يقتلوا إخوانهم أو يؤذوا إخوانهم، وأحذر البلطجية والمستأجرين الذين استخدمهم هذا النظام ليفعلوا ما فعلوا في ميدان التحرير من أجل جنيهات .. بعضهم ٥٠ جنيه يأخذها وبعضهم ٢٠٠ جنيه وبعضهم ٥٠٠ جنيه على حسب ما يؤدي .. صاحب الجمل أو الخيل يعطونهم ٥٠٠ جنيه والآخر ٢٠٠ جنيه والآخر يأخذ ١٠٠ والآخر ٥٠ جنيه، ويذهب ليقتل البرآء»..

ووجه خطابه للجيش في خطبة النصر مذكرًا له بعاقبة الظلم يوم القيامة في تأخير المسجونين بغير حق، قائلا: «نطالب أيضًا الجيش أن يفرج فورًا عن المعتقلين السياسيين والمسجونين السياسيين الذين ضمتهم السجون، وعاشوا سنين طوالًا تحت أقبية السجون بحكم محاكم عسكرية أو محاكم طوارئ، لا تقيم بينة، ولا تهتم بالحق، وهذه المحاكم يجب أن تزول، ولا أريد لجيشنا الباسل والشريف أن يتحمل إثمًا، كل يوم يمر على هؤلاء وهم في السجون، بل كل ساعة، يأثم كل من تسبب فيها ولم يُزِلْ هذا الظلم».

وهكذا جمع الخطاب بين كل هذه النواحي بما يجعل له تأثيره ونفوذه في العقول والقلوب، وهذا مما يحقق الخطابُ به غاياته وأهدافه.

الخصيصة الخامسة

الاســـتيعاب

أعني بالاستيعاب هنا: الاستيعاب لكل الأطراف، ومن شأن الاستيعاب - خصيصةً من خصائص أي خطاب - أن تلم الشمل، وترتق الفتق، وترأب الصدع، وتجمع المتفرقين، وتوحد المختلفين نحو تحقيق هدف واحد والوصول لغاية واحدة.

وكان الاستيعاب خصيصة من خصائص خطاب القرضاوي في هذه الثورة؛ حيث استوعب كل الأطراف في كل حديث يصرح به، وبخاصة خطبه وبياناته التي جهز لها وأطال فيها.

ففي خطاباته كان يوجه حديثه إلى جميع أطراف المشهد، وكافة فصائل الموقف، فكان يوجه رسائل واضحة للرئيس المصري قلب التنحي، ورسائل للنظام المصري، ورسائل للجيش، ورسائل للشرطة، ورسائل للشباب، ورسائل للشعب كله، ورسائل للأمة الإسلامية، ورسائل للبلطجية والسفاحين، والعلماء والدعاة، والجهات الدولية المعنية، مثل: الجامعة العربية وعمرو موسى، ومنظمة المؤتمر الإسلامي وأكمل الدين أوغلو، والأمم المتحدة وبان كي مون، ورسائل للأحزاب والقوى السياسية والشعبية، حتى في خطبة النصر لم يفته أن يوجه رسالة إلى الحكام العرب كافة، وإلى الشعب الفلسطيني.

أما رسائله للرئيس فكانت قوية واضحة، مؤداها وجوب رحيله وترك الشعب يختار من يشاء، ويكف عن قتل الشعب، ويحمله مسئولية الدماء والأرواح والجراح ونهب مصر وخرابها، ويكفيه ما غنمه أو غرمه خلال ثلاثين عامًا، وأن يأخذ الدرس القريب من ابن علي.

ورسائله للنظام المصري تمثلت في وصفه بأنه ـ كنظام مستبد جائر ـ أعمى لا يبصر، وأصم لا يسمع، وغبي لا يفهم، وجامد لا يحس، وفي ندائه بأن يكف عن القتل والتخريب وحرق مؤسسات الدولة، وأن يكف عن تسخير المجرمين الذين يناصبون الثورة العداء.

وأما رسائله للجيش المصري فكانت من أقوى الرسائل؛ حيث كان دائمًا يعلن إحسان الظن به، ويعمل على توليد صورة ذهنية ورؤية ذاتية للجيش تمنعه من الاصطدام بالشعب، وأن الجيش شرف الشعب وحصنه وفخره، وأنه ليس أقل وطنية من جيش تونس الذي حمى الشعب ولم يعْنف معه، وأن بيده أن ينهي الموقف ولا يفضل شخصًا أحمق على شعب بأكمله، كما طالب الجيش بأن يرد الدَّيْن للشعب اليوم؛ حيث وقف الشعب وراء الجيْش في ثورة يوليو ١٩٥٢م، فكان خطابًا مشرِّفًا ذكيًّا مستوعبًا ومقدِّرا للجيش المصري، وأحسب أن رسائل القرضاوي للجيش كان لها دور كبير في مواقفه التي اتخذها؛ صيانة للشعب وحماية للثورة.

أما رسائله للشرطة فقد كانت نداءات يقول فيها لهم: «لا ينبغي أن يستجيبوا لأمر آمر يأمرهم بقتل الناس، لا يجوز أن يقتلوا إخوانهم المصريين مثلهم، بعضهم يقول: أنا عبد المأمور، لا..عبدٌ مأمور لله، الله هو الذي يأمرك وأنت تطيعه، أما إنسان مثلك يأمرك بأن تقتل شخصًا بريئًا أنت تعرف أنه بريء لم يقتل إنسانًا ولم يرتكب جريمة تقتله، توجه إليه الرصاص الحي إلى صدره لأن ضابطًا قال لك اقتل، لا، قل له لا..أنا لا أقتل، إنما قتل المؤمنين جريمة لا تقبل السماح».

وأما رسائله للشباب، فكانت كلها تحميس وتنشيط وتثبيت وإجلال وإكبار وإعظام، فكان يصفهم بأنهم أطهار أبرار شرفاء مجاهدون مضحون، تجسدت فيهم أخلاق الأنصار، يتعب أحدهم ليرتاح أخوه، ويصحو لينام أخوه، ويجوع ليشبع أخوه..كانت رسائل الشيخ لهم رصيدًا كبيرًا في المواصلة والثبات والاستمرار، وهى أقوى رسائل الشيخ في جميع ما وجه من رسائل لأطراف المشهد؛ تأثيرا وتحميسًا وحشدًا.

وأما رسائله للشعب كله، فكانت تتمثل في «أن يتوجه إلى ميدان التحرير بكل ما يسعف الناس من مواد الإسعاف وتضميد الجراحات، وبكل ما يحتاج الناس إليه من تغذية ومن مياه ومن أغطية، وأن يذهبوا بكثافة، ويذهبوا في مجموعات حتى لا يصطادهم هؤلاء ويحاولوا أن ينالوا منهم، ندعو الجميع إلى أن يؤيدوا إخوانهم، فهم منهم وجزء من هذا الشعب، ندعو الشعب المصري كله أن يقف بجوار هؤلاء الشباب الذين يعتبرون فخرًا لمصر، والذين ضربوا أمثلة في التضحية بأنفسهم، وبكل غالٍ لديهم، أنا أدعو الجميع؛ أدعو القضاة والمحامين، والصحفيين والإعلاميين، والأزهريين وعلماء الدين، علماء الدين بالذات أدعوهم أن يقفوا بجوار إخوانهم».

وفي بيان اتحاد العلماء قال: «وأدعو النخب الفكرية والثقافية على تنوُّع فلسفاتها، وأدعو النقابات المهنية على اختلاف تخصُّصاتها، أدعو علماء الأزهر حيثما كانوا، في الجامعة أو المعاهد أو المساجد والأوقاف، أو التربية والتعليم، وأدعو المفكرين ورجال الجامعات والأكاديميين، وأدعو رجال القضاء والنيابة، وأدعو المحامين على اختلاف درجاتهم، وأدعو الصحفيين والإعلاميين، وأدعو الأطباء والمهندسين، وأدعو المعلِّمين والموجِّهين، وأدعو كلَّ النخب والمثقَّفين، وسائر النقابات، إلى أن يَدَعوا شواغلهم الخاصَّة، وينضمُّوا إلى هؤلاء الشباب الأطهار من أبنائهم، ولتتخلَّ كلُّ فئة منهم عن طلباتها الخاصة، وأهدافها الخاصة، وتركِّز على طلب واحد، هو الذي يردده شبابهم وأبناؤهم، والمعبِّرون عنهم».

وأما رسائله للأمة الإسلامية ولأحرار العالم، فكانت توضيحًا لوضعية الحاكم مع الرعية، و»أن الحاكم في هذه الأمة ليس فرعونًا .. الحاكم وكيلٌ عن الأمة، وأجير عندها، ... هي التي توليه، وهي التي تعطيه أجره، وهي التي تراقبه وتحاسبه، وتعزله إذا استحق العزل، هكذا شأن الحاكم مع الأمة». ثم يقارن هذا الأصل بما آل إليه الأمر في واقعنا المعاصر.

كما ناداهم في بيانه للشعب المصري العظيم بأن يتفاعلوا مع إخوانهم في مصر ويظهروا تضامنهم معهم، قال: «كما أنادي الجماهير العربية والإسلامية وأحرار العالم في كلِّ مكان: أن يُظهروا تضامنهم مع الشعب المصري المظلوم».

ويوم التنحي وجه التهنئة لشعب مصر، وللأمة العربية والإسلامية، وأحرار العالم.

وأما رسائله للبلطجية والسفاحين، فكانت نداءات دون يأس منهم أن يدركوا ما هم عليه من خطر، وينتبهوا إلى ما هم فيه من ضلال وتضليل قال لهم في جمعة الرحيل: «أنا أنادي هؤلاء الشباب المغرر بهم المخدوعين أن ينتبهوا ويعلموا أنهم إنما يقتلون أهلهم وإخوانهم .. يا شباب .. يا شرطة .. يا مستأجرون.. حرامٌ عليكم أن تقتلوا أبناء بلدكم، أن تقتلوا هؤلاء الأطهار الشرفاء...أنادي هؤلاء الشباب وإن كانوا من البلطجية ومن المستأجرين هم مصريون.. هم أناس لهم قلوب ولهم عقول .. أناديهم ولا أيأس منهم».

وأما رسائله للعلماء والدعاة، فكانت تتمثل في دعوة علماء الأزهر ودار العلوم إلى النزول مع الثوار بملابسهم وعممهم وزيهم وقيادتهم، كما وجه رسائل خاصة لشيخ الأزهر، وذكر سلبية موقفه فيما بعد حين دعا الثوار للعودة إلى بيوتهم بعد الخطاب الأول للرئيس، وأن التظاهر يعتبر خروجًا على الحاكم.. وكان من أهم رسائله للعلماء ألا يستمعوا للمخذِّلين والمثبطين والملبس عليهم فضلا عما يسميهم الناس علماء السلطة وعملاء الشرطة.

وأما رسائله للجهات الدولية المعنية، مثل: الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والأمم المتحدة، فكانت نداءات ليتدخلوا ويرفعوا هذا الظلم عن هذا الشعب، ولا يتركوا الشعب فريسة للبغي والعدوان.

وأما رسائله للأحزاب والقوى السياسية المصرية جميعًا فطلب إليهم أن يتوحدوا، كما جاء في كلمته لقناة الجزيرة الإخبارية ٢ فبراير حيث طلب إليها: «أن تقف صفًّا واحدًا، لا يجوز أن يختلفوا فيما بينهم وهؤلاء الشباب يعرضون صدورهم للرصاص، ويعرضون حياتهم للموت، لا يجوز أن يختلفوا بل يجب أن يتفقوا فيما بينهم على المطالب المعروفة، هؤلاء الشباب هم الحَكَم، الكل يجب أن ينزل على رأيهم، أصبحوا هم السادة بدمائهم وليس بكلامهم، فأنا أرجو من القوى السياسية المختلفة أن يشد بعضها أزر بعض، ويقفوا موقفًا واحدًا لحماية هذا الشباب الذي ضحى بنفسه، والذي يصر على أن يستمر في موقفه».

كانت لهذه الرسائل الشاملة والمستوعبة للموقف دور كبير في قوة الخطاب، ورسم الطريق أمام جميع فصائل المشهد، مما كان له الأثر الواضح في توجيه الثورة ومواقفها.

الخصيصة السادسة

البيـــــان

البيان هي صفة الإنسـان التي علمها الله له، قال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾. الرحمـن: ٣-٤ . وللبيـان أثر كبير في نفوس البشـر، بل بلغ مـن درجة تأثيره أنْ وصفه النبي ﷺ بأن له فعل السـحر، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ»[1].

ونـزل القرآن الكريم والسـنة النبويـة بلغة العرب التي احتضنـت نصوصهما فكُتبَ لها الارتقاء والخلود؛ ولهذا وجب على من أراد أن يؤهل نفســه للحديث عن الإسلام ويدعـو إليه أن يتقن اللغـة العربية ويطالع مدونات الأدب شـعرًا ونثرًا في كل العصور حتـى يمتلـك ناصية البيـان، ويتمكن مـن البلاغة واللغة؛ ليتسـنى له التعبيـر عن روح الإسلام وغاياته ومبادئه ومقرراته.

ولهذا لابد من عقد الصلة مع الإيمان بها بين علوم اللغة العربية وآدابها وبين علوم الشـريعة الإسـلامية وفروعهـا؛ فإن العالـم الذي ليس لـه اهتمام باللغـة والبيان يكون خطابه مطموسًـا فاترًا مخلاً بحقيقة الإسـلام وجمال تعاليمه، ويعبر تعبيرًا رياضيًّا عن الدين بشـكل مباشر «واحد + واحد = ٢»؛ ولهذا فإنه لن يخدم هذا الدين إلا أصحاب

(١) صحيح البخاري: كتاب الطب. باب إن من البيان لسحرًا.

النفوس المشرقة المحلقة ذوو التمكن من البيان وأدوات التعبير، أما النفوس المطموسة الجافة الجامدة فليست من الإسلام في شيء، ومن كان شأنه كذلك فليعتزل الدعوة إلى ميدان آخر.

وإن الذاكرة التاريخية لن تستوعب إلا هؤلاء الذي عبروا عن الإسلام بأسلوب أخاذ وبيان شافٍ معجب؛ فهم أكثر العلماء نفعًا، وأقدرهم على التعبير عن حقائق الإسلام، ودحضًا لأباطيل خصومه، وأعظمهم تأثيرًا في الأتباع، وإقناعًا للخصوم، ويمكننا التأمل في أساليب الأئمة: الشافعي وابن تيمية وابن القيم وابن عبد السلام والشاطبي والشوكاني والكوثري ورشيد رضا وعلي الطنطاوي والغزالي، وغيرهم.

ولقد اتسم خطاب شيخنا القرضاوي بهذه السمة وتمتع بهذه الخصيصة، وهي البيان، كيف لا، وقد عرف بأنه القرضاوي الشاعر قبل أن يكون الفقيه والأصولي والمفتي، وله عدد من الدواوين والمسرحيات، بالإضافة إلى أنه من الفقهاء القلائل الذين يكتبون الفقه بلغة الأدب، فتراث شيخنا كله يتمتع بهذه الخصيصة، فلا تقرأ له إلا أسلوبًا سهلًا، وعرضًا مشوقًا، وعبارات ندية، وصياغة متوازنة أدبيًّا حتى تكاد الموسيقى تمشي بين سطورها.

ولم تخرج خطاباته وبياناته للثورة المصرية عن هذا الأسلوب في نثره كتابة وخطابًا وأحاديث، حتى إنه استشهد بكثير من أبيات الشعر.

من ذلك وهو يتوجه إلى الفراعين الجدد بأبيات أحمد شوقي التي قالها لتوت عنخ آمون حينما اكتشفوا قبره، قال له بعض الأبيات الحكيمة:

زمان الفرد يا فرعون ولى ... ودالت دولة المتجبرينا

وأصبحت الرعاة بكل أرض ... على حكم الرعية نازلينا

وقال مقارنًا بين الواجب والواقع، ومبينًا ما يفعله النظام بالشعب؛ مستشهدًا بما قاله الشاعر العربي قديمًا:

ملكنا فكان العفو منا سجيةً ... ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلَّلتمُ قتل الأسارى وطالما ... مررنا عن الأسرى نمنُّ ونصفح
فحسبكمُ هذا التفاوتُ بيننا ... فكل إناء بالذي فيه ينضح

وفي معرض حديثه لمبارك، ومطالبته له بالتنحي، وإصرار الرئيس على البقاء واستمساكه بالكرسي، بين أن الشعب المصري كان مستعدًّا أن يتركه يولي، وقال ما قاله الشاعر:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

وفي بيان عاقبة الظلم والقهر قال مخاطبًا النظام الظالم والمستبد ما قاله الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندمِ
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

وفي بيان قيمة الدعاء ـ وسيلةً من وسائل العبادة والمقاومة ـ قال: لا تسخر من الدعاء، فقد قال الشاعر الصالح:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ... ويرسلها إذا نفد القضاء

وفي بيان أن من قدم الأسباب لابد أن يغير الله ما به، ذكر ما قاله الشابي:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة ... فلابد أن يستجيب القدر

بـل إنه قدم تفسـيرًا لطيفًـا لهذا البيت الذي كان يسـتنكره بعـض الملتزمين؛ فكيف يكون القدر تحت الناس ولا يجريه الله فوقهم؟!

قال الشيخ: نعم، الله تعالى يقول: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، غير ما بنفسك يغير الله حالك وما بك، فتغير الشعب فغير الله ما به.

ويبين أن الحكومة يجب أن تكون في خدمة الشـعب، فهي وكيلة عنه، أو أجيرة له، وليست سيدة له، أو مستكبرة عليه، قال: ورحم الله أبا العلاء المعرِّي حين قال:

مُـلّ المقـام فكـم أعـاشـر أمة أمَرتْ بغيـر صلاحهـا أمراؤها
ظلموا الرعية اسـتباحوا كيدها وعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها!

بل إن إمامنا الثائر اسـتطاع أن يبسـط هـذا الخطاب، ويجعله أكثر قبولًا باسـتخدام الأمثـال العربيـة والأمثال الشـعبية التي يعبـر بها عن الأفـكار والمفاهيم التـي أراد أن يوصلها للشعب.

ففي حديثه للجزيرة مباشر ٢٨ يناير أورد المثل المصري: «قالوا لفرعون: يا فرعون إيـه اللي فرعنـك، قال ملقيتش حد يصدنـي» بصيغة فصيحة إلى حد مـا، فقال: «نحن نؤيد الشعب حينما يرفض أن يستخف به فرعون، وفرعون لا يزال هو فرعون؛ ولذلك المصريون عندهم مثل يقول: «قالوا لفرعون ماذا فرعنك؟ فقال: لم أجد أحدًا يردني»، فالشعب قَبِلَ أن يرد فرعون عن ظلمه، وهذا ما يأمر به الإسلام».

وفي أكثر من موضع ذكر المثل الشعبي: «حاميها حراميها»، قال واصفًا حال حكام مصـر: «لكنـا أصبحنا في زمـن يدخل الناس الحكـم فقراء، ويخرجون منـه أغنياء، لا يؤتمن على مال الناس بل يسرقه، أصبح الناس يقولون حاميها حراميها، الحاكم الذي يفتـرض أن يرعـى النـاس هو الذي يفترسـهم، كما قال الشـاعر: وراعي الشـاه يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب».

في بيان اتحاد العلماء أورد المثل المصري: «حد يقدر يقول للغولة عينك حمرا؟»، قال واصفًا حال الشعب مع النظام المستبد الظالم: «لقد ضجَّ المجتمع المصري من الفساد الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، وانتهب هؤلاء الفسدة المفسدون المسنودون أراضيَ الدولة، وسرقوا ثروات الأمة، ولم يستطع أحد أن يحاسبهم، أو حتى يسائلهم، والمصريون يقولون: هل يستطيع أحد أن يقول للغولة: عينك حمراء؟!».

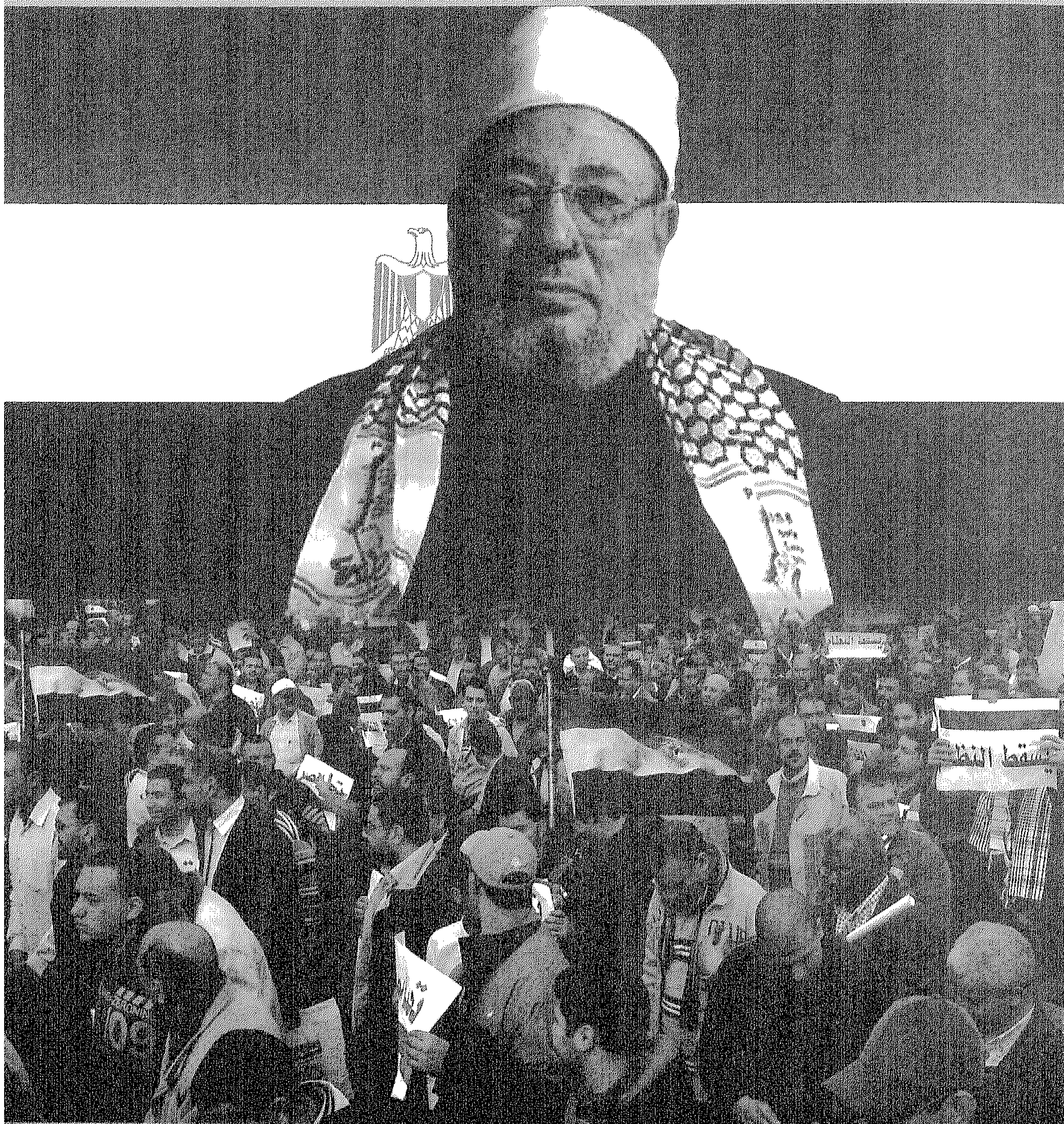
وفي حلقة «الشريعة والحياة» أورد المثل المصري: «سمك لبن تمر هندي» واصفًا علماء السوء الذين يخلطون الأمور، قال: «الكثيرون للأسف من أهل العلم لا يتقنون فقه الموازنات ولا فقه المقاصد ولا فقه الأولويات ويخلط سمك لبن تمر هندي».

وفي خطبة جمعة التنحي علق على خطاب مبارك الذي قاله الخميس قبله قائلًا: «ولكن بعد أن انتظرنا طويلًا كما يقول العرب: تمخض الجبل فولد فأرًا، أو كما قالوا: سكت دهرًا، ونطق كفرًا، أو كما قالوا: أطال الغيبة وأتى بالخيبة».

وهكذا كان خطاب إمامنا الثائر متصفًا بهذه الخصيصة؛ خصيصة البيان، وكرَّس لها أنواعًا من أدوات البيان، هي: النثر الجميل المتناسق، والشعر الذي يستشهد به، والأمثال العربية والشعبية العامية التي يعبر بها للشعب المصري عن مراده ومقصوده.

الفصل الرابع

آثار وتأثير خطاب القرضاوي في الثورة داخليًّا وخارجيًّا



كان لابد لخطاب شرعي ارتكز على هذه المنطلقات الشاملة، وانضبط بهذه القواعد الحاكمة، واتصف بهذه الخصائص الجامعة، وصدر عن إمام كبير، وفقيه واع، وداعية مجاهد بحجم القرضاوي ـ أن يكون له تأثيره المدوِّي، داخليًّا وخارجيًّا، وتأثير واضح في مسار الثورة المصرية، وغيرها من الثورات.

وقد خصَّصْنا هذا الفصل للحديث عن تأثير خطاب القرضاوي للثورة المصرية وآثاره داخليًّا وخارجيًّا، يعني داخل مصر وخارج مصر، من خلال مصدرين:

المصدر الأول: هو الشهادة الشخصية والرؤية الواقعية من ميدان التحرير.

والمصدر الثاني: هو الصحف الداخلية والخارجية ومواقع الشبكة العنكبوتية.

وقد جاء هذا الفصل في قسمين:

الأول: التأثير الداخلي.

والثاني: التأثير الخارجي.

وسيعرض الفصل للآثار الإيجابية والسلبية في سياق واحد، ليراه القارئ معًا في الأخبار التي نشرت، والتحليلات التي كتبت، في الصحافة المحلية والعالمية، العربية وغير العربية.

القسم الأول
التأثير الداخلي

كان لخطاب الإمام القرضاوي للثورة المصرية ـ بتتبعه وتنوعه وخصائصه ـ تأثير كبير داخل مصر، وذلك على عدة أنحاء:

الناحية الأولى: الثوار؛ حيث أثرت فيهم خطابات القرضاوي للثورة، وعمل على تحميسهم وساعد في ثباتهم، وكان الثوار يترقبون خطابات القرضاوي: خطبًا وبيانات وكلمات، وكانت إذاعة ميدان التحرير تعرض خطبة الجمعة له أحيانًا، وتذيع بعض أحاديثه الفضائية، واتصالاته الشخصية بالثوار، كما كان لبيانه للشعب المصري العظيم أثر ملموس فيهم وفي الرأي العام المصري عمومًا، بل كان له أثر في الصحافة العالمية كذلك.

الناحية الثانية: العلماء والدعاة وخطباء المساجد وأئمتها وعلماء الأزهر ودار العلوم في مصر؛ حيث وجه لهم الشيخ نداء أكثر من مرة؛ أن ينضموا إلى الثوار، وأن ينزلوا بزيهم وعممهم، ولاقى نداؤه استجابة في نزولهم وانضمامهم للثوار، كما حذر الشيخ الثوار أن يسمعوا أو يستجيبوا لمن يسمون علماء أو يلبسون زي العلماء ولكنهم يصدون عن سبيل الله، ويلبِّسون على الناس دينهم، إما جهلًا، وإما مكرًا، وهؤلاء الذين يسميهم الناس ـ كما ذكر الشيخ في أكثر من مقام ـ علماء السلطة وعملاء الشرطة، كان يحذر الثوار منهم، بالإضافة إلى رده عليهم في أكثر من مقام، وهذا أزاح الشبهات عن عقول الكثيرين، مما رسخ القناعات العقلية بالمشاركة، وعزز المواقف العملية بالانضمام والمؤازرة.

الناحية الثالثة: الجيش والمجلس الأعلى للقوات المسلحة، وتمثل في مسارين:

الأول: تحييد الجيش على الأقل إن لم يكن حمله على الإيجابية؛ وذلك أن الشيخ في جميع خطاباته تقريبًا كان دائم الثناء على الجيش بأنه فخر الشعب، ودرع الشعب، وسند

الشعب، ولم يترك الشيخ الجيش بلا نداء في كل أحاديثه، فكان يواليه دائمًا بالنداءات أن ينضم للثوار، وأن ينهي الموقف، وأن بيده الخلاص، ولا يمكن أن يخيب ظننا فيه، وأن التاريخ سيسجل إما لك أو عليك، وأحسب أنه سيسجل لك، وأنه ليس أقل وطنية من جيش تونس؛ حيث إن الجيش المصري خاض عددًا من الحروب من أجل مصر وفلسطين، فلا يمكن أن يضحي بشعب من أجل فرد، وبعد التنحي رجح الشيخ أن الرئيس نُحِّي ولم يتنحَّ.

والمسار الثاني: في ختام المشهد ويوم جمعة النصر، حين دعا الشيخ المجلس الأعلى إلى أمرين: الأول: فتح معبر رفح؛ لأن غزة من مصر ومصر من غزة، ولا يمكن أن يظل إخواننا عالقين على باب المعبر، والثاني: حين ناشدهم بالإفراج عن المعتقلين السياسيين والمسجونين السياسيين، وكل يوم يمر وهؤلاء السجناء في سجنهم الظالم يأثم من بيده الأمر، ولا نريد أن يتحمل الجيش إثمًا.

وفي عصر ذلك اليوم تم فتح معبر رفح لمدة ثلاثة أيام، وأعلن المجلس أن هناك أكثر من (٢٤٠) سجينًا سياسيًّا يبحثون الإفراج عنهم.

وهذا ما جعل بعض الإعلاميين يعقبون على الدعوة التي وجهها الشيخ القرضاوي في خطبة ميدان التحرير إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة من أجل فتح معبر رفح بشكل دائم قائلين: «لقد طالب القرضاوي بالنهار واستجاب الجيش في المساء»، في إشارة إلى قيام السلطات المصرية مساء الجمعة بإعادة فتح معبر رفح مع قطاع غزة «العبور العالقين الفلسطينيين والحالات الإنسانية» ولمدة ثلاثة أيام فقط، ورفضوا أن يقدموا أي تفسير لذلك خلال حديثهم، إلا لما اعتبروه تأثيرًا للقرضاوي على قرارات الجيش[1].

الناحية الرابعة: ناحية الإعلام والصحافة المصريَّيْن؛ حيث عبرت شخصيات مصرية عن انتقادها لظهور القرضاوي في ميدان التحرير، وزعمت أن «تجار الانتفاضة» يسعون لسرقة الثورة من المصريين، على حد تعبيرهم، فيما رأى آخرون أن هذه

(١) راجع تقريرًا عن ذلك منشورًا على موقع أون إسلام بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠١١م، بعنوان: خطبة القرضاوي تثير قلق الغرب وشخصيات مصرية.

المخاوف لا تستند لمنطق ولا مبرر لها، فانتقد الكاتب سمير فريد[1] المقارنة بين عودة «القرضاوي» إلى مصر بعد الثورة والإطاحة بمبارك، وبين عودة «الخميني» إلى إيران بعد الثورة الإسلامية في طهران والإطاحة بنظام الشاه، حيث أقام نظام حكم إسلاميًّا، وقال فريد: «إن الخميني عاد إلى إيران ليحكم ويقيم دولة دينية، ولكن القرضاوي عاد ليعبر عن ثورة الشعب المصري بمسلميه ومسيحييه من أجل إقامة دولة مدنية».

أما الإعلام المصري فقد فرَّغ نفسه لانتقاد أمرين: الأول: قناة الجزيرة، والحديث عن أنها قناة «فتنة»، وقناة «عميلة»، وأنها لا تريد الخير لمصر ولرئيس مصر، والأمر الثاني هو القرضاوي الذي تعرض لهجوم شنيع من شخصيات ضربنا عن ذكر اسمها صفحًا في مدخل هذا الكتاب، وتجريح في شخصه، وتشويه لتاريخه، وهي محاولات لم تزد الشيخ إلا قوة عند الناس ومحبة في قلوبهم، ولم تزد من تحدثوا إلا سقوطًا وكراهية في أعين الخلق.

ولعل هذا يفسر منع الإمام القرضاوي من الظهور مساء الأحد ـ التالي لجمعة النصر ـ في التليفزيون المصري في برنامج: «مصر النهارده»؛ حيث صرح الشيخ[2] أن جهات حكومية مصرية مارست ضغوطًا لمنع ظهوره على شاشة التليفزيون المصري، وقال الشيخ: إن أطرافًا في الحكومة «اعتبرت أن خطبة الجمعة الماضية كانت قوية، وكانت لديهم مخاوف أن يكون اللقاء بنفس القوة، وقالوا: خبطتان في الرأس توجع». مضيفا «بعضهم يتحدثون الآن عن صبغ الثورة بصبغة إسلامية».

الناحية الخامسة: الشعب المصري كافة؛ حيث أصبح القرضاوي حديث الشعب في هذا اليوم وما تلاه من أيام، حتى البسطاء من الناس والعوام الذين لم يكونوا يعرفونه، عرفوه وتحدثوا عنه، وكان لحضوره ميدان التحرير زخم شعبي كبير، وجاء لسماع الخطبة أعداد غفيرة من أنحاء مصر حتى بلغت ثلاثة ملايين أثناء الصلاة، وزادت عن أربعة ملايين مساء ذلك اليوم.

(١) في عموده «صوت وصورة» الذي نشرته يوم السبت ١٩-٢-٢٠١١ صحيفةُ «المصري اليوم» الخاصة، وراجع تقرير موقع أون إسلام السابق ذكره.

(٢) راجع موقع القرضاوي، وموقع أون إسلام.

القسم الثاني

التأثيـــر الخارجـي

أما التأثير الخارجي لخطاب القرضاوي للثورة المصرية فقد لفت انتباه العالم بقادته وسياسييه، وإعلامه المسموع والمقروء، وأثارت خطبة الجمعة التي ألقاها في ميدان التحرير بالقاهرة أمام حوالي ٣ ملايين شخص، مخاوف غربية مما تزعم أنها محاولات لـ«أسلمة» الثورة المصرية، على اعتبار أن القرضاوي ينظر إليه باعتباره أحد الأصوات الدينية القوية والمؤثرة داخل مصر، كما أنه يعتبر الهجمات الفلسطينية ضد إسرائيل - وكذلك الهجمات ضد أمريكا في العراق - مقاومة ضد المحتل، وهو ما يرفضه الغرب بوجه عام، ويضع من يتبنى هذا الموقف في خانة التطرف والإرهاب ومعاداة السامية!.

وعكس هذا التأثيرَ الإعلامُ الغربي المقروء والمسموع؛ ولذلك سنتحدث في هذا القسم عن تأثير خطاب القرضاوي الخارجي من خلال ناحيتين: الناحية الأولى: الإعلام المسموع، والناحية الثانية: الإعلام المقروء.

الناحية الأولى: الإعلام المسموع:

في أول رد فعل إسرائيلي على خطبة القرضاوي، في ميدان التحرير، جمعة النصر، وسط القاهرة، أبدت أوساط سياسية إسرائيلية قلقها البالغ من الخطبة التي ألقاها القرضاوي التي دعا فيها المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية إلى فتح معبر رفح الحدودي مع قطاع غزة بشكل عاجل، لرفع الحصار عن القطاع.

** وأوضحت القناة العاشرة من التلفزيون الإسرائيلي أن القرضاوي قال في خطبته التي حضرها أكثر من ٢ مليون مصري «إن معبر رفح الحدودي سيفتح»، مضيفًا «أن الجيش المصري الذي خاض الحروب من أجل فلسطين لا يمكن له أن يحاصر إخوانه الفلسطينيين»، معربًا عن أمله في تحرير المسجد الأقصى، داعيًا الله أن يهيئ للمسلمين الصلاة فيه قريبًا. ودعا القرضاوي السلطات المصرية إلى تشكيل حكومة جديدة، وإخلاء سبيل جميع السجناء السياسيين.

** وذكرت الإذاعة العامة الإسرائيلية في مستهل نشرتها الإخبارية عصر جمعة النصر، أن الثورة المصرية لم تنته بعد، بل لا تزال مستمرة، حيث إنه مع مرور حوالي أسبوع على تنحى الرئيس المخلوع حسنى مبارك احتشد حوالي ٢ ملايين مصري في ميدان التحرير احتفالًا بالثورة، ودعمًا لمطالبها واحتفالًا بسقوط النظام.

الناحية الثانية: الإعلام المقروء:

أما الإعلام المقروء فقد استعرضت آثاره وتأثيره صحفٌ أمريكية وإسرائيلية، ويكفي أن إسرائيل عاشت في رعب أثناء تأييد القرضاوي للثورة بخطبه وبياناته وأحاديثه الفضائية، ورأت في خطبته يوم جمعة النصر وسط حشود بلغت مليوني مصري ـ حسب تعدادها ـ خطرًا على وجود إسرائيل، ونكتفي هنا بما نشرته صحيفة «جلوبز» الإسرائيلية، وصحيفة: «نيويورك تايمز» الأمريكية، وما نشره موقع الجزيرة نت عن الكاتبة الإسرائيلية ليندا منوحين.

** أما صحيفة «جلوبز» الإسرائيلية فقد شنت هجومًا على الشيخ على خلفية ما رأته تهديدًا لأمن إسرائيل القومي بقوله في خطبة الجمعة بميدان التحرير يوم الجمعة الماضية «سنصلي في المسجد الأقصى»، فيما وصفته بـ«الأمر الخطير»، لأنه يعمل على إثارة حماس أكثر من مليوني مصري بشكل يهدد إسرائيل وأمنها القومي.

وقالت: إن القرضاوي معروف بفتواه التي تبيح للنساء القيام بما وصفتها بـ«عمليات إرهابية» و«انتحارية» في فلسطين في إشارته إلى دعوته لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي وزعمت أنه أعرب مرارًا عن أمله في أن يقوم المسلمون بارتكاب مذابح جماعية ضد اليهود، على غرار ما فعل الزعيم النازي «أدولف هتلر» في الحرب العالمية الثانية.

وذكرت أن أكثر من مليوني شخص اصطفوا نهاية الأسبوع بميدان التحرير لسماع الشيخ القرضاوي الذي عاد إلى مصر عقب إسقاط نظام الرئيس السابق حسني مبارك، وادعت أن خطبته كانت تحمل طابع العداء للسامية على عادة القرضاوي قائلًا للجماهير المليونية الحاضرة: «إن شاء الله وفي القريب سنصلي في مسجد الأقصى بفلسطين».

وقالت الصحيفة في تقريرها: إن القرضاوي البالغ من العمر ٨٥ عاما تم ملاحقته من قبل حكام مصر، بدءًا من الملك فاروق مرورًا بجمال عبد الناصر فأنور السادات نهايةً بحسني مبارك إلى أن قرر العيش في قطر، لكن بعد إسقاط نظام الأخير قرر العودة لمصر؛ حيث استقبلته الجماهير بحفاوة(١).

** وأما صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية فقد نشرت على صدر صفحتها الرئيسية أن عودة يوسف القرضاوي، رجل الدين المصري البارز إلى مصر أثارت قلقًا واسعًا في الغرب وأضافت أن الرجل الممنوع من الدخول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا لتأييده أعمال العنف ضد إسرائيل ألقى أمس خطبة الجمعة الأولى له منذ ٥٠ عامًا بمصر من ميدان التحرير، ليصبح بذلك صوتًا مهمًّا في النضال من أجل تشكيل إطار للدولة المصرية بعد الإطاحة بالرئيس مبارك.

---

(١) انظر: جريدة المصريون الإليكترونية: عدد ٢١/ ٢/ ٢٠١١م.

وأشارت الصحيفة إلى أن القرضاوي - وهو مقدم برنامج تليفزيوني شهير يصل متابعوه إلى عشرات الملايين حول العالم - خاطب جمهورًا يتجاوز عدده مليون مصري تجمعوا في ميدان «التحرير» للاحتفال بالثورة ولتكريم الشهداء.. وحث المصريين والعالم العربي على «عدم محاربة التاريخ»، وإدراك أنه «لا يمكن تأجيل اليوم عندما يبدأ، فالعالم العربي بدأ يتغير».

ورأت «نيويورك تايمز» أن شهرة القرضاوي وبروزه تجسد الخطر المحتمل أمام الغرب في الوقت الذي تتفتح فيه الآفاق في البلاد، فبرغم إدانة رجل الدين الشهير لهجمات ١١ سبتمبر، إلا أنه أيد العمليات الانتحارية ضد إسرائيل والهجوم ضد القوات الأمريكية في العراق[1].

وحمل تقرير الصحيفة تلميحات للمقارنة بين عودة القرضاوي إلى مصر بعد الثورة ضد نظام (الرئيس السابق حسني مبارك) وعودة (آية الله الخميني) من باريس إلى إيران بعد الثورة ضد نظام الشاه»، ويعكس هذا المنطق الأمريكي أن التصورات الغربية بشأن قيام القرضاوي بدور قيادي روحي للثورة المصرية ما هي إلا هواجس غربية معتادة تجاه كل ما هو إسلامي.

ولهذا رفض العديد من المفكرين والكتاب المصريين هذا المنطق مذكرين بأن الثورة المصرية انطلقت إثر دعوات على الإنترنت للتظاهر والاحتجاج على نظام مبارك أطلقها نشطاء، غير أن هؤلاء النشطاء لم يكن لهم وجود مؤثر يذكر على الأرض حيث انطلق الشباب في بداية أيام الثورة للتظاهر والاحتجاج وسرعان ما انضم إليهم ملايين المصريين من جميع الفئات بشكل عفوي ودون وجود أي قيادة من أي نوع - سياسية أو دينية - لهذه التظاهرات التي أسقطت نظام مبارك، وهو ما يخالف نموذج

(١) موقع اليوم السابع: السبت ١٩/ ٢/ ٢٠٠١م.

الثورة الإيرانية التي مهد لها الخوميني وهو في المنفي من خلال شرائط الكاسيت التي كانت تحمل خطبه وتهرب لداخل إيران[1].

** وأما الكاتبة الإسـرائيلية ليندا منوحين فنقل موقع الجزيرة نت عنها أنها عقبت على مقال نشـرتها أسرة صحيفة الشرق الأوسط تدعو فيها رئيس الموساد الإسرائيلي للحـوار مـع القرضـاوي؛ حيـث رأت الكاتبـة أن مقالة صحيفة «الشـرق الأوسـط» - التي تصدر في لندن - حاولت أن تهون وتسـخر من دعوة رئيس الموسـاد الإسـرائيلي السـابق «أفرايم هليفـي» لرئيس الحكومة بنيامين نتنياهو إلى مفاوضة الشـيخ يوسـف القرضاوي.

وتقـول منوحيـن: إن الشـيخ يتمتع بشـعبية كبيرة في السـنين الأخيرة فـي برنامجه «الشـريعة والحيـاة» في شـبكة التلفاز العربيـة «الجزيرة»، لكن أسـرة تحرير الصحيفة تزعم أنه لم يعد مؤثرًا في حركة الإخوان المسلمين التي نشأ فيها...

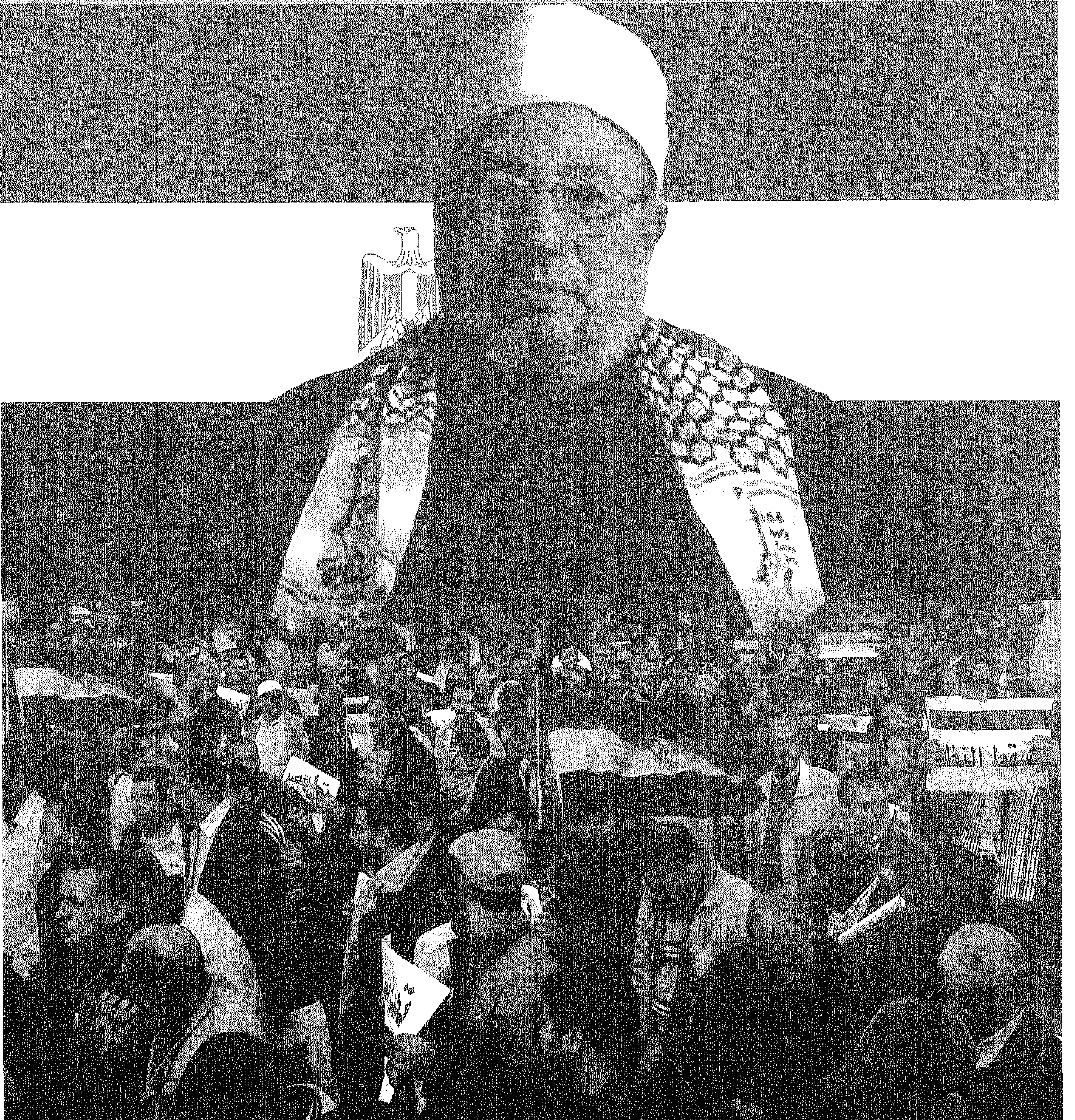
وحسـب فهم الكاتبة فإن مقالة الشـرق الأوسط تنصح بأنه لا مانع من قيام إسرائيل بإجـراء محادثة مـع القرضاوي، ولكن «ينبغي فعل ذلك باعتباره شـخصية مسـتقلة لا شخصية ذات تأثير في مصر أو في العالم العربي»[2].

(١) موقع أون إسلام السبت ١٩ فبراير ٢٠١١م.

(٢) موقع الجزيرة نت: الثلاثاء ٢٦/ ٣/ ١٤٣٢ هـ - الموافق ١/ ٣/ ٢٠١١ م

ملاحــق

بيانات وخطب وتصريحات القرضاوي في الثــورة



في هذا الملحق نورد ما تحدث به الإمام القرضاوي للثورة المصرية، موثقًا ومؤرخًا، ومرتبًا حسب تاريخ صدوره، وقد شمل هذا الملحق ثلاثة أنواع من كلام الشيخ:

الأول: بياناته، وهي البيانات التي كتبها وأصدرها مثل بيانه للشعب المصري العظيم الذي نشرته جريدتا: الشروق المصرية والمصري اليوم، والبيان الأول لاتحاد علماء المسلمين الذي كتبه هو، أما بيان الاتحاد بالتهنئة فلم أنشره هنا؛ لأنه ليس من وضعه، ويلحق بهذا تصريحه لجريدة الشروق المصرية، فيبدو أنه كان اتصالًا هاتفيًا، وقامت الصحيفة بتحريره وصياغته.

الثاني: خطبه، وهي ثلاث خطب: خطبة الرحيل، وخطبة التنحي، وخطبة النصر، وقمنا بتفريغ هذه الخطب وتحريرها والتعليق عليها بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبعض التعليقات الأخرى في مواضعها.

الثالث: تصريحاته، أو كلماته لقناة الجزيرة الإخبارية، ولقناة الجزيرة مباشر، وقمنا بتفريغ هذه الكلمات أيضًا، وتحريرها، والتعليق عليها بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبعض التعليقات الأخرى في مواضعها.

وقد آثرت ألا أفصِّح بعض الكلمات العامية التي استخدمها الشيخ في خطبه وكلماته لقناة الجزيرة، بل كتبتها كما هي؛ ليعيش القارئ الخطبة كما هي، كأنه يسمعها من الشيخ بانفعالاته وطريقته في الخطابة، أما البيانات، فهي فصيحة بليغة، حتى الأمثال الشعبية العامية التي استخدمها في البيانين كان يكتبها بلغة فصيحة.

تصريح جريدة الشروق[1]

القرضـاوي: إطـلاق الرصـاص على المتظاهرين حرام شـرعًا.. ومـن خرجوا إلى الشوارع هم أبناء مصر.

حيا الشـيخ يوسـف القرضاوى رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسـلمين ما وصفه بـ «الانتفاضة المباركة للشعب المصري»، راجيًا أن يكون لها دور في إحداث التغيير، وأن تتحقق مطالب الشعب في الحصول على حقوقه من حرية وكرامة.

وقال القرضاوي لـ «الشروق»: «لا شك أن ما حدث في تونس درس عظيم، ولابد أن يتكرر وأن تتغير الأوطان العربية إلى الأفضل، وأن تنال حقوقها وحريتها».

وثمن القرضاوي دور «الأحرار الذين خرجوا ليعبروا عن غايتهم ولم يدفعهم أحد، ولا يمثلون حزبًا أو قوة سياسية؛ لكنهم يمثلون مصر»، مضيفًا «مصر التي تنشد الحرية والكرامة ومستوى الحياة اللائق بها، وأن يكون لها مقعدها تحت الشمس».

وأضاف «من خرجوا إلى الشوارع هم أبناء مصر رأيتهم بنفسي، وأنا أمر في شوارع القاهـرة، هـؤلاء يتطلعون إلى غد أفضل وهذا من حقهم»، آسـفًا علـى التعامل الأمني العنيـف مـع المتظاهرين والـذي وصل إلى حد إطـلاق الرصاص الحـي الذي حصد ٤ شهداء.

(١) نشر بالجريدة يوم الجمعة ٢٨ يناير، ونشر بموقع جريدة الشروق: الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١ ٩:٠٦ م بتوقيت القاهرة.

وتابع الشيخ «كنت أود أن تكون مصر كغيرها من الدول التي تتعامل مع المتظاهرين بتحضر، لاسيما أن المتظاهرين لم يتطلعوا إلى العنف، فالتعبير عن الرأي حق إنساني».

واستنكر القرضاوي تصريحات رموز الحكومة والحزب الوطني التي «لا تعبر عن رؤية أو إدراك لم يحدث»، مضيفًا «كلامهم دليل على ضيق أفقهم؛ فهم لا يحسون بالتغيير الذي حدث في نفوس الشباب المصري».

وأفتى القرضاوي بتحريم إطلاق الرصاص على المتظاهرين وقال «أي شرطي يطلق النار على متظاهر لم يبدر منه ما يستحق القتل مجرم وآثم»، وطالبهم بعدم الاستجابة لقادتهم «ومن يقول إنه عبد المأمور أقول له: أنت عبد لله، والقتل حرام».

وفي المقابل حرم القرضاوي تحريمًا قاطعًا الاعتداء على رجال الشرطة من قبل المتظاهرين، وقال «هم منا ونحن منهم، ودماؤهم محرمة، ولعلهم يشكون مما نشكو، ولو أتيحت لهم الفرصة لانضموا إلى الجمهور»، مشددًا على حرمة المساس بالممتلكات العامة والخاصة.

وترحم القرضاوي على شهداء «يوم الغضب» الذين سقطوا ضحية، مؤكدًا أن دماءهم لن تذهب سدى، ومن الممكن أن تتحول هذه الدماء إلى الشرارة التي تشعل النار، وقال «فليحذر من يعيش في القصور بعيدًا عن مطامح الناس من تلك الشرارة».

وختم الشيخ كلامه «من واجب السلطة أن يكون لها أذن تسمع، وقلب يعقل، وعين ترى، أما أن تحدث تلك التحركات والتغيرات وتكون عين السلطة عمياء، وأن تسمع السلطة تلك الأصوات وتسد آذانها، وتغلق قلبها، فتلك هي المصيبة».

كلمته لقناة الجزيرة مباشر من القاهرة
٢٨ يناير ٢٠١١م.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،،

فأحيي الشعب المصري الأصيل العريق، وأحيي أبناء هذا الشعب؛ خصوصًا الشباب منهم الذين ثاروا لكرامتهم، وثاروا لأمتهم، وخرجوا من بيوتهم ينشدون الكرامة والحرية للإنسان المصري بعد أن قهرته الحياة، وبعد أن أصمت أذنيها عنه حكوماته المختلفة، هؤلاء الذين عاشوا لأنفسهم، وتركوا الشعب يعاني ما يعاني، نهبوا أراضي مصر، واختلسوا وسرقوا ثروات مصر، وأصبح كما يقول المثل المصري: «حاميها حراميها»، أو كما يقول الشاعر العربي:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

الشعب المصري خرج بحرية وبأصالة، لم يحركه أحد، ولم يعمل لحساب حزب ولا هيئة ولا جماعة، ولكن عمل لحق نفسه ولكرامة نفسه؛ ولذلك نحن نحيي هؤلاء الشباب ونحيي تطلعاتهم، ونحيي ما ينشدونه من حياة حرة كريمة يسعى إليها كل إنسان حر كريم، نحيي هؤلاء الشباب ونترحم على شهدائهم، ونقول للفراعنة الذين يحكمون مصر ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي لتوت عنخ آمون حينما اكتشفوا قبره، قال له بعض الأبيات الحكيمة:

زمان الفرد يا فرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

هذا من ثمانين سنة؛ فيأتي الفراعنة الجدد يريدون أن يفرضوا أنفسهم على الناس. هيهات هيهات؛ إن الشعوب الآن لها إرادة، وإذا أرادت الشعوب لن يستطيع أحد إلا أن يستجيب لرأيها.

سؤال من المذيعة: فضيلة الشيخ، الكثيرون يتحدثون عن فكرة الخروج عن الحكام وعدم مشروعيتها، وضرورة طاعة أولي الأمر، ونحو ذلك، هناك من رجال الدين من يركز على ذلك في هذه اللحظات، نريد من فضيلتكم أن تدلي بدلوك فيما يتعلق بهذا الجدل الديني.

الشيخ: هذا سوء فهم للدين؛ لأن الإسلام يجعل حق الطاعة لمن أطاع الله، ونفذ أحكامه في العدالة والكرامة والحرية، أما من خرج على الدين، وظلم الشعب وسرقه ونهب ثرواته فكيف يطاع؟ لا طاعة لأحد في معصية الله، والمسلمون مجمعون على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد صحت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن هناك حكامًا ظلمة، الرسول ﷺ يأمر بجهادهم، قال: فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل[1]، وقال ﷺ: «يا كعب بن عُجرة، أجارك الله من إمارة السفهاء، قال وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: قوم يأتون بعدي، يهدون بغير هديي، ويستنون بغير سنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليسوا مني ولست

(١) عن ابن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». رواه مسلم، وأورده النووي في رياض الصالحين. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

منهم، ولن يردوا على حوضي[1]، بريء النبي ﷺ ممن يصدق هؤلاء الحكام بكذبهم، ويعينهم على ظلمهم؛ فالإسلام لا يقبل إطلاقًا أن ينصاع الناس للحاكم الظالم.

القرآن يجعل الذين يطيعون الحاكم الظالم مثله: ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ القصص: ٦. ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ. وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾. القصص ٤٠-٤٢. وذم الشعب المصري الذي أطاع فرعون: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ». الزخرف: ٥٤. فلذلك نحن نؤيد الشعب حينما يرفض أن يستخف به فرعون، وفرعون لا يزال هو فرعون؛ ولذلك المصريون عندهم مثل يقول: «قالوا لفرعون ماذا فرعنك؟ فقال: لم أجد أحدًا يردني»، فالشعب قَبِلَ أن يرد فرعون عن ظلمه، وهذا ما يأمر به الإسلام، يأمر بأن يقف الناس في منظومات قوية حتى يصلوا إلى حقوق أنفسهم بالتكاتف والتعاون: ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾. الصف: ٤.

(١) عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: (أعاذك الله يا كعب بن عجرة من إمارة السفهاء) قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: (أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون علي حوضي، يا كعب بن عجرة، الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان - أو قال: برهان». رواه الحاكم في المستدرك: كتاب الإيمان، ورواه الإمام أحمد في المسند، في المجلد الثالث، مسند جابر بن عبد الله، ورواه النسائي في سننه: كتاب البيعة. باب ذكر الوعيد لمن أعان أميرا على الظلم.

تصريحه لقناة الجزيرة
مساء السبت ٢٩ يناير ٢٠١١م[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فلي كلمات ثلاث: كلمة أوجهها للشعب المصري الثائر، وكلمة أوجهها للجيش المصري العزيز، والكلمة الثالثة أوجهها للنظام المصري الحاكم، وعلى رأسه الرئيس حسني مبارك.

أما كلمتي للشعب فأحيي هذا الشعب الذي قام بانتفاضته المباركة؛ ثائرًا على الأوضاع الفاسدة، بعد أن صبر عليها كثيرًا وكثيرًا، بعد أن صبر على الفقر والجوع والبطالة، وهو يرى الكثيرين يتمتعون بثروات البلد، وينفقون أموالها، وينتهبون أراضيها، ويحتكرون احتكارات كبرى، يرى ذلك بعينيه وهو صابر، ولابد للصابر يومًا ما أن ينتفض وأن يقول «لا»، وقد قال الشعب «لا» في هذه المسيرات وهذه التظاهرات السلمية، لقد خرج هذا الشعب من بيوته ونزل إلى الشارع، ليس معه عصا وليس معه أي شيء، غير المسابح أو المصاحف، وهو يرفض أن يعيش هذه الحياة المهينة، يريد الكرامة والحرية ولقمة العيش والكسب الحلال، ولكنه للأسف قوبل

(١) قيل للشيخ بعد هذه الكلمة: لقد أحرقت كل سفن العودة إلى مصر. فقال: ولا أبالي، ولقد كانت كلماتي توفيقًا من الله، وبدون استعداد مسبق.

بما قابله به رجال الأمن من مصادمات ومن رصاص حي إلى آخره، وقد وجهت كلمة يوم الجمعة إلى جريدة الشروق المصرية، وقلت لأبناء هذا الشعب: لا تصادموا رجال الأمن، فهم منكم وأنتم منهم، ولعل كثيرًا منهم يشكون مما تشكون منه أو أكثر، ولو أتيحت لهم الفرصة لانضموا إليكم، فلا تقابلوهم إلا بالحسنى، ولكن للأسف حدث ما حدث، ورأينا بالأمس عشرات الشهداء يسقطون، وأكثر من ألف جريح، وهذا ما جعل بعضهم يعتدون على أملاك الدولة وأملاك الأشخاص، ولكن أريد أن أؤكد أن المتظاهرين الحقيقيين الذين قاموا بهذه الانتفاضة لم يشاركوا في السلب والنهب، وأنا أدعوهم وأجدد الدعوة إلى ما قلته بالأمس في جريدة الشروق، أقول: إياكم أن تمتد أيديكم إلى أي مؤسسة من مؤسسات الدولة، أو ممتلك من الممتلكات العامة أو الخاصة، فهذا حرام حرام، هذا ما أوجهه للشعب، وأقول للشعب: استمر في انتفاضتك، فاستمرارك هو الذي سيأتي لك بالحق إن شاء الله، هذا ما أوجهه للشعب المصري العظيم، إلى إخواني وأبنائي وأحفادي من هذا البلد الكريم أن يستمر في انتفاضته.

أما كلمتي إلى الجيش المصري العزيز علينا والحبيب إلينا؛ فأدعوه أن يحمي مصر في الفترة القادمة، وهي فترة في غاية الأهمية، لا أدعوه أن يتحمل الحكم، فنحن لا نريد أن نعيد الكرة مرة أخرى؛ حكم العسكر، ثم ننتهي إلى حكم المدنيين شبه العساكر.. إلى آخره. نريد أن يسلم الجيش الحكم إلى مدنيين، ومن أراد منهم أن يحكم فليخلع بزته العسكرية وليدخل فيما دخل فيه الآخرون من المدنيات وفق الأصول الشورية والديمقراطية، ونريد من الجيش أن يقف كما أراه الآن أمامي في الصورة لا يعتدي على أحد، بل يحافظ على الأمن من بعيد.

أما كلمتي إلى النظام المصري، وعلى رأسه الرئيس حسني مبارك، فإني آسف أشد الأسف أن أرى هذا النظام أعمى لا يبصر، وأراه أصم لا يسمع، وأراه غبيًّا لا يفهم، من

حوالي ثمانين سنة قال أمير الشعراء أحمد شوقي يخاطب الفرعون توت عنخ آمون حينما اكتشف قبره وما فيه من كنوز أذهلت العالم، قال شوقي لهذا الفرعون:

زمان الفرد يا فرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

من ثمانين سنة قال هذا شوقي، ولكن فراعنة اليوم لم يفهموا هذا، كنت أود من الرئيس حسني مبارك الذي انتظرنا خطابه طويلًا، ثم خرج علينا بخطاب كأنه يعيش في عالم غير عالمنا، لا يحس بما يجري في الشارع المصري، لا يحس بالشهداء الذين سقطوا، لا يحس بالجرحى، لا يحس بالجوعى، لا يحس بآلام هذا الشعب، وكل ما خرج علينا به أنه قال سيحل الحكومة، وما فائدة حل الحكومة؟لم يقل شيئًا مما ينبغي أن يقال،لم يقل إنه لن يترشح مرة أخرى، لن يورث الحكم لأحد، إنه سيحل مجلس الشعب ومجلس الشورى اللذين قاما على تزوير على أعلى مستويات التزوير بما لم يعرفه العالم قط، إنه سيلغي حكم الطوارئ الذي حكم مصر وقهر مصر عشرات السنين، لم يقل شيئًا من هذا، دليل على أن هذا النظام لا يعي ولا يعقل، ولم يتعظ بالماضي القريب، والدرس لا زال حيًّا، درس تونس، ولذلك أنصح الرئيس مبارك أن يتخلى عن منصبه، وأن يرحل عن مصر، ليس هناك حل لهذه المشكلة إلا أن يرحل مبارك، ولا يخرب مصر، مصر في أيام معدودة خسرت عشرات المليارات، ونزل الجنيه المصري إلى أدنى المستويات، وتعطل الاقتصاد المصري، والعمال مضربون عن العمل في مصانعهم، لا تخربها يا مبارك وتقعد على تلِّها، ارحل يا مبارك، ارحم هذا الشعب، يكفيك ثلاثون سنة، كان ينبغي أن تحكم اثنتي عشرة سنة، فحكمت ثلاثين سنة، إن كان الحكم غرمًا فيكفيك هذا الغرم، وإن كان غنمًا فحسبك ما غنمت، ارحم هذا الشعب وارحل، ارحل عنه، حتى لا يزداد خراب مصر، لقد قتل العشرات في يوم واحد، العشرات من أناس خرجوا متظاهرين يطالبون بحقهم في العدالة الاجتماعية، في الكرامة الإنسانية، في الكسب الحلال، ولكنك وجنودك قابلتهم بالرصاص الحي

في صدورهم،لم يعد لك بقاء يا مبارك، أنصحك أيها الرئيس أن تستفيد من درس زين العابدين علي، وتخرج على رجليك مختارًا بدل أن تخرج مكرها، لا أريد أن تحاكمك الجماهير، أريد أن تحاكَم بعد ذلك أمام محكمة عادلة، محكمة مدنية، لا كالمحاكم العسكرية التي تنشئها لمحاكمة خصومك؛ فتحكم عليهم بأحكام ظالمة طاغية، أريد لـك أن تخرج على رجليك مـن مصر، وتترك هذا الشعب يختار لنفسه. إن للظالم نهايـة، وقد حانت النهاية، وهبت رياح التغيير، وإذا هبت رياح التغيير من الشعب فإنه لا يستطيع أحـد أن يوقفها، لن يستطيع أحـد أن يوقف التاريخ، أو يناطـح المريخ، أو يحارب الأقدار، أو يؤخر طلوع النهار، «إن الله ليملي للظالم حتى أخذه لم يفلته»، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. هود: ١٠٢. إن الله يمهل ولا يهمل، ويملي، ولكنه وضع لكل شيء حسابًا وأجلًا مسمًّى: ﴿إِنَّ أَجَلَ الله إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. نوح: ٤. ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ. فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٤٤-٤٥. انظر إلى هذا التعليق: قطْع دابر الظالمين نعمة تستحق الحمد: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. أقول هذا بنفسي، باسمي، وباسم أبناء مصر، كل مصر، كلهم يعبرون الآن، ويطلبون منك أن ترحل على رجليك، أقول هذا باسم علماء الدين في مصر، مئات الآلاف من علماء الأزهر، وأقول هذا باسم علماء العالم الإسلامي، أضعاف علماء مصر، أدعوك باسم هؤلاء أن ترحل وترحم بلدك وترحم أهلك، إن كان في قلبك ذرة من رحمة، أو في رأسك ذرة من تفكير.

أسأل الله لمصرنا العزيزة، مصر الإسلام، مصر العروبة، مصر التاريخ، مصر الحضارة، مصر الحاضر والمستقبل، أسأل الله أن يجعل يومها خيرًا من أمسها، وأن يجعل غدها خيرًا من يومها، وأن يحسن عاقبتها في الأمور كلها، وسيروا يا أبناء مصر، سيروا في طريقكم، واستمروا في حركتكم السلمية..السلمية..السلمية، حتى يأتي نصر الله، وإنه لآتٍ قريب، ألا إن نصر الله قريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بشأن الانتفاضة المباركة في مصر[1]

٢٥ صفر ١٤٣٢هـ / ٣٠ يناير ٢٠١١م

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه، وبعد،

يتابع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بكلِّ اهتمام، وبقلق بالغ: الانتفاضة المباركة التي تجري في أرض مصر العزيزة على كلِّ عربي، وكلِّ مسلم، مصر بلد الأزهر، وقبلة الثقافة الإسلامية للأمة الإسلامية في كلِّ مكان. هذه الانتفاضة المصرية الخالصة الحرَّة المستقلَّة، التي يقودها أبناء الطبقة المتوسطة، الجامعيون المتعلِّمون، الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، بعد أن غرز فيهم وحش غلاء الأسعار أسنانه، وبعد أن طحنتهم مطالب الحياة التي لا ترحم، فالبطون الجائعة لا بدَّ لها من خبز، والأجسام العليلة لا بدَّ لها من دواء، والأسر المشرَّدة لا بدَّ لها من شقق تسكنها، والخريجون لا بدَّ لهم من عمل يعيشون منه.

---

(١) كاتب هذا البيان هو الشيخ يوسف القرضاوي لاعتبارات عديدة: أولها: أن بصمة الشيخ اللغوية لا تخفى وهي واضحة فيه، وثانيها: أنه تحدث فيه بضمير المتكلم الفرد، وثالثها: أنه موقع باسمه فقط، وخامسها: أن كثيرًا من أفكاره مكررة في خطابات الشيخ وخطبه وتصريحاته، ورابعها: أن عندي معلومة شخصية بأنه هو الذي كتبه، أما بيان التهنئة الذي أصدره الاتحاد فيما بعد فليس من وضع الشيخ؛ ولهذا لم ندرجه هنا مع الملاحق.

ناهيك بما يشكو منه وطنهم العريق في حضارته وتاريخه من وهن وتأخُّر في التعليم والصحة والاقتصاد والقوَّة العسكرية، والانسحاب من دوره التاريخي في القضية العربية مع الدولة الصهيونية... فكادت إسرائيل كيدها لتخرجها من معركة فلسطين أو معركة الأمة العربية والإسلامية، وأصبحت مصر وسيطة بين الطرفين لا شريكا في الكفاح، وتخبطت مصر محليًّا، وضعفت مصر عربيًّا، ووهنت مصر إسلاميًّا، وتأخَّرت مصر دوليًّا، كانت ديون مصر أول ما تسلم مبارك الحكم (١٢) مليارا فأمست ديونها (٨٨٠) مليارا، وغدا (٤٠٪) أربعون في المائة من أبناء مصر تحت خط الفقر، وكلُّ ذلك تراه أجيالها الجديدة، وتنكره بقلبها، صابرة على البلاء، مصابرة على البأساء والضرَّاء، وفي كلِّ يوم يزداد فقر الفقراء، ويتضاعف غنى الأغنياء، وفي كلِّ يوم يمرُّ، والمرجل يغلي، والنار تشتعل تحته، حتى أوشك للمرجل أن يتفجَّر أو يتكسَّر.

كان النظام المصري يسمع شكاوى الناس من كلِّ الطبقات، ولا سيما الطبقات الفقيرة والوسطى، ولكنه سدَّ أذنا من طين، وأذنا من عجين، وتعاون الثالوث المعروف: فرعون وقارون وهامان، فرعون المستكبر بسلطانه، المستخف بقومه، وقارون المغرور بكنوزه ومكاسبه، وهامان الواسطة بينهما، تعاون هذا الثالوث غير المقدَّس على نهب ثروات مصر، والعلو على شعب مصر، لحساب فئة قليلة، ظلَّت تسمن وأبناء مصر يهزلون، وتزداد تخمة وأهل مصر جائعون، ويطلبون الأطعمة لولائمهم وأعراسهم من باريس، وكثير من شعب مصر يئنون من الجوع أنين الملسوع.

كان الشعب يعيش في سجن كبير يحكمه قانون الطوارئ منذ عشرات السنين، لا يملك حرية سياسية حقيقية، فليس له حق تكوين الأحزاب، ولا حق الاعتراض على تصرفات الدولة، وإلا فالمحاكم العسكرية بالمرصاد، وحتى الحرية الدينية مفقودة، فالدولة تسيطر على المساجد والمنابر وخطب الجمعة، ويجب أن تُغلق المساجد بعد الصلاة.

والانتخابات تزوَّر علانية، جهارًا نهارًا، كما تجلَّى ذلك في انتخابات مجلس الشعب والشورى الأخيرة، التي بلغ فيها التزوير المكشوف أعلى المستويات، بعد أن أبعد القضاء المصري المحترم عن الإشراف على الانتخابات، وبعد التدخُّلات المستمرَّة في قهر القضاء ليخرج عن استقلاله، ويمسي تابعا للحزب الحاكم.

لقد عمَّ البلاء، وضجَّ الناس بالشكوى، وأضحى الأمر كما قال الشاعر:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها!

وأخيرًا: وبعد صبر طويل من الشعب المصري العريق، على المظالم والفقر والجوع، خرج شباب مصر الأحرار المتعلِّمون، بعد أن رأوا أرض مصر تُنهب، وثرواتها تُسرق، ومؤسَّساتها تُباع بأرخص الأثمان، يتمُّ ذلك لحساب طواغيت الحكم المصري، وفراعنة الحزب الحاكم، من رجال الأعمال، الذين أُعطوا من الامتيازات والاحتكارات الكبرى، ما يميِّزهم وأقاربهم وأصهارهم عن سائر المصريين، الذين يعانون البؤس والحرمان.

والجيل الجديد من المصريين من الرجال والنساء، هو جيل من الطبقة المتوسطة من المتعلِّمين، نشأ في عهد الرئيس مبارك، ولم يعرف رئيسا غيره، اتَّفق بعضه مع بعض عن طريق الإنترنت، والفيسبوك والمحمول وغيرها من وسائل التواصل العصرية، على أن ينزلوا إلى الشارع، معبِّرين عن ذواتهم، ثائرين على أوضاعهم، مطالبين بحقوقهم، من خبز لكلِّ جائع، وعمل لكلِّ عاطل، ومسكن لكلِّ مشرَّد، كما ينشد حقَّه في الحرية والكرامة والعدل، وحقَّ وطنه في التقدُّم والرقي، لم يكن هذا التحرك تابعا لأيِّ حزب أو هيئة، ولم يحرِّكه أيُّ تنظيم سياسي تقليدي في مصر، ومن هنا لا يعرف لهذه الانتفاضة، بل الثورة قيادة معيَّنة، بل هي تقود نفسها بنفسها.

ولكن مما يُؤسف له: أن النظام المصري لم يدرك حجم التغيير، الذي حدث لهذا الشعب، كيف تغيَّر فكره، وكيف تغيَّر وجدانه، وكيف تغيَّرت عزيمته، فكلُّ ما قابل به

التظاهر السلمي: المقابلة الأمنية التي تدرَّجت من عنف خفيف، إلى عنف ثقيل حتى إنه في يوم جمعة الغضب، سقط فيه مائة وخمسون شهيدًا من المتظاهرين، برصاص رجال الأمن، وحوالي أربعة آلاف جريح!

إن بعض الأنظمة للأسف لا تستفيد من الدروس من حولها، فهي عمياء لا ترى، صمَّاء لا تسمع، غبيَّة لا تفهم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق:٣٧، وهؤلاء لا قلب لهم، ولا سمع ولا شهود.

إن الحكومة يجب أن تكون في خدمة الشعب، فهي وكيلة عنه، أو أجيرة له، وليست سيدة له، أو مستكبرة عليه، ورحم الله أبا العلاء المعرِّي حين قال:

مُلَّ المقام فكم أعاشر أمة ... أمَرتْ بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية استباحوا كيدها ... وعَدَوْا مصالحها، وهم أجراؤها!

إن مشكلة الحكم في مصر، أنه حكم شعبًا لم يعرف حقيقته، وظنَّ أن هذا الشعب سيظلُّ أبد الدهر مستكينًا صبورًا حليمًا، ونسَوا أن الحليم قد يغضب، وأن الصبور قد يثور، وقد استثاروا الشعب وأوقدوا شعلة غضبه، حين رأوا أن الذين ولَّاهم الله مسؤولية رعاية الناس، خانوهم وأضاعوهم وأكلوا حقوقهم، وأصبح المثل السائر على كلِّ لسان: حاميها حراميها. وتمثَّل الجميع بقول الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

لقد ضجَّ المجتمع المصري من الفساد الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، وانتهب هؤلاء الفسدة المفسدون المسنودون أراضي الدولة، وسرقوا ثروات الأمة، ولم يستطع أحد أن يحاسبهم، أو حتى يسائلهم، والمصريون يقولون: هل يستطيع أحد أن يقول للغولة: عينك حمراء؟!

وأخيرًا طفق هؤلاء يهربون بطائراتهم الخاصة، محملة بالصناديق المملوءة بما خفَّ حمله وغلا ثمنه، من الذهب وغيره، حملتها (١٩) طائرة خاصة، تحمل رجال الحزب الوطني وسراق مال الشعب!! هربوا بأموالهم، وهي أموال الشعب، وتركوا البلد يخرب ولم يبالوا.

مَن المسئول عن دماء هؤلاء الشهداء، الذين لم يقترفوا جُرمًا، ولم ينتهكوا حُرمة، ولم يرتكبوا منكرًا؟ المسئول عن هذا هو النظام الظالم، ممثلًا في وزير الداخلية ورجاله، ومباحث أمن الدولة، وقبل هؤلاء جميعًا، نقول: إن المسئول الأول هو رئيس الدولة السيد حسني مبارك، فهو الراعي المسئول عن رعيته.

ونحن نقف مع الشعب المظلوم ضدَّ ظالمة، وقد شرع القرآن للمظلوم: أن يجهر بالسوء من القول ضد ظالمة، كما قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ النساء: ١٤٨

ونحن نؤيِّد شعب مصر، الذي قدَّم تضحيات كبيرة من قتلى وجرحى في سبيل إصراره على تحقيق مطالبه في الحرية والكرامة والعزَّة، وقد حدَّدها الشعب المصري الكريم في جملة واحدة: أن يرحل مبارك، ونظامه ورجاله، ويترك الشعب المصري يختار لنفسه مَن يراه.

وليس المراد أن يزول شخص مبارك ويأتي مكانه شخص آخر من جنسه، ولكن المراد أن يزول هذا النظام بكلِّ رؤوسه ورموزه، وجذوره وفلسفته، ليقوم نظام آخر، له فلسفة أخرى، يضع دستوره مجلس تأسيسي أو جمعية تأسيسية منتخبة، وقد يُضمُّ إليها مجموعة من حكماء مصر، الذين يأتمنهم الشعب على مستقبل الوطن.

وأن يقوم انتخاب لرئيس الجمهورية، انتخابا نزيها شفافا يشرف عليه القضاء إشرافًا كاملًا، ويكون الباب مفتوحا لكلِّ مصري مستوفٍ للشروط.

وكذلك ينتخب مجلس للشعب ومجلس للشورى.

وتبدأ مصر مرحلة جديدة من البناء وإقامة العدالة الاجتماعية، وحشد قوى الشعب في النهوض بهذا البلد العريق، وتجتمع كلُّ إمكانياته وفاعلياته للخروج من سجن التخلف، إلى باحة التقدم والترقي.

لقد رفض الشعب المصري المجالس النيابية التي تضم رجالًا من تجار المخدرات، وتجار الأغذية الملوثة بالإشعاع، وسرَّاق الأراضي.

إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء: أن يبيِّنوا الحقَّ للناس ولا يكتموه، ووصف الله العلماء المرضيين عنده بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله﴾ الأحزاب:٣٩، وهذا هو شعار الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وقد أمر الله المؤمنين، أن يتواصوا بالحقِّ والصبر، وأن يتعاونوا على البرِّ والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وأن ينصر كلٌّ منهم أخاه ظالمًا أو مظلومًا، ومعنى «أن ينصره ظالمًا»: أن يأخذ فوق يديه، يحجزه عن الظلم فذلك نصره، فـ«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه». أي لا يتخلَّى عنه.

ومن هنا ننصح للرئيس حسني مبارك ـ «والدين النصيحة» ـ أن يتَّقي الله في دماء المصريين، ولا ضرورة للمزيد من سفكها، وفي اقتصاد مصر، وقد خسر عشرات المليارات، بل مئاتها، وكلُّ يوم تزداد الخسائر وتتضاعف! حسبك ثلاثون سنة أيها الرئيس، فارحل ودَع الشعب يصرِّف أموره بنفسه، ينشئ حكومة إنقاذ مؤقتة، تشرف على انتخاب جمعية تأسيسية جديدة، تضع دستورًا جديدًا، يتضمن كل ما يصبو إليه الشعب من مبادئ وقيم، بعد تجربته الطويلة منذ سنة ١٩٥٢م.

وعلى أساس هذا الدستور، تجري انتخابات رئاسية وتشريعية، لكلٍّ من مجلسي الشعب والشورى.

' على أن تقام محاكم مدنية تشكَّل من قضاة عادلين معروفين بنزاهتهم، لمحاكمة كلِّ مَن أجرم في حقِّ الشعب، وخصوصًا في أيام الانتفاضة، ولا سيما من رجال الأمن، الذين قتلوا الناس الآمنين، ونهبوا البيوت والمحلات، وأحرقوا السيارات، مع أنهم المسؤولون عن أمن الناس. ومن حقِّ كلِّ مَن لديه مظلمة أن يتقدَّم إلى هذه المحاكم.

كما يجب أن يُعوَّض كلُّ مَن ظُلم، أو اتُّهم ظلمًا، أو أُسيء إليه بأيٍّ طريقة من الطرق، ومَن لقي ربَّه يُعوَّض أهله وذريته.

وما عند الله أوفى، وهو الذي يوفِّى كلَّ نفس بما كسبت، ولا يضيع عنده مثقال ذرة، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إبراهيم: ٤٢.

ويبين الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هنا: أن المائة وخمسين قتيلًا، الذين سقطوا برصاص رجال الأمن أو من يعمل لحسابهم من البلطجية والمجرمين، إنما هم شهداء عند الله؛ لأنهم خرجوا من جوامعهم في صلاة الجمعة، متوضئة أيديهم، طاهرة قلوبهم، محتسبين عند الله ما يصيبهم من أذى، يطلبون حقوقهم وحقوق أمتهم، غير باغين ولا عادين، لا يحملون سلاحًا، ولا ينوون ظلمًا لأحد، فبغي عليهم بغير حق، ووجه الرصاص الحي إلى صدورهم، من أناس يفترض أن يحموهم.

فهؤلاء القتلى شهداء، لأنهم مقتولون ظلمًا وعدوانًا، ولأنهم خرجوا من بيوتهم بنية الجهاد، وهم يدخلون في مضمون الحديث الشريف: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله[1].

(١) عن جابر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قال إلى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله». رواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم. باب ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: «الصفار لا يدرى من هو».

وفي الحديث الآخر: «مَن قتل دون دينه فهو شـهيد، ومَن قتل دون دمه فهو شـهيد، ومَن قتل دون أهله فهو شهيد، ومَن قتل دون ماله فهو شهيد»[1].

أمـا قاتلوهـم، فعليهـم لعنة اللـه والملائكة والنـاس أجمعين، وننذرهـم بقول الله سـبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النسـاء:٩٣، وبخاصة أن القاتل هو المسـئول عن حماية أرواح الناس وأموالهم، فكيف يصبح حارس الإنسان قاتله، وحاميه سارقه؟

وآمروهـم الكبار شـركاؤهـم في الإثـم، بل هم أكبر جرمًا، وأعظم إثمًا، وسينتقم الله منهم في الدنيا والآخرة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء:٢٧٧.

وإني لأحيي الجيش المصري، الذي هو درع الوطن، والذي تعامل مع المتظاهرين فـي ميـدان التحرير بـروح الوطنيـة الحقَّة، والأخـوَّة الخالصـة، كما أن الشـعب قابل الجيـش بالترحيـب والتصفيـق والمصافحـة لجنـود الجيـش، وإنـي لأناشـد الجيش وضباطه الوطنيين المخلصين أن يتولَّوا هم حماية الشعب ومطالب ثورته، التي قدَّمت مائة وخمسين شهيدًا وأربعة آلاف جريح، والجيش أهل لأن يتحمَّل مسؤولية الحماية المؤقَّتة، حتى يسلِّم الأمانة إلى نظام جديد، ورئاسة جديدة، تأتي نتيجة انتخابات حرَّة نزيهة، بناء على دستور جديد، تضعه جمعية تأسيسية منتخبة.

يـا أبنـاء مصر الأحـرار، لقد كانـت هـذه الانتفاضة الميمونـة انتفاضة الشـباب، أو الأبنـاء، وقـد قاموا بالعبء الأكبر فيها، والآن أناشـد جيل الآباء والشـيوخ أن ينضمُّوا إلى أبنائهم، ويقفوا بجوارهم، ليشـدُّوا أزرهم، ويسـندوا ظهرهم، ويسـدِّدوا خطاهم، ويتَّفقوا على المطالب الوطنية العليا، التي لا يختلف فيها اثنان، وهي رحيل هذا النظام الذي فقد شرعيته، ومبرر وجوده.

(١) عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ: «قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد». سنن أبي داود: كتاب السنة. باب في قتال اللصوص.

أدعو الأحزاب والقوى السياسية على اختلاف ألوانها واتجاهاتها، وأدعو النخب الفكرية والثقافية على تنوُّع فلسفاتها، وأدعو النقابات المهنية على اختلاف تخصُّصاتها، أدعو علماء الأزهر حيثما كانوا، في الجامعة أو المعاهد أو المساجد والأوقاف، أو التربية والتعليم، وأدعو المفكرين ورجال الجامعات والأكاديميين، وأدعو رجال القضاء والنيابة، وأدعو المحامين على اختلاف درجاتهم، وأدعو الصحفيين والإعلاميين، وأدعو الأطباء والمهندسين، وأدعو المعلِّمين والموجِّهين، وأدعو كلَّ النخب والمثقَّفين، وسائر النقابات، إلى أن يَدَعوا شواغلهم الخاصَّة، وينضمُّوا إلى هؤلاء الشباب الأطهار من أبنائهم، ولتتخلَّ كلُّ فئة منهم عن طلباتها الخاصة، وأهدافها الخاصة، وتركِّز على طلب واحد، هو الذي يردده شبابهم وأبناؤهم، والمعبِّرون عنهم: أن يذهب النظام ويحل محله نظام جديد، لم تلوث يده بدمهم، ولم يفرض نفسه عليهم، ليبدأ الشعب صفحة جديدة، وحياة جديدة. إن شعب مصر يكتب تاريخًا جديدًا، بل هو يصنع تاريخًا جديدًا، فلنشاركه صنع هذا التاريخ، فهذا يوم له ما بعده، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

أدعوكم جميعًا يا رجال مصر، أن تقفوا يدًا واحدة، وجبهة واحدة، حتى تحققوا أمل الشعب، فإن الاتحاد قوة، ويد الله مع الجماعة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ آل عمران: ١٦٠.

يوسف القرضاوي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

٢٥ صفر ١٤٣٢هـ/ ٣٠ يناير ٢٠١١م

كلمته لقناة الجزيرة
مساء الأربعاء الدامي ٢ فبراير ٢٠١١م

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء ورسل الله جميعًا.

في الحقيقة أنا أتابع هذه المسيرة من اليوم الأول يوم ٢٥ يناير، هذا هو اليوم التاسع لهذه المسيرة العظيمة، والواقع أني كنت أتابع هذه المسيرة، مسيرة المتظاهرين المحتجين بكثير من الاعتزاز والفخر؛ فهؤلاء الشباب الأحرار الأطهار الشرفاء كانوا على مستوى من الإيمان والأخلاق والمروءة بحيث لم يرتكبوا شيئًا يعاب، كان كل همهم أن يعلنوا صوتهم وأن يرفعوا شأن بلدهم، وأن يحتجوا على المظالم التي تمت خلال سنين طويلة منذ ثلاثين سنة، ربما كانت السنون الأولى أقل ظلمًا، ولكنها ازدادت ثم ازدادت، وكل شيء زاد عن حده انعكس إلى ضده، فطفح الكيل وبلغ السيل الزبى كما تقول العرب، فكانت هذه الاحتجاجات، لم يعتدوا فيها على أحد، لم يعتدوا فيها على ملك عام أو خاص، ولكنهم كانوا مثالًا حيًّا للأخلاق الكريمة، تسعة أيام، وبالأمس كانت مسيرة أو مسيرات مليونية قدر بعضهم المتظاهرين في أنحاء الجمهورية بثمانية ملايين، لم يحدث منهم أي شيء، إلى أن رأينا اليوم ما رأينا، رأينا أناسًا من البلطجية الذين تستخدمهم وزارة الداخلية المصرية دائمًا في إفساد الانتخابات في الاعتداء على الآمنين في تخويف الناس، رأينا اليوم وزارة الداخلية

التي تخلت عن الأمن وأخلت مصر تمامًا بعد يوم الجمعة الماضي من أي أحد يحرس شيئًا، حتى المرور لم يكن موجودًا. الآن تظهر في ميدان التحرير ناس راكبين جمالًا، وراكبين حميرًا، وراكبين عربات «كارو» وخيلًا، ويحملون أسلحة بيضاء وقنابل حارقة، ويرمون الناس بالملوتوف من فوق السطوح، ويستخدمون كل شيء يقتلون به الناس أو يصيبونهم بغير حق؛ ولذلك نحن نقول ما قاله الشاعر العربي قديمًا:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلَّلتمُ قتل الأسارى وطالما ... مررنا عن الأسرى نمنُّ ونصفح
فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا ... فكل إناء بالذي فيه ينضح

نضح إناؤهم بكل شر ونجاسة، فعلها مبارك وبدأ يذبح شعبه، إذا كنت صحيحًا تحب هذا الشعب، فكيف تقتله؟ كيف تسلط بعضه على بعض، كما فعل فرعون القديم، فرعون موسى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾. القصص: ٤ .ويسلط الشعب بعضه على بعض.

ولذلك نحن هنا نتوجه للشعب المصري أن يتوجه إلى ميدان التحرير بكل ما يسعف الناس من مواد الإسعاف وتضميد الجراحات، وبكل ما يحتاج الناس إليه من تغذية ومن مياه ومن أغطية، وأن يذهبوا بكثافة، ويذهبوا في مجموعات حتى لا يصطادهم هؤلاء ويحاولوا أن ينالوا منهم، ندعو الجميع إلى أن يؤيدوا إخوانهم، فهم منهم وجزء من هذا الشعب، ندعو الشعب المصري كله أن يقف بجوار هؤلاء الشباب الذين يعتبرون فخرًا لمصر، والذين ضربوا أمثلة في التضحية بأنفسهم، وبكل غالٍ لديهم، أنا أدعو الجميع؛ أدعو القضاة والمحامين، والصحفيين والإعلاميين، والأزهريين وعلماء الدين، علماء الدين بالذات أدعوهم أن يقفوا بجوار إخوانهم، أنا دعوت شيخ الأزهر من قبل وأرسلت له رسالة أن يقف مع الشعب ولا يقف مع أعداء

الشعب، ولكن للأسف صدر منه تصريح اليوم يدين المتظاهرين، يدين المظلومين ولا يدين الظالمين، ويقول: «إن الذين يدعون إلى هذه المظاهرات ليس في قلوبهم ذرة من إيمان»، ولماذا لا تقول هذا على الذين يقفون ضد هذه المظاهرات، كل ما تطلبه هذه المظاهرات هو بعض حقوقهم، يطلبون أن يتعيشوا من حلال، يطلبون الحرية، يطلبون الكرامة، أهذا ممنوع على الناس؟.

نحن ننادي إخواننا العلماء الأزهريين أن ينزلوا إلى الشارع بعممهم وجببهم، ويقفون مع هذا الشعب خصوصًا يوم الجمعة، أدعو أئمة المساجد والخطباء أن يخرجوا مع المصلين إلى الشارع وينزلوا إلى الشارع، أدعو الشعب المصري كله أن يقف مع هؤلاء المتظاهرين الذين يدافعون عن الشعب كله.

وأنا أحيي هؤلاء الشباب الذين رفضوا أن يتركوا أماكنهم ومواقعهم حتى يحققوا مطالبهم المشروعة ولو سقطوا شهداء، وقد سقط منهم مائة وخمسون، لم يسقط شرطي واحد؛ لأن هؤلاء الشباب لا يحملون سلاحًا، إنما سقط مائة وخمسون شهيدًا من هؤلاء الشباب، وحوالي أربعة آلاف جريح، وهناك عشرات من المختفين المفقودين لا يُعرف أين هم، فهؤلاء الشباب أحييهم، وأشد على أيديهم، وأقول لهم: بارك الله فيكم، استمروا، اثبتوا مكانكم، قفوا في أماكنكم، إما أن تعيشوا كرماء سعداء، وإما أن تموتوا شهداء.

كلمتي الثانية أوجهها إلى الجيش المصري، عهدنا بالجيش المصري أنه سند الشعب ودرع الشعب وفخر الشعب، وكم سررنا حينما قال المتحدث باسم الجيش: إننا نقدر مطالب الشعب ونتفهمها، ومن حقه أن يعبر عن نفسه، ولم ولن نستخدم القوة ضده، هذا موقف ـ لا شك ـ نبيل ورفيع، ولكن أيضا يُكمِّل هذا ألا يترك الجيش أبناء البلد يُقتلون، وقد ضبط هو بعض الناس من الشرطة السرية وحجزهم عنده، وكما

سمعنا الآن من بعض الإخوة أنهم حجزوا بعض هؤلاء، هؤلاء ناس إما من الشرطة السرية تلبس مدنيًّا، أو ناس مستأجرون من البلطجية، أرأيت إنسانًا يحمي البلد ويسلط البلطجية على الشعب؟ فأنا أدعو الجيش المصري أن يحمي الشعب، أن يتدخل لحماية الشعب، ولا يسلط عليهم هؤلاء البلطجية والقاتلين.

الكلمة الثالثة أوجهها إلى الرئيس مبارك نفسه، وقد وجهت إليه كلمة منذ أيام، وأنا أكرر ما قلته، وأقول له: حرام عليك يا مبارك أن تقتل شعبك، إذا كنت راعيًا ومسئولًا عن رعيتك المفروض أن تحمي الشعب لا أن تقتله، ولكن هو كما قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

الذئب يصبح هو الراعي، والراعي يصبح هو الذئب. يا مبارك، حرام عليك أن تترك الشعب للمجرمين والبلطجية، إن دموع اليتامى الذين فقدوا آباءهم، والثكالى الذين فقدوا أبناءهن، والأرامل اللائي فقدن أزواجهن، دموع هؤلاء ودعواتهم ستصيبك وأنت في قعر بيتك، سنستعدي عليك دعاء السحر، وسهام القدر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرَّه. هذه الدعوات لن تتركك أبدًا، والنبي ﷺ يقول: «دعوةُ المظلومِ يرفعها الله فوقَ الغمامِ ويَفتحُ لها أبوابَ السَّمَاءِ، ويقولُ الرَّبُّ وعزَّتي لأنصُرنَّكَ ولو بعدَ حينْ»[1].

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

(١) عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «ثلاثةٌ لا تُردُّ دَعوتُهُمْ: الصَّائِمُ حتَّى يُفطِرَ، والإمامُ العادلُ، ودعوةُ المظلومِ يرفعها الله فوقَ الغمامِ ويَفتحُ لها أبوابَ السَّماءِ، ويقولُ الرَّبُّ وعزَّتي لأنصُرنَّكَ ولو بعدَ حينْ». سنن الترمذي: أبواب الدعوات عَن رَسُولِ الله ﷺ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ.

لا تسخر من الدعاء، فقد قال الشاعر الصالح:

أتهـزأ بالدعـاء وتزدريـه — ومـا تـدري بمـا صنـع الدعـاء
سـهام الليل لا تخطي ولكـن — لهـا أمـد وللأمـد انقضـاء
فيمسـكـها إذا مـا شـاء ربـي — ويرسـلـها إذا نفـد القضـاء

** وأريد أن أرسل رسالة إلى كل الجهات المعنية، أرسل رسالة إلى الجامعة العربية وعمرو موسى، أرسل رسالة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي والدكتور أكمل الدين أوغلو، أرسل رسالة إلى الأمم المتحدة وبان كي مون، وأرسل رسالة إلى كل مؤسسات العالم ليتدخلوا ويرفعوا هذا الظلم عن هذا الشعب، ولا يتركوا هذا الشعب فريسة لهذا البغي ولهذا العدوان.

** أما رسالتي التالية فهي إلى القوى السياسية المصرية عامة، فأرسل إليهم رسالة أن تقف صفًا واحدًا، لا يجوز أن يختلفوا فيما بينهم وهؤلاء الشباب يعرضون صدورهم للرصاص، ويعرضون حياتهم للموت، لا يجوز أن يختلفوا بل يجب أن يتفقوا فيما بينهم على المطالب المعروفة، هؤلاء الشباب هم الحَكَم، الكل يجب أن ينزل على رأيهم، أصبحوا هم السادة بدمائهم وليس بكلامهم، فأنا أرجو من القوى السياسية المختلفة أن يشد بعضها أزر بعض، ويقفون موقفًا واحدًا لحماية هذا الشباب الذي ضحى بنفسه، والذي يصر على أن يستمر في موقفه، أنا أحيي هذا الشباب، وأدعو لهم، وأطلب من الأمة كلها أن تدعو لهم، أطلب من الأئمة في المساجد أن يدعوا في القنوت، هناك قنوت يسمى قنوت النوازل، ونحن في نازلة كبرى، نازلة مصيبة من المصائب الكبرى، في هذه النازلة ندعو بعد الركعة الأخيرة من الصلاة وخصوصًا الصلاة الجهرية، أدعو الخطباء وأئمة المساجد وأدعو الناس في بيوتهم أن يتوجهوا إلى الله أن ينصر هذا الشباب وألا يضيع سعيه هباء، وألا تضيع الدماء

الطاهرة التي سالت، ألا تضيع سدى، وأنا معتقد أن الله تعالى لن يخذلهم، سنة الله ألا يخذل العاملين الجادين الأطهار البرآء، سنة الله أنه يخذل أعداءهم، وتكون العاقبة لهم، ربما تتباطأ قليلًا ولكن في النهاية العاقبة للمؤمنين والعاقبة للتقوى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. آل عمران: ١٦٠.

والدعاء عندنا سلاح من الأسلحة، الدعاء سلاح المؤمن، والقرآن يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦ ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. غافر: ٦٠. ويقول: ﴿وَاسْأَلُواْ الله مِن فَضْلِهِ إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. النساء: ٣٢. فنحن نتعبد لله تعالى بالدعاء، وخصوصًا في الشدائد الناس تلجأ إلى الله وتقول يا رب، ونحن في شدة، الشعب المصري الآن في شدة؛ لأنه يعاني من هذه المكائد والمؤامرات التي تريد أن تُفَشِّل عمله وسعيه خلال هذه المدة، فنحن نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء، وأنا أدعو وأرجو ممن يسمعني أن يؤمن على دعائي:

اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، اللهم كن لإخواننا في مصر ولا تكن عليهم، اللهم كن لأبنائنا وإخواننا المحتجين على الظلم والعدوان، اللهم كن لهم ولا تكن عليهم، وأعنهم ولا تعن عليهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، وامكر لهم ولا تمكر عليهم، واهدهم ويسر الهدى لهم، وانصرهم على من بغى عليهم، اللهم انصرهم على من بغى عليهم، اللهم شد أزرهم، وأسند ظهرهم، اللهم إنا نسألك أن تمدهم بروح من عندك، وأن تؤيدهم بجند من جندك، اللهم أيدهم بجند من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام، اللهم اكلأهم في كنفك الذي لا يضام، اللهم كن لهذا الشباب الطاهر المضحي المجاهد في سبيلك، الراغب في رحمتك، الخائف من

عذابـك، اللهـم إنا نسـألك لهـم فتحًـا مبينًا، واهدهـم صراطًا مسـتقيمًا، وانصرهـم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهـم عليك بالطغـاة الظالمين، اللهم عليك بالطواغيت الفراعيـن، اللهم خذهم أخذ عزيـز مقتدر، اللهم خذهم ومـن وادَّهم أو ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم أخذا أليمًا شديدًا، اللهم إنهم طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم يا رب سوط عذاب، وكن لهم بالمرصاد، اللهم رد عن المصريين كيدهم، وفل حدهم، اللهم إنـا ندرأ بـك في نحورهم، اللهم سـلط عليهم جندك، اللهم سـلط عليهم ما يحجزهم عـن عبادك المؤمنين، وشـبابك الطاهرين الصادقين، اللهم يـا رب العالمين، ويا أمان الخائفيـن، ويا غوث المسـتغيثين، ويا جار المسـتجيرين، خذ بأيدي شـبابنا المؤمنين الطاهريـن، وخذ واضرب على أيدي هؤلاء الفاسـدين المفسـدين، اللهم خذهم أخذ عزيـز مقتـدر يا رب العالمين، اللهم يـا حي يا قيوم برحمتك نسـتغيث، اللهم يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، برحمتك نستغيث، فأغث لهفتنا، واكشف غمتنا، وفرج كربتنا، ولا تكلنا إلى أنفسـنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم يا من أهلكت ثمود بالطاغية، وأهلكـت عادًا بريح صرصر عاتية، خذ هؤلاء الفراعين الظالمين الطاغين أخذة رابية، ولا تبـق لهـم من باقية، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْـكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيـرُ. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَـةً لِّلَّذِيـنَ كَفَـرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنـتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيـمُ﴾. الممتحنة: ٤-٥. اللهم آمين..وصـلِّ على عبدك ورسـولك محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسـان إلى يوم الدين.

جمعة الرحيل ٤ فبراير ٢٠١١م
من مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة

الحمـد لله، نحمده ونسـتعينه ونسـتهديه ونسـتغفره، ونعوذ بالله تعالى من شـرور أنفسـنا، ومن سـيئات أعمالنـا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلـل فلن تجد له وليًّا مرشـدًا، «وَمَـن لَّمْ يَجْعَـلِ الله لَهُ نُـورًا فَمَا لَهُ مِن نُّـورٍ». النور: ٤٠. وأشـهد ألا إله إلا الله وحده لا شـريك له، خصَّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسـل، وأتم علينا النعمة بأعظم منهاج شرع، منهاج الإسلام ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣. وجعلنا الله بالإسلام خير أمة أخرجت للنـاس، نأمـر بالمعروف، وننهـى عن المنكر، ونؤمن بالله، وأشـهد أن سـيدنا وإمامنا وأسـوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك؛ فمن يطع الله ورسـوله فقد رشـد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمـل: ٤٠. اللهم صلِّ وسـلم وبارك على هذا الرسـول الكريـم، ذي الخلق العظيم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته مع ﴿ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩. أما بعد،

فيا أمة الإسلام!

أزفت الآزفة، ليس لها من دون الله كاشفة، حصحص الحق، وظهر الباطل، «وقل جاء زهوقا» في خطبتي هذه أوجه عدة رسائل: رسالة إلى الأمة الإسلامية، ورسالة إلى شباب مصر.. الشباب المؤمن الحر الأصيل، وإلى حكام مصر.. فراعنة مصر، وإلى شرطة مصر، وإلى الجيش في مصر.

*كلمتي إلى الأمة الإسلامية أن الحاكم في هذه الأمة ليس فرعونًا.. الحاكم وكيلٌ عن الأمة، وأجير عندها، كما دخل أبو مسلم الخولاني - وهو من أئمة التابعين - دخل على معاوية، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فثار من حوله وقالوا قل أيها الأمير، فقال: بل أيها الأجير، قالوا: قل أيها الأمير، قال: السلام عليك أيها الأجير، فقال لهم معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول.

الحاكم في الإسلام أجير عند الأمة، هي التي توليه، وهي التي تعطيه أجره، وهي التي تراقبه وتحاسبه، وتعزله إذا استحق العزل، هكذا شأن الحاكم مع الأمة.

حينما ولي أبو بكر - رضي الله عنه أول خليفة في الإسلام - قال للناس كلمات موجزة مضيئة: أيها الناس إني وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم.. هكذا كان الخليفة الأول.

وكذلك كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، الذي قال للناس: من رأى منكم في اعوجاجًا فليقومني ، فقال له أحد الرعية: والله لو رأينا فيك عوجًا يا ابن الخطاب لقومناه بسيوفنا. لم يقل اقبضوا على هذا الرجل، وانظروا ما عنده من سيوف، وانظروا من معه، ولكن قال: الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقوم له اعوجاجه بحد سيفه. ولما قيل له اتق الله يا أمير المؤمنين في كذا وفي كذا، أنكر بعض أصحابه ذلك، فقال: دعه لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

عمر بن عبد العزيز حينما ولي الخلافة قال للناس: أيها الناس إنما أنا واحد منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملًا.

الخليفة أو الإمام أو الحاكم هو واحد من الناس، ولكن الله حمله الأمانة، فأصبح أثقل الناس حملًا؛ لأنه مسئول؛ الإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته.. مسئول أمام الله، ومسئول أمام الشعب، ومسئول أمام ضميره، ومسئول في الدنيا، ومسئول في الآخرة. هذا هو الحاكم المسلم.. ليس الحاكم المسلم جبارًا في الأرض.. ليس فرعونًا من الفراعين، وإنما هو واحد من الناس، شأنه شأن الرعية؛ يصلي معهم، ويعيش معهم، ويحس بآلامهم، ويفرح بفرحهم، ويحزن لحزنهم. هذا هو الحاكم الذي أراده الإسلام.

وهو حاكم يحبه الناس ويحبونه، إذا كان حاكمًا مسلمًا حقيقيًّا، روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: خير أمرائكم أو أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، يعني تدعون لكم وتدعون لهم، هذه الصلة، حب ودعاء متبادل، وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، هذا هو الحاكم المكروه المبغوض الملعون، ملعون عند الله وملعون عند الناس وملعون عند الملائكة. الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، هذا ما يريد الإسلام أن يقيم حاكمًا عادلًا يعامل الناس كما يعامل أولاده؛ يشفق على صغيرهم، ويرعى كبيرهم، ويهتم بمصالحهم، هذه كلمتي التي أوجهها للأمة؛ لتعلم من هو الحاكم المطلوب الذي يحكم الأمة، هكذا كانت أمتنا حين كان الحكم راشدًا.

يدخل الإنسان الحكم، ويتحمل مسئوليته.. لا يستفيد منه شيئًا.. أبو بكر وعمر وعثمان وعلي لم يستفيدوا من الحكم شيئًا، بل خرجوا منه خفافًا وكفافًا لا لهم ولا عليهم.

قيل لعمر بن الخطاب: ألا تستخلف عبد الله ابنك، عبد الله بن عمر عالم من علماء الصحابة، مجاهد من مجاهدي الصحابة،.. رجل قوي في دين الله وفي طاعة الله، فقال لهم: بحسب آل الخطاب أن يسأل منهم واحد، والله لوددت أن أخرج منها كفافا لا عليّ ولا لي.. هذا هو عمر بن الخطاب.

لكنا أصبحنا في زمن يدخل الناس الحكم فقراء، ويخرجون منه أغنياء، لا يؤتمن على مال الناس بل يسرقه، أصبح الناس يقولون حاميها حراميها، الحاكم الذي يفترض أن يرعى الناس هو الذي يفترسهم، كما قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

هذه كلمتي الأولى.

** كلمتي الثانية إلى شباب مصر الأحرار الأطهار الشرفاء الذين خرجوا من بيوتهم ليقولوا كلمة الحق، ليطالبوا بحقهم، وهذا أمر يقره الإسلام، ويقره العالم كله؛ أن تطلب حقك، أصبحت منظمات حقوق الإنسان ومواثيق حقوق الإنسان شيئًا معروفًا متداولًا لا ينكره أحد، الحرية والكرامة والعزة للإنسان، وكفالة العيش الكريم للإنسان.. هذه كلها أشياء لا خلاف عليها بين أحد من العالم؛ مسلمًا كان أم يهوديًّا أم نصرانيًّا أم ملحدًا، هذه حقوق إنسانية طبيعية، والإسلام هو الذي قال خليفته: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا. هذا هو الإسلام. أنا قلت على مرارًا على هذا المنبر وفي برنامج الشريعة والحياة: إن الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة الإسلامية.. بل الحرية هي جزء أساسي من تطبيق الشريعة الإسلامية.. بل الحرية هي ثمرة حقيقية لتطبيق الشريعة الإسلامية. الناس تقول: أعطونا حريتنا، طالما انتهكتم هذه الحرية، أعيدوا لنا حقوقنا.

هؤلاء الشباب خرجوا يطالبون بالحرية والكرامة، وأن يكون لهم حقهم في عيش كريم.. لا يجوز أن يضع بعض الناس أيديهم على بطونهم يشكون من عضة الجوع، يئنون من الجوع أنين الملسوع، وأناس آخرون يضعون أيديهم على بطونهم يشكون من زحمة التُّخَمة، من كثرة ما أكلوا، حتى إنهم يريدون مهضِّمات. كل على قدرك، ولا تأكل حق الناس، إنما جاع الفقير؛ لأن الغني أكل حقه.

إن ٤٠٪ من شباب مصر، أو من أبناء مصر تحت خط الفقر، وهناك آخرون يلعبون بالملايين، ناس لا يجدون الملاليم، وناس يلعبون بالملايين، وهذه الملايين كثيرًا ما كسبوها من أموال المجتمع من أموال الدولة، نهبوا أموال الدولة وأراضي الدولة.. كأصحاب مدينتي وغيره؛ أخذوا هذه الأراضي بما يشبه المجانية، الناس كانوا ينادون في شوارع القاهرة والمدن المختلفة: كيلو الطماطم بعشرة جنيه، ومتر مدينتي بنص جنيه. خمسين قرشًا، وكيلو الطماطم أصبح بعشرة جنيه؛ نهبوا ثروات البلد. الحزب الوطني الذي كوَّن حكومة من رجال الأعمال، كيف يؤتمن رجال الأعمال على ثروة الوطن وعلى حرمات الوطن، وعلى دماء الوطن وعلى شباب الوطن، وهم لا يحرصون إلا على مصالحهم. ماذا حرك هؤلاء الشباب ليطلبوا بحقوقهم، حركهم إحساسهم بالظلم، والإنسان قد يصبر على الظلم يومًا ويومين، وشهرًا وشهرين، وسنة وسنتين، ولكن بعد ثلاثين سنة لابد للناس أن يتحركوا. هناك قانون طبيعي في العلوم يقول: شدة الضغط تولد الانفجار. الضغط اشتد عليهم. الجوع آذاهم وآلمهم، فانفجروا، ولكنهم انفجروا انفجارًا عاقلًا، خرجوا ومعظمهم من الشباب المتعلم، ومعظمهم شباب، جيل الأبناء، خرجوا في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من يناير في هبه شعبية، لم يحركها أحد لا من الداخل ولا من الخارج، الآن يقولون هناك محركات خارجية ومحركات داخلية، والإخوان المسلمين، كلمة الإخوان المسلمين يقصدون بها تخويف الناس في الغرب، في أمريكا وأوربا، البعبع، الإسلام، التيار

الإسلامي، الإخوان المسلمين، وأنا أقول: الإخوان المسلمون موجودون كفئة من الشعب، ربما لا يزيدون عن الـ ١٠٪، أما هؤلاء الشباب فمن كل الفئات وبعضهم غير مسيسين إطلاقا لا ينتسبون إلى حزب من الأحزاب، ولا إلى هيئة من الهيئات، أبناء مصر خرجوا ثائرين، ثورة شعبية حقيقية، ما رأيت أعظم منها، ولا أطهر منها، ولا أشرف من هذه الثورة، خرجوا يطالبون بحقوقهم، ليس معهم سكين ولا مطوة، ولا قنبلة ولا مسدس ولا أي شيء، غير من كان يحمل سبحة في يده أو مصحفًا يتلو فيه، خرج هؤلاء الشباب البرآء الشرفاء يطالبون بحقهم، لكنهم للأسف ضربوا، وقمعوا، كنت في مصر في ذلك الوقت، وكنت راجعًا من اجتماع في الأزهر الشريف، فكلما جئنا إلى مكان نجد الأمن المركزي قد أغلق الطريق، نرجع نلف ونلف نروح طريق تاني، الأمن المركزي أغلق الطريق، ظللنا أكثر من ساعة نلف وندور حتى رجعت إلى الفندق، لماذا لا تتركون هؤلاء الشباب يعبرون عن أنفسهم، هم لا يسيئون إلى أحد، يقولون أعطونا حقنا، ولما قمعوا نادوا إخوانهم أن يؤيدوهم، فزاد عددهم أكثر فأكثر، ثم ازداد قمعهم، وسقط منهم من سقط من الشهداء، فنادوا الأمة، بطبيعة الحال الأمة تحس بأبنائها وما يجري عليهم، فانضم إليهم الكثيرون، انضم إليهم جيل الآباء، من العلماء والقضاة والمحامين والصحفيين، والأطباء والمهندسين والمعلمين والفنانين، وغير هؤلاء، انضم الكثيرون إليهم، وهذا طبيعي، ولكن الحكام الذين طمس على بصائرهم، قالوا: آه الإخوان دخلوا بدليل أنهم أصبحوا يصلون جماعات، كأن الشعب المصري لا يعرف الصلاة ولا الجماعة، الإخوان فقط هم الذين يصلون؟ الشعب المصري ٨٠٪ أو أكثر يؤدون الصلاة، ويؤدونها طبيعيًّا إذا كانوا في ميدان يصلونها جماعة، ولكن منذ رأوا هم أول جماعة سلطوا عليها خراطيم المياه حينما سجد الناس لله، خروا ساجدين سلطوا عليهم الخراطيم، هؤلاء لا يعرفون الله، لا يعرفون الآخرة، لا يعرفون حرمة لأحد، وفي يوم الجمعة الماضي كان هناك غليان، وتجمّع

الناس بالملايين، ولكنهم للأسف عاملوهم بمنتهى القسوة، من رأى منكم الجزيرة ـ وجزى الله الجزيرة خيرا؛ إنها تقوم برسالة عظيمة، هي التي توعي الناس ـ هؤلاء الناس لا يعقلون، عتموا على الشعب المصري، التلفزيون المصري، كأن الأمور عادية ولا شيء في العالم، الجزيرة قامت بمهمتها في أداء الأمانة، أدت الأمانة وعرفت الناس بالحقائق، أغلقوها وسحبوا التراخيص من مراسليها، ولكنها لا تزال تؤدي رسالتها.

سقط من المتظاهرين المسالمين، سقط منهم شهداء قدروا بمائة وخمسين شهيدًا، وحوالي أربعة آلاف جريح، ومختفون من النساء والأطفال والرجال حوالي الأربعين، فلم يكن أمام هؤلاء الشباب إلا أن يقرروا ثلاثاء الغضب، وكان هذا الثلاثاء الذي خرج فيه ـ حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية على ما أظن ـ ثمانية ملايين في أنحاء مصر، خرجوا يحتجون على ما حدث في يوم الجمعة الماضي، حدث يوم الجمعة أن وزارة الداخلية سحبت كل رجالها من مصر، وأصبحت مصر بقية هذا اليوم ويوم السبت وما بعده أصبحت بلا شرطة حتى شرطة المرور، وتركوا الأمن للبلطجية وللناس، وأخرجوا ناسًا من السجون، هم رجال الأمن يخرجون المجرمين من السجون، وذلك ليظهروا أن هؤلاء الذين تسببوا في ذلك، ولكن هذا الشباب.. شباب مصر الرائع أقام اللجان الشعبية ليحرس البلد لأنهم بدءوا ـ رجال الشرطة ـ الذين شرحوا وأُعطوا الأوامر بدؤوا يحرقون السيارات في الشوارع، وينهبون المنازل، وينهبون المحلات، ويرتكبون من الجرائم والخطايا ما لا يعلمه إلا الله، لم يحقق في ذلك بعد، هؤلاء الشباب أصبحوا حراس مصر خصوصًا الأشياء الحساسة، المتحف المصري الذي فيه أشياء لا تقدر بأثمان لا بالمليارات ولا بالتريليونات، هؤلاء أرادوا أن ينهبوا هذا، وأن يتركوه للنهب، هؤلاء الشباب هم الذين حرسوا المتحف، وحرصوا مصر من كل شر ومن كل أذى، هؤلاء الشباب أحييهم وأدعو لهم في نهاري وليلي، وادعوا لهم أيها الإخوة في صلواتكم وخلواتكم وأسحاركم، ادعوا لهؤلاء الشباب أن ينتصروا، فانتصارهم انتصار للحق

وانتصار للعدل وانتصار للخير، هؤلاء الشباب أوجه رسالتي الثانية إليهم؛ أن يثبتوا، أن يثبتوا ولا يفروا من الميدان، الله قدر عليهم هذه المسئولية، أن يدافعوا عن مصر، وأن يذودوا عن حمى مصر، وأن يذودوا عن حق الجياع والمهضومين والمظلومين، اثبتوا أيها الشباب، لا تستمعوا إلى المثبطين الخانعين والضائعين، لا تستمعوا لهؤلاء، للأسف وجدنا من يثبط الشباب وبعضهم يرتدي زي العلماء، لا تسمعوا لهؤلاء العلماء، فكثير منهم إما ملبس عليهم، التبس عليهم الحق بالباطل، ولم يروا الأمر على حقيقته، ولعل الله ينير بصائرهم، وكثير منهم ممن يسمونهم الناس علماء السلطة وعملاء الشرطة، فهم لا يعملون للدين، وإنما يعملون للدنيا، اثبتوا أيها الشباب، إنكم تقومون بفرض كفاية عن أمة مصر وعن شعب مصر، شعب مصر لابد أن يكون فيه من يتحرك لإحقاق الحق وإبطال الباطل، أنتم الذين قمتم بهذا الأمر نيابة عن شعب مصر، وانضم الشعب إليكم، أنا أرى أن الشعب المصري هو مع هؤلاء، الـ٨ مليون هؤلاء يمثلون ٨٠ مليونًا؛ لأن وراءهم أناسًا، الذي خرج وترك أباه في البيت وأمه وأولاده الصغار، كم مع كل واحد من هؤلاء، وناس كثيرين هم معهم بقلوبهم ولكن لا يستطيعون، ما عندهم هذه القدرة، كما قال شوقي في رواية مجنون ليلى:

أحب الحسين ولكنما لساني عليه وقلبي معه
إذا الفتنة اضطربت في البلاد ورُمْتَ النجاةَ فكن إمعة

هناك أناس من هؤلاء الإمعات لا يحبون النظام، ولا يؤيدونه، ولكن يخاف على نفسه، يخاف من خياله، فهؤلاء ضد هذه المظاهر، أوصي الشباب أن يثبت، وأوصي بقية الشعب أن يؤيد هؤلاء الشباب، أنا ناديت في بيان لي أبناء مصر: كل قادر على الخروج يجب أن يخرج لتقوية الشباب الفضلاء الأطهار، يخرج لمقاومة الظلم، لنصرة العدل، كل قادر ليس له عذر يجب أن ينضم إلى هؤلاء الشباب، إنه ينصر الحق ويخذل الباطل.

الإسلام يفرض مجاهدة الظالمين، والنبي ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1]، وهؤلاء الشباب يغيرون باللسان يهتفون، لا يمدون أيديهم إلى أحد بأذى أو بسوء، ويقول النبي ﷺ في حديث مسلم عن ابن مسعود يروي عن النبي ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنَّته، ويتقيَّدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل»[2]. الجهاد باليد لمن قدر عليه، والذي يقدر على الجهاد باليد الآن هي القوات المسلحة المصرية، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وهذا ما يفعله الشباب يهتف بلسانه فقط، يطالب بحقوقه، ثم أدنى شيء يغير ويجاهد بقلبه، ومعناه يكره الظلم، ويكره أهله، ويتمنى زوالهم، ويدعو الله أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وليس معناها سلبيًّا خالصًا، وإلا لما سماه تغييرًا بالقلب وجهادًا بالقلب، الجهاد أن يكون عنده شحنة نفسية انفعالية ضد الظلم والباطل، والنبي ﷺ يقول: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» أفضل الجهاد، لماذا؟ لأنك إذا جاهدت الفساد في الداخل فإنك تغلق الباب على الاحتلال أو الاستعمار أو الغزو من الخارج، أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[3]. لابد من تضحيات، ولكن هذا في منزلته بجوار حمزة بن عبد المطلب.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. ومن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان». صحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. وأن الإيمان يزيد وينقص. وأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ناديت أبناء مصر أن يخرجوا ليقوّوا هؤلاء، فإنهم إذا كثر عددهم كان الضغط على النظام الحاكم أكثر، فسلم، إنه نظام يركب رأسه، نظام عنيد عتيد، فكلما كان الضغط عليه أكثر سلم بخسائر أقل، وإلا فلا يعلم إلا الله مدى الخسائر والأرواح التي سيضحي بها الشعب المصري، ولا يبالي حكامه بما يضيع، وما يقتل من الناس، وما يسفك من دماء، وما يزهق من أرواح...أنا وليخرب العالم، أنا وبعدي الطوفان.

أنادي هؤلاء الشباب أن يثبتوا، وأنادي شعب مصر أن يقف بجوارهم، وأنادي هؤلاء الشباب أن يحذروا ممن يندسوا في صفوفهم، هناك أناس يندسون داخل هؤلاء الشباب؛ ليرتكبوا أشياء تنسب إلى هؤلاء الشاب، والشباب واعون، ولكن أريد أن يزدادوا يقظة وحذرًا، يزدادوا يقظة وحذرا، فلا يسمحون لأحد أن يهتف هتافات لا يريدونها هم، هتافات غير مقبولة، هؤلاء الشباب شباب مهذبون، شباب تربوا تربية إيمانية في معظمهم، وإن كان أكثرهم عاديون، لكن الشباب العادي في مصر مؤمنون، علمهم دينهم، فينبغي ألا يسمحوا بأي هتاف خارج عما يريدون...فأنا أنصح هؤلاء الشباب أن يكونوا على غاية من الحذر من اندساس هؤلاء الذين هم أجراء الحكومة، وأجراء رجال الأمن، أو هم من رجال الأمن أنفسهم، يلبسون لباسًا مدنيًا.

هذه كلماتي إلى هذا الشباب، وأدعو الله لهم أن ينصرهم، وأن يرد كيد الكائدين في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وأنا واثق بأن الله ناصرهم، فإن من سنن الله عز وجل أن ينصر الحق، ولكن بعد تضحيات، وبعد أن يبتلي الناس: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ الله لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ﴾. سورة محمد: ٤.

** وكلمة أوجهها لرجال الشرطة، لرجال الأمن، الذين ارتكبوا ما ارتكبوا، أقول: إنهم مهما فعلوا هم مصريون، وهم مسلمون أو حتى مسيحيون، يعني أصحاب دين: لا ينبغي أن يستجيبوا لأمر آمر يأمرهم بقتل الناس، لا يجوز أن يقتلوا إخوانهم

المصريين مثلهم، بعضهم يقول: أنا عبد المأمور، لا..عبد مأمور لله، الله هو الذي يأمرك وأنت تطيعه، أما إنسان مثلك يأمرك بأن تقتل شخصًا بريئًا أنت تعرف أنه بريء لم يقتل إنسانًا، ولم يرتكب جريمة تقتله، توجه إليه الرصاص الحي إلى صدره لأن ضابطًا قال لك اقتل، لا، قل له لا..أنا لا أقتل، إنما قتل المؤمنين جريمة لا تقبل السماح، «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»[1]، تضيق عليه الدنيا بما رحبت، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. النساء: ٩٣. «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[2] بل حتى غير المسلم..«من قتل معاهدا لم يَرِح رائحة الجنة» إذا قتله بغير حق لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا، خمسمائة عام[3]. ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢. إن الإسلام لا يسمح بقتل هرة بغير حق، علمنا النبي ﷺ أن امرأة دخلت النار، فتحت لها أبواب حهنم من أجل هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، هرة[4]، فما بالك بالإنسان المكرم الذي استخلفه الله في الأرض.

أقول لهؤلاء الشرطة: لن ينفعكم ضباطكم، ولن ينفعكم حكامكم يوم القيامة، يوم تجدون جهنم مفتوحة لكم، لا يجوز لإنسان أن يقتل إنسانًا بقتل إنسان، إلا إذا حكم

(١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا». رواه البخاري: كتاب الديات. باب: ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم.

(٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ. سنن الترمذي: كتاب الديات عن رسول الله. باب: ما جاء في تشديد قتل المؤمن.

(٣) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا». صحيح البخاري: كتاب الجزية. باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم.

(٤) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ والله أَعْلَمُ لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ». صحيح البخاري: كتابا لمساقاة. باب: فضل سقي الماء.

القضاء بقتله...لا يملك ضابط أن يقول اضرب النار..لا...ليس هو إلهًا يصدر أمره للخلق فيأتمروا به..فأنا أحذر هؤلاء الشرطة؛ أن يقتلوا إخوانهم أو يؤذوا إخوانهم، وأحذر البلطجية والمستأجرين الذين استخدمهم هذا النظام ليفعلوا ما فعلوا في ميدان التحرير من أجل جنيهات.. بعضهم ٥٠ جنيه يأخذها، وبعضهم ٢٠٠ جنيه، وبعضهم ٥٠٠ جنيه على حسب ما يؤدي.. صاحب الجمل أو الخيل يعطونهم ٥٠٠ جنيه والآخر ٢٠٠ جنيه، والآخر يأخذ ١٠٠ والآخر ٥٠ جنيه، ويذهب ليقتل البرآء.

الشباب قبضوا على بعض هؤلاء الناس ولما سألوا بعضهم لماذا تقتلنا يا أخي؟ نحن خرجنا من أجلك!! خرجنا من أجل إنصاف المظلومين.. ليس لنا أي شيء في هذا الأمر إلا أننا ندافع عن شعبنا ونطالب بحقه. لماذا تقتلنا، لماذا تضربنا بالمولوتوف؟ لماذا تقنصنا، قناصة من فوق سطوح الفنادق والعمارات؟.. يسلطون ذلك على هؤلاء الشباب ليقتلوهم. بكى هؤلاء الشباب وقالوا: والله ما كنا نعرف[1]. إنهم قالوا لنا إن هؤلاء مجرمون يريدون تخريب البلد وصدقناهم، ففعلنا ما فعلنا.

أنا أنادي هؤلاء الشباب المغرر بهم المخدوعين أن ينتبهوا ويعلموا أنهم إنما يقتلون أهلهم وإخوانهم.. يا شباب.. يا شرطة.. يا مستأجرون.. حرامٌ عليكم أن تقتلوا أبناء بلدكم، أن تقتلوا هؤلاء الأطهار الشرفاء الذين خرجوا من بيوتهم وصار لهم عشرة أيام يبيتون في الميدان في هذا البرد الشديد، أحيانًا لا يجدون طعامًا ويصاب من يصاب منهم ولا يجدون دواءً، والمسئولون يمنعون الإسعاف أن يصل إليهم ويحجزون ويصادرون مواد الإسعاف الأولية.

أنادي هؤلاء الشباب وإن كانوا من البلطجية ومن المستأجرين هم مصريون.. هم أناس لهم قلوب ولهم عقول.. أناديهم ولا أيأس منهم.

(١) هنا بكى الشيخ تأثرًا وحزنا وأسفًا.

** وأنادي أخيرًا حكام مصر.. أقول لهم: يا حكام مصر.. آن لكم أن تفهموا.. من عادة الأنظمة المستبدة أنها ليس لها عقل يفهم، ولا قلب يرحم، هذه الأنظمة صماء لا تسمع، عمياء لا ترى، غبية لا تفهم، بليدة لا تحس، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الحج: ٤٦. عطلوا أجهزة المعرفة عندهم فلم يعودوا يعون شيئًا، لا يخشون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا، هؤلاء لا يفهمون منطق الإسلام الذي يقوم على الشورى، ويريد للحاكم أن يكون محبوبًا عند الناس (الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم) إذا أحس الحاكم أن الناس يكرهونه ليرحل، ليرحل فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولا يتسبب في قتل إنسان واحد لا مئات الناس وآلاف الجرحى، هؤلاء لا يفهمون منطق الإسلام، الرسول ﷺ يقول: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا - أي أن الله لا يقبل منهم عملًا صالحًا، أول هؤلاء الثلاثة - رجل أم قومًا وهم له كارهون»[1] صلى بالناس والناس يكرهونه لا يريدون أن يصلوا خلفه، يا أخي اتركهم ليروا غيرك، فكيف بالإمامة الكبرى أن يقود الناس وهم له كارهون، إنهم لا يفهمون منطق الشرع ولا منطق العصر، كما قال شوقي حينما اكتشف قبر توت عنخ آمون الفرعون القديم، وكان فيه كنوز أذهلت العالم، أنشأ شوقي قصيدة معروفة يخاطب الفرعون:

زمان الفرد يا فرعون ولى ... ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض ... على حكم الرعية نازلينا

هذا ما قاله شوقي من حوالي ٨٠ سنة.. قال له زمان الفرد انتهى، ولكن هؤلاء لا يعرفون العصر ولا منطق الشرع، أرادوا أن يستمروا رغم أنف الشعب.

---

(١) عَنْ الْحَسَنِ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةً رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ» سنن الترمذي: باب ما جاء فيمن أم قوما وهم له كارهون حديث رقم (٣٢٦).

لو كان حسني مبارك أبًا للشعب ـ كما يقول ـ ما رضي أن يقتل أولاده، ما رضي أن يبقى وملايين منهم يقولون لا، يكفي، لو أقل من هذا يكفيه أن يذهب ولا يتسبب في قتل أحد، إنما خرج ٨ ملايين يوم الثلاثاء الماضي يقولون لا، كانوا في أول الأمر.

هذه ثورة تطورت، أو كانت انتفاضة يوم ٢٥، ثم أصبحت ثورة دخلها الشعب المصري كله، وكانوا في أول الأمر يطالبون بالعيش الكريم والعزة والكرامة والحرية، ولما قتل منهم من قتل قالوا لا حل إلا برحيل مبارك ما دام هذا الرجل باقيًا فلن تستقر مصر أبدًا.

إذا كان مبارك أبًا فليرحم الأب أولاده ويرحل، ليتعلم، ألا يتعلم من الدرس القريب، ألا يتعلم من درس تونس، ألا يتعلم من زين العابدين بن علي، كان زين العابدين أعقل منه وأذكى منه، حينما رأى الأمر ذهب بنفسه وهو رجل عسكري مثله، كان متمكنًا أكثر منه، ولكنه كان أعقل من مبارك، لماذا لا ترحل يا مبارك والناس يقولون نريد الرحيل، والناس سموا هذا اليوم جمعة الرحيل.

إذا كان بقي عندك ذرة من رحمة في قلبك، أو ذرة من عقل في رأسك، ارحل وارحم هذه البلد، أنت مسئول عن القتلى الذين قتلوا من أول يوم إلى آخر يوم، بالأمس وأول أمس قتل ١٠ بالقناصة، وجرح حوالي ١٥٠٠ أو أكثر، ولا ندري ماذا يحدث اليوم، ألست مسئولًا يا مبارك عن هذه الدماء التي سالت؟.

إن عثمان بن عفان كان الثائرون حول داره يهددونه بالقتل، وذهب عدد من الصحابة يطلبون منه أن يدافعوا عنه، فقال لهم: إذا كان لي طاعة عليكم لا تمسوا أحدًا دعوني ودعوهم أنا وشأني، وأصر على ذلك حتى قُتل شهيدًا، وقال: أريد ألا تسفك قطرة دم بسببي، فهذا هو الحاكم الأب فعلا. إذا كنت أبًا فعلًا فلا تكن سببًا في مزيد من القتلى والشهداء والمجروحين.. مبارك هو المسئول عن كل ما جرى، الذي جرى أمس وأول أمس شيء لا يصدق، رئيس الوزراء نفسه قال: شيء لا يصدق، سماها مهزلة، وسماها مأساة، وسماها كذا.

الذيـن جـاءوا إلى ميـدان التحرير من عند الهرم ١٨ كم أو أكثر أو من نزلة السـمان، جاءوا يركبون الجمال والخيول، ومعهم أسلحة بيضاء ومطاوي وسكاكين وزجاجات ملوتـوف، وكـرات ناريـة ودخلـوا، هذا الشباب الذي ظـل ٩ أيام، لم يُصَـب أحد من الشرطة ولا من غيرهم، الشهداء كلهم من الشباب المتظاهرين، الشرطة وهؤلاء الناس لم يصبهم شيء؛ لأن الشباب لم يطلق رصاصة لم يرم حجرًا، حتى جاء هؤلاء البلطجية كما يسـمونهم، الذين يستأجرهم الأمن، أمن الدولة ووزارة الداخلية، يستأجرونهم في إفسـاد الانتخابات ومنع المرشحين ومنع المنتخبين أن يصلوا إلى الصناديق..تصوروا حكم يستعين بالبلطجية ليقتل شعبه، أي حكم هذا؟!

هل هناك حكم يسـتعين بالمجرمين؟ كما قال سـيدنا موسى ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. القصص: ١٧. هؤلاء يظاهرون المجرمين ويستظهرون بهم يسـتعينون بهم، فالحكم هو المسـئول عن هذا، رئيس الوزراء يقول لا أدري كيف حدث هذا ولا أعرف، كيف جاءوا ولا من المسئول؟ الحكومة هي المسئولة، ومبارك هو المسئول، وأقول كما قال الشاعر:

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة   أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

أنتم المسـئولون، وأنتم الذين صنعتم هؤلاء المجرمين، أنتم الذين تدفعون لهم في أيديهم الأموال، أنا أدعو حسـني مبارك أن يختم حياته بالرحيل؛ ليكن الرئيس السـابق بدلًا من أن يكون الرئيس المخلوع، استعمل العقل يا مبارك، الناس لهم عقول يفكرون بها ويفقهون.

تُعرِّض الشـعب للخطر من أجل بقائك، ومن أجل ٦ أو ٧ أشهر، تعرض البلد لهذا الخراب وهذا الدمار وهذا القتل، وهذا من أجل ٧ أشهر، لا يا أخي استرح، ألم يكفك ثلاثـون سـنة، إن كان الحكم غرمًا فيكفيـك غرمًا، إن كان الحكـم غنمًـا فيكفيك غنمًا،

٣٠ سنة كفاية.. استرح.. حرام عليك يا مبارك، حرام عليك وأنت فوق ٨٢ سنة كفاية، كما قال الشعب من سنين حركة كفاية.. كفاية خلاص، أنا أنادي مبارك، وأنادي نظامه بالرحيل.

** وأنادي أخيرا الجيش المصري، الجيش المصري هو درع مصر وفخرها، والمدافع عن حماها، والذي دخل من أجلها عدة حروب للدفاع عن مصر وللدفاع عن فلسطين، حتى من سنة ٤٨ دخل الجيش المصري في عهد فاروق ليدافع عن فلسطين، قالوا الأسلحة الفاسدة وكذا وكذا، لكنه دخل وقاتل في بعض المعارك، وكاد يكسب بعض المعارك وأسر من أسر من ضباطه وجنوده، الجيش المصري نعتز به ونفخر به، وأرى أن سفينة الإنقاذ بيده، لقد رأى ما رأى، وشاهد هؤلاء الشباب، وشهد لهم أنهم كانوا مثال الانضباط باللغة العسكرية، ومثال الأخلاق، ومثال الاعتزاز بالوطن والحب له والدفاع عنه، ولكنه بالأمس وأول أمس ترك هؤلاء البلطجية يقتلون الشباب، ويوجهون إليهم الحجارة والمولوتوف والكرات النارية والرصاص، أخيرًا قتل ١٠ وجرح أكثر من ١٥٠٠ وبعضهم جراحه خطيرة، بعضهم ذهبت عينه، وبعضهم انكسرت رجله، والذي أصيب في قلبه ورأسه، وبعضهم يكاد يموت، وفي عداد الموتى.

أنا أطلب من جيش مصر الجيش الباسل، الجيش الشريف الذي دخل المعارك وراء المعارك من أجل مصر، أريد من هذا الجيش أن يفض هذا الاشتباك، ويتحمل المسئولية، ويعين رئيس المحكمة الدستورية؛ فلم يعد يكفي أن يعيِّن نائب رئيس، لأن نائب الرئيس هو من الرئيس، هو الذي عينه الرئيس، والشعب رفض هذا النظام، ونحن نرفض هذا النظام ونحرص على الدولة، فهناك فرق بين الدولة والنظام، النظام يذهب والدولة باقية، والجيش من أول مؤسسات الدولة وهو الذي ينبغي أن يحمي مصر عند اللزوم وعند الضرورة، أنا لا أقول للجيش تحمل مسئولية الحكم، لا، لا أريد أن

يحكمنا الجيش مرة أخرى، ولكن أريد أن يظل الجيش حاميًا للأمة وحاميًا لحقوق الشعب، والذي أستطيع أن أقوله الآن: إن على الجيش أن يتسلم الأمر ليسلمه إلى المدنيين، لا نستطيع أن يسلم إلى نائب الرئيس؛ لأنه من الرئيس وهو الذي عينه، ولا نستطيع أن يسلمه إلى رئيس مجلس الشعب؛ لأن مجلس الشعب مزور، وكل الشعب يعرف أنه مزور حتى حسني مبارك نفسه قال: يجب أن نستمع إلى الطعون، وكانوا من قبل لا يبالون بالطعون ولا يبالون بشيء، والقضاء يقضي وهم يقولون هو سيد قراره. أريد من الجيش أن يعين رئيس المحكمة الدستورية، ويكون هو الرئيس المؤقت للجمهورية، ويتولى الإجراءات بعد ذلك من حكومة إنقاذ، وعمل لجنة حكماء لوضع دستور مؤقت، يُكوَّن وينتخب مجلس تأسيسي يضع الدستور ويقر تمامًا، وتقوم كل الإجراءات بعد ذلك، هذا ما أرجوه من الجيش المصري.

وأنا أدعو الله عز وجل، أدعوه من كل قلبي أن ينقذ مصر، وأن يكتب الخلاص لمصر، وأن يجعل خلاص مصر أقرب ما يكون، اللهم إنا نسألك يا رب العالمين ندعوك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم أنقذ مصر من كل خطر ومن كل سوء، اللهم انصر هذا الشباب شباب مصر البرآء والشرفاء، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا ، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم عليك بالحكام الظالمين، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم نسألك يا رب العالمين يا من أهلكت ثمود بالطاغية، وأهلكت عادًا بريح صرصر عاتية، خذ هؤلاء الحاكمين الظالمين أخذة رابية، ولا تبق لهم من باقية، اللهم خذهم واحمي مصر ، اللهم احمي مصر من القتل والخراب والدمار، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم آمين...ادع الله يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمـد للـه، ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. غافر: ٣. وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، يسبح له ما في السـماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شـيء قدير، وأشـهد أن سـيدنا وإمامنا وأسـوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله البشير النذير، والسراج المنير صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين، أما بعد،

فيا أيها الإخوة المسلمون أدعو المسلمين وخصوصًا أئمة المساجد أن يقنتوا قنوت النوازل، هناك قنوت معروف اسمه قنوت النوازل، حينما تنزل بالأمة نازلة يدعون الله ـ سـبحانه وتعالى ـ أن يكشـف الغمة ويفرج الكربة وينصر الأمة، فعلى أئمة المساجد أن يدعوا، وعلى أفراد المسـلمين أنفسـهم وخصوصًا بالصلـوات الجهرية بعد الركعة الأخيرة يقف ويدعو الله عز وجل.

الأمر الثاني: أننا سنصلي صلاة الغائب على أرواح الشهداء الذين سقطوا في معركة الحق ضد الباطل، والعدل ضد الظلـم، في مصر وتونس، للأسف لـم نصلِّ على شهداء تونس، لكن الصلاة باقية، نصلي على شهداء مصر وشهداء تونس.

ثم نبدأ اليوم ملتقى تلاميذ القرضاوي، هؤلاء التلاميذ الذين جاءوا من بلاد شـتى، إلا إخواننا في مصر لم يسـتطيعوا أن يأتوا؛ لأن سـفارة قطر التي يأخذون منها التأشيرة أغلقت أبوابها من عدة أيام؛ لأنها في منطقة سـاخنة، منطقة مسـجد مصطفى محمود، فمعظم الشباب في مصر لم يستطيعوا أن يأتوا، فأنا أحيي هؤلاء الشباب، وهم علماء، فـلا تظنـوا غير ذلك، هم أسـاتذة جامعات، ومؤلفـون، ودعاة، فأرحب بكم، وسـنبدأ اليوم في المساء حفل الافتتاح في «مبنى الفنار»..

الأمـر الأخير: هنـاك بعد الصـلاة مهرجان خطابـي يتحدث فيه بعـض الإخوة عن أحداث مصر، وثورة مصر.

أسـأل اللـه ـ تبارك وتعالـى ـ أن يؤيد مصر بروح من عنده، اللهـم أيدهم بروح من عنـدك، اللهـم أمدهم بجند مـن جندك، اللهم احرسـهم بعينك التي لا تنـام، واكلأهـم بكنفك الذي لا يضام، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، اللهم خذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، اللهم لا تمهلهم، اللهم لا تمهلهم، اللهـم إنـك أمليت لهم مـا أمليت لهم، فخذهـم الآن أخذا أليمًا شـديدًا، اللهم خذهم أخذًا أليمًا شـديدًا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهم يا كاشف الكربات، ويا مجيب الدعـوات، ويـا منـزل الرحمـات، ويـا سـميع الأصـوات، نسـألك أن تعـز الإسـلام والمسـلمين، وأن تؤيد الحق ودعاة الحق.. اللهم آمين يا رب العالمين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠.

عبـاد الله، يقـول الله تعالـى: ﴿إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَـهُ يُصَلُّونَ عَلَـى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَـلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. الأحزاب: ٥٦. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبد ورسـولك محمـد، وعلى آلـه وصحبه والتابعين لهم بإحسـان إلى يوم الديـن: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾. العنكبوت: ٤٥.

بيان من الشيخ القرضاوي إلى الشعب المصري العظيم الأحد ٠٦ فبراير ٢٠١١م.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وبعد،

فإن الحاكم في نظر الشريعة الإسلامية وكيل أو أجير عند الأمة، يعمل لحسابها، وليس مسلَّطًا عليها، وهو مسئول أمام الله، أو أمام الناس عن مصالح الأمة المادية والأدبية، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته»[1].

الإسلام يحمِّل الأمة في مجموعها مجاهدة الحاكم الظالم:

فإذا فرَّط الحاكم أو الإمام، أو انحرف عن أداء الأمانة والحكم بالعدل، فإن الأمة مسئولة أن تنصح له، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتردعه عن ظلمه، وتُغيِّر المنكر الذي ظهر في المجتمع بما تقدر عليه، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم،

(١) عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ قَال فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». صحيح البخاري: كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس. باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه.

عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فمَن لم يستطع فبلسانه، فمَن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١).

وروى مسلم أيضًا، عن ابن مسعود مرفوعًا: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنَّته، ويتقيَّدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل»(٢).

ومن هنا حمَّل الإسلام الأمة في مجموعها مسئولية تقويم الحاكم ومجاهدة الظالم؛ ليرتدع عن انحرافه وظلمه، وتغيير ما يمارسه من منكر، باليد أو اللسان أو القلب، حسب قدرته واستطاعته، وإلا نزل عقاب الله تعالى بالأمة كلِّها، الظالم والساكت على الظلم، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

وروى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب من عنده»(٣).

ولقد علمنا القرآن أن أعوان الظالم شركاؤه في الإثم، ولهذا جعل القرآن جنود فرعون مع فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:٨]، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٤٠].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ أنَّهُ قال: يا أيُّها النَّاسُ إنَّكُم تقرأونَ هذهِ الآية ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا عَليكُمْ أنفُسَكُمْ لا يُضرُّكُمْ من ضَلَّ إذا اهتَدَيتُمْ﴾. وإنِّي سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول «إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالمَ فلم يأخُذُوا على يديهِ أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ الله بعقابٍ منهُ». سنن الترمذي: أبوابُ الفتنِ عن رَسُولِ الله ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ في نُزُولِ العذابِ إذا لم يُغيِّرِ المنكرُ.

ولقد ظلم الحاكم في مصر، وطغى على الشعب، وضيَّع حقوقه، وأهدر حرماته، حتى تخرج الملايين ولم يجدوا لهم عملًا يتعيشون منه، ولا يجد الشاب شقَّة يسكن ويتزوَّج فيها، في حين نرى فئات من الناس نهبوا أرض مصر، وسرقوا ثرواتها، لمجرَّد انتمائهم إلى الحزب الحاكم.

كما زور الحاكم الفرعوني في مصر الانتخابات على كل مستوى: من مجلس الشعب، ومجلس الشورى والمحليات، إلى الانتخابات الرئاسية، وقد شاهد الناس التزوير على المكشوف في الانتخابات الأخيرة.

ومكّن جهاز أمن الدولة في مصر من التسلُّط على الشعب، فاختطف الناس من بيوتهم، وعُذِّبوا حتى مات منهم مَن مات تحت التعذيب، وحُوكم المدنيون محاكمة عسكرية، وعُوقب مَن عوقب بلا بينة.

ولقد بلغ من عدوان هذا النظام وعتوِّه أنه استعان بعتاة البلطجية والمجرمين في إفساد الانتخابات، وفي تخريب البلاد والممتلكات العامة والخاصة، أمام الثورة، حتى إنه سلط هؤلاء على المواطنين المتظاهرين في ميدان التحرير، ليصطدم بعضهم ببعض، ويقتل بعضهم بعضًا، وهذا دليل واضح على إفلاس النظام، الذي لا يبالي في سبيل بقائه أن يسفك الشعب دماء بعض.

إن المظالم والمنكرات والجرائم التي ارتكبها الحاكم في مصر، قد طفح بها الكيل، وانتهت إلى انتفاضة الشعب المصري، التي تحوَّلت إلى ثورة عارمة، ثورة تاريخية لا مثيل لها، تسجَّل مع الثورات الكبرى في تاريخ الشعوب، اشترك فيها أبناء الشعب بكلِّ فئاته وأطيافه: الجماهير والنُّخَب، وأهل الريف والمدن، والرجال والنساء، والمسلمون والمسيحيون.

تشديد الإسلام في الخروج المسلح:

إن الإسلام يشدد في الخروج المسلح على الحاكم، ويشترط له شروطًا، وذلك حتى لا يؤدي الخروج بالسلاح إلى فتنة عمياء، تسفك فيها الدماء، ولا يتحرر الناس من الحاكم.

أما ما دون ذلك من وسائل المقاومة فالإسلام يشرعها، بل يرحب بها، حتى تظل الأمة حية الضمير، قوية العزم، قادرة على أن تقول: لا، بملء فيها. وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»[1].

وسائل عصرية في المقاومة:

ولقد ابتكر عصرنا وسائل سلمية لمقاومة الحكّام المستبدِّين والمتسلِّطين على شعوبهم، ومنها هذه الوسيلة الفعالة: وسيلة التظاهر السلمي، تقوم به الجماهير بالنزول إلى الشارع، والهتاف بمطالبها المشروعة، وهي وسيلة ضغط معروفة في العالم كلِّه، وكثيرًا ما تؤدِّي إلى سقوط الحكم الدكتاتوري رغم أنفه، دون طلقة نار، ولا سيَّما إذا تكاثر المتظاهرون وتكاتفوا..

ومن هنا ننادي جماهيرنا المؤمنة في مصر: أن تنزل بكثافة إلى الشارع في يوم الجمعة القادم (جمعة الحسم) والمسيرة المليونية (٤ فبراير ٢٠١١م)، للانضمام إلى سائر شعب مصر الغاضب، ليشارك في تكثيف الضغط على الرئيس المصري حسني مبارك، الذي فقد شرعيته، حيث ينادي أكثر من (٩٠٪) من شعب مصر بسقوطه، وكلَّما كثُر المتظاهرون كان ذلك أولى، لإجبار الرئيس على النزول مُكرَهًا على حكم الشعب.

(١) سبق تخريجها.

النزول إلى الشارع يوم الجمعة واجب شرعًا على كل قادر لا عذر له:

ولهذا كان النزول إلى الشـارع ـ وخصوصًا يوم الجمعة ـ للمشاركة في الاحتجاج: واجبًا شرعًا على كلِّ قادر على الوصول إلى أماكن التجمُّع، وليس له عذر يمنعه؛ لأن هذه وسـيلة إلى التخلُّص من الفرعون، دون مزيد من الخسـائر في الأرواح، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب.

النداء الأخير إلى الرئيس مبارك:

إننـا لا نـزال ندعو الرئيس حسـني مبـارك: أن يَـدَع الغـرور والكبريـاء والمكابرة، ويسـتجيب لصيحات الشـعب، ولا يعـرِّض وطنه لمزيـد من الاضطـراب والخراب، وسفك الدماء: (١٥٠) شهيدًا، وأربعة آلاف جريح، وعدد من المفقودين أو المختفين، ويكفي الرئيس ثلاثون عامًا من الحكم والتسلُّط، ولا داعي للألاعيب المكشوفة، مثل تسـيير المظاهرات التي نراها تتكوَّن من عشـرات الأفراد، أكثرهـم من الشرطة السرية، والمأجورين في مقابلة المسيرات المليونية.

الجيش بيده سفينة الإنقاذ:

وإني لأحيي موقف الجيش المصري الباسل النبيل، الذي أثبت حقًّا أنه درع مصر، وحارسـها وفخرهـا، والذي وقف في هذه المحنة موقفًا سـيكتبه لـه التاريخ بمداد من ذهـب، مناديًـا بمبادئ سـتة كلها مرضية عند الشـعب، منهـا: أن حرية التعبير السـلمي فـي الاحتجاج حقٌّ لكلِّ مصري، وأنه يتفهَّم مطالب الشـعب المشـروعة، وأنه لم ولن يستخدم القوة ضدَّ شعب مصر العظيم، وأنه يراقب الموقف حتى يستقر.

ولقد استقرَّ موقف الشعب على المناداة برحيل الرئيس، وأجمعت على ذلك المسيرات الشعبية الحاشدة، التي قدَّرتها بعض الجهات الأجنبية بثمانية ملايين في أنحاء مصر.

وإني لأرى أن الجيش هو الذي يستطيع أن ينقذ الموقف الآن، بتعيين رئيس مؤقَّت هو رئيس المحكمة الدستورية، حيث إن رئيس مجلس الشعب لا يصلح، لإجماع الشعب المصري، على أنه مجلس مزوَّر، على أعلى مستويات التزوير. وعلى الرئيس الجديد أن يكوِّن حكومة إنقاذ مختارة من سائر القوى تمثل اتجاه الأمة الجديد، كما تختار لجنة حكماء تضع مسودة دستور، إلى أن تنتخب جمعية تأسيسية.

نداء إلى علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخ الأزهر:

وإني أنادي إخواني وأبنائي من علماء مصر، من خريجي الأزهر ودار العلوم وغيرهم أن يشاركوا في مسيرات الاحتجاج في كلِّ محافظة بعمائمهم وزيِّهم، ويقودوا المسيرة السلمية، متمسِّكين بالوحدة الوطنية، داعين إلى حماية الكنيسة، من غيِّ الماكرين، الذين قد يلعبون على الفتنة الطائفية.

وإني أنادي كبار العلماء، وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية، على رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وفضيلة مفتي الجمهورية، أن ينضمُّوا إلى الاحتجاجات السلميَّة، حتى لا يعدَّهم الناس ممَّن يسمِّيهم الناس: علماء السلطة، أو عملاء الشرطة! وليس يجوز في فقه الموازنات الشرعية: أن تجامل فردًا على حساب شعب، لا سيما وهو أقرب إلى الأموات منه إلى الأحياء.

وأنادي إخواني وأبنائي من خطباء المساجد في القاهرة وسائر المحافظات: أن يقودوا المصلِّين بعد الفراغ من صلاة الجمعة إلى أماكن تجمُّع المسيرات الشعبية، تضامنًا مع إخوانهم، وشدِّ أزرهم، ويد الله مع الجماعة.. كما أنادي الجماهير العربية والإسلامية وأحرار العالم في كلِّ مكان: أن يُظهروا تضامنهم مع الشعب المصري المظلوم.

إني أحيي الشعب المصري العظيم، على وقفته الباسلة ضد الظلم والطغيان، وثورته المجيدة على علو فرعون وهامان.

إن أمتنا اليوم تكتب تاريخًا جديدًا، بل تصنع تاريخًا جديدًا، وطوبى لمَن أسهم معها بجهد، وويل لمَن تخلَّف عنها، أو وقف في سبيلها، وإن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب.

الفقير إليه تعالى/ يوسف القرضاوي..
الأحد ٠٦ فبراير ٢٠١١م.

خطبة التنحي
مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة
١١/فبراير/٢٠١١م.

الحمـد لله، نحمده ونسـتعينه ونسـتهديه ونسـتغفره، ونعوذ بالله تعالى من شـرور أنفسـنا، ومن سـيئات أعمالنـا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلـل فلن تجد له وليًّا مرشـدًا، وأشـهد ألا إله إلا الله وحده لا شـريك لـه، خصَّنا بخير كتـاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسـل، وجعلنا بالإسـلام خير أمة أخرجت للنـاس؛ نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله، وأشـهد أن سـيدنا وإمامنا وأسـوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، ونعمة على المؤمنيـن؛ يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهـم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، وارضَ اللهم عن آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، أما بعد،،

فيا أيها الإخوة المسلمون..

دخلـت ثـورة مصـر ـ الثـورة التي أصبحـت معلمًا مـن معالـم التاريـخ المعاصر ـ دخلت يومها الثامن عشـر، وترقب الناس نتائجها في كل مكان: العرب، والمسلمون،

والأحرار في العالم، فمصر لها مكانتها، مصر بلد الحضارة، وبلد الإيمان، حتى منذ عهد الفرعونية الوثنية كانت بلد الإيمان، بالإيمان بنوا الأهرام، الأهرام بنوها لملوكهم الذين كانوا يعتقدون في ألوهيتهم، فبنوا لهم الأهرام ليخلُدوا بعد موتهم، كان الإيمان أساسًا في هذا البلد منذ العصر الفرعوني، ثم دخلت مصر في الديانة المسيحية، تبنت الديانة المسيحية، فأخذتها بقوة، ودافعت عن المسيحية، واصطدمت بالرومان مع أنهم كانوا مسيحيين مثلهم، ولكنهم كانوا يخالفونهم في المذهب، هؤلاء مذهبهم مذهب اليعاقبة، الشعب المصري، والرومان مذهب الملكانية، وقامت اضطهادات، وكانت عصور سموها عصور الشهداء، قدموا فيها آلاف الشهداء، ثم دخلت مصر في الإسلام فاحتضنت الإسلام ودافعت عنه، وكان لها نصيبها في حروب الفرنجة التي سماها الغربيون: «الحروب الصليبية»، فدافعت أمام الفرنجة وأمام الغربيين الأوربيين الصليبيين، وأسرت ملكهم لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة، وكان لها دورها في حروب التتار الذين أسقطوا بغداد، وأسالوا الدماء أنهارًا، كانت تسقط من الميازيب -المواسير- من سطوح المنازل، وأصبح نهر دجلة نهرًا أسود مما ألقي فيه من آلاف وملايين الكتب سنة ٦٥٦هـ، وفي سنة ٦٥٨ هـ بعد سنتين أو أقل انتصر الإسلام، وأخذ بثأره من التتار في معركة من معارك التاريخ الحاسمة تسمى «معركة عين جالوت» - قرية في فلسطين - قاد الجيشَ المصريَّ فيها المظفرُ سيفُ الدين قطز، وانتصر في هذه المعركة على التتار انتصارًا لم تقم لهم فيها بعدها قائمةٌ من الناحية العسكرية.

كانت مصر هكذا، دافعت عن الإسلام عسكريًّا، ثم دافعت عنه فكريًّا وثقافيًّا وعلميًّا، فكانت القبلة الثقافية للمسلمين، وكان أزهرها الذي أنشئ في أول الأمر ليكون ناشرًا للمذهب الإسماعيلي من مذاهب الشيعة، فأصبح - بعد أن دخل صلاح الدين الأيوبي إلى مصر - أصبح قبلة للعالم السني، أصبح هو المأوى والمرجع الأخير لأهل السنة في العالم؛ لذلك يهتم الناس عامة: العرب والمسلمون والعالم بما يجري في مصر.

هـؤلاء الشـباب الذين قاموا بهذه الثورة، ثورة الخامس والعشـرين مـن يناير، كانوا مثـلًا يُحتـذى؛ لـم يحملـوا سـلاحًا، لم يميلـوا إلـى العنف، إنمـا يريـدون أن يحققوا مطالبهم بالكلمة والتظاهر السـلمي والهتاف، لا شيء أكثر من ذلك، الذين استخدموا العنـف ضدهم هم: حسـني مبارك ورجاله وحكومته، قاوموا السـلم بالحرب، قاوموا القلم بالسـيف، قاوموا اللسـان بالسـنان، وقتلوا مَن قتلوا مِن هؤلاء الشـباب، قتلوهم بالرصـاص الحـي، وجهوا الرصاص الحي إلى صدورهم، أمـروا جنودهم أن يضربوا هـؤلاء الشـباب، يقتلوهم قتلًا، بل أكثر مـن ذلك رأينا ورأيتم ورأى الناس السـيارات التي تدهس الناس دهسًـا، سـيارة شـرطة كبيرة ـ عرف بعد أنها مسـروقة من السـفارة الأمريكية ـ دهسـت عشـرين شـخصًا، رأيناها وهـي تصول وتجـول، وتذهب وتعود، وتدوس على البشـر، كأنهم صراصير، لا أقـول كأنهم دجاج أو كلاب أو هرر، في مرة من المرات، كنت راكبًا مع سـائقي، فأحدث في السـيارة حركة كادت تقلب السـيارة، فقلـت له: مـا هذا؟ قال: تفاديـت قطة.. قطـة..!! كاد يعمل حادثة بالسـيارة؛ لأن هذه روح، هؤلاء يقتلون البشـر ولا كأنهم قطط، هذه كلها في سـجلات حسني مبارك، وما له من الحسـن شـيء، ولا من البركة شـيء، ولا من الحمد شـيء، اسـمه ضده، مبارك يتحمـل مسـئولية هؤلاء القتلى، الذيـن عُدوا في آخر إحصاء فكانـوا ثلاثمائة وأربعين شـهيدًا من الشـهداء، غير الآلاف من الجرحى الذين أصيب بعضهم بعاهات مستديمة ومعوقـات في أبدانهم، هو الذي أرسـل «البلطجية» المجرمين، وأرسـل معهم البغال والخيـول والجمال، ومعهم أيضًا الأسـلحة البيضاء: المطاوي والسـكاكين، وأرسـل القناصـة يقتلون الناس من فوق سـطوح العمارات وسـطوح الفنادق؛ يصطادونهم من فوق السـطوح، قتلوا عشـرة في يومين، حسني مبارك مسئول عن هذه الدماء، «مَن قَتَلَ نَفْسًـا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَـادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» المائدة: ٣٢، هؤلاء لـم يقتلـوا نفسًـا، ولـم يفسـدوا في الأرض، بل خرجـوا يطلبون حقوقهـم، يطلبون عزتهم

وكرامتهم وكرامة قومهم، لماذا يقتلون؟ حسـني مبارك مسـئول عن هذا، وهو مسـئول أيضًـا عما حدث لمصر، عن سـرقة أموال مصر، ونهب ثـروات مصر، وأراضي مصر، ليكـوِّن له ولأنصاره ولأصهاره ولأولاده ولأتباعـه ثروات في الخارج، قدرت ثروات حسني مبارك ما بين ٤٠–٧٠ مليارًا، من أين جمعها؟ وهو رجل فقير، من أسرة فقيرة، بـل قدر الخبراء والمتتبعـون أن ما أخرج من الثروات والأمـوال إلى خارج مصر يقدر بثلاثة تريليونات مليـار، والتريليون مليون مليون، ثلاثة تريليونات ثروة هائلة؛ ولذلك يقوم بعض القانونيين والمحامين الدوليين الكبار من رجال مصر برفع دعوى ودعاوى، وتتبع لهذه الثروات في سويسرا ولندن وباريس وأمريكا ليستردوا ثروات مصر إليها.

هـذه الثـورة العظيمة التـي علمت النـاس كيف تكون الثـورات، لقد اسـتفادوا من ثـورة تونس، ولا شـك أن لها الفضل، ولكنهـا تفوقت عليها وسـبقتها، بما أقامت من مُثل، أصبحت مدرسـة بل جامعة يتعلم الناس فيها كيف يعيشـون إخوة، كيف يعيشون متحابين، كيف يعيشون متساوين، لا فرق بين غني وفقير، لا فرق بين شريف ووضيع، لا فـرق بيـن متعلم وأمـي، لا فرق بين قـروي ومدني، لا فرق بين رجـل وامرأة، الكل صُهروا في بوتقة واحدة، يخدم بعضهـم بعضًا، ويساعد بعضهم بعضًا، أبناء الأسر الغنية والمترفة جاءوا وناموا على الأرض، ويخدمون إخوانهم، الفتيات الشابات الجامعيات يحملـن أكيـاس الزبالة ليذهبن إلى الناس بعد الأكل، حتى تظل الأرض التي يعيشـون عليهـا نظيفـة، ويظل الرجل أو المـرأة حينما يأكل يحمل الزبالـة أو القمامة في يده، لا يرميها؛ ينتظر حتى يأتي من يحمل الزبالة، مجتمع هائل، مجتمع رائع، يحرس بعضهم بعضًا، ويؤثر بعضه بعضًا، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِـهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشـر: ٩. كأنهم مجتمع الأنصار الذين قيل فيهم: يَكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع.

هـذه ثورة مصر، ثـورة معلمة، ولكن المطموسـين لم يفقهوها، لـم يعرفوا قدرها، حاولـوا أن يقتلوهـا، ثم في آخر الأمر حاولـوا أن يُضلِّلوها، كان كلامهم في أول الأمر

لعنًا لهذه الثورة، ولمن يؤيدها، ثم أصبح كلامهم يخف شيئًا فشيئًا حتى أصبح شبه استجداء، يبكون ليستعطفوا هؤلاء الناس، دموع التماسيح، وأخيرًا بالأمس حبس الناس أنفاسهم في أنحاء العالم منتظرين ماذا يقول حسني مبارك بعد أن صدر بيان الجيش الأول رقم واحد، انتظر الناس في أنحاء العالم أن حسني مبارك سيستجيب لهذه الملايين ويتنازل، يسمع لنداء الناس: «ارحل، مش عايزينك، بتفهم وللا متفهمشي، ارحل، ارحل يعني سيب البلد، اترك البلد»، لم يفهم لا بالعامية ولا بالفصحى، ابن علي قال لهم فهمت عنكم، وهذا لم يفهم عن الناس، هذه الملايين.

لم أر ثورة بمثل هذه الجموع وهذه القوة وهذا الاتساع، ثورة أمريكا التي استقلت على أساسها أمريكا كانت ٢٠٠ ألف، وأمريكا كانت حوالي من ٢٠٠ مليون، يعني كل واحد يمثل ألفًا، لو أخذنا الثورة التي قامت الثلاثاء قبل الماضي قدرت بـ ٨ مليون، ومصر حوالي ٨٠ مليون، يعني كل واحد يمثل عشرة، الآن أكثر، الآن يقدرون بخمسة عشر مليونًا أو عشرين مليونًا في أنحاء مصر، مصر كلها تطالب برحيل هذا الرجل.

ولكن بعد أن انتظرنا طويلًا كما يقول العرب: «تمخض الجبل فولد فأرًا»، أو كما قالوا: «سكت دهرًا ونطق كفرًا»، أو كما قالوا: «أطال الغيبة وأتى بالخيبة»، جاء بغير ما يتوقعه الناس جميعًا، ماذا يريد هذا الرجل؟ إنه أشبه بفرعون، يشبه فرعون في أمور كثيرة، فرعون مغرور، يقول للناس: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩. هذا يمتن على الناس، لم يكفه ما فعل بمصر التي فيها ٤٠٪ تحت خط الفقر، مصر أصبحت مديونة بـ ٨٨٠ مليارًا، حينما أخذها مبارك كان عليها ١٢ مليارًا، مصر لم يظهر في جامعاتها ـ وهي من أقدم الجامعات ـ جامعةٌ واحدة في الخمسمائة جامعة المتقدمة في العالم، مصر أصبح الناس يجوعون فيها وهي بلد الخيرات والبركات، مصر يمتن مبارك عليها بأنه هو الذي حارب، وهذه أكذوبة، لم يُعرف عن مبارك أن له بطولة في حرب أكتوبر،

والتاريخ لم يحقق هذا الأمر، سيحققه بعد أن يزول إن شاء الله، كل ما له من بطولة أنه ضرب جزيرة «أبا» في السودان، وقتل فيها عددًا من الإسلاميين ومن جماعة المهدي، أذكـر من الذين قتلهم أخًا داعية كبيـرًا، صديقًا لي، الدكتور محمد صالح عمر، الرجل الطاهـر النقي الأبي ممن قتلهم حسـني مبارك حينما دك جزيـرة أبا، هذا لعله هو الذي جعل له تاريخًا عند من اختاروه، هذا الرجل أشبه بفرعون، فرعون أراه الله من الآيات الكثير: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الزخـرف: ٤٨. يبتلي الله بعض الناس بالعـذاب لعله يجأر ويقول يا رب، ولكـن لـم يتعظ ولم يجأر ولم يرجع إلى اللـه ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ طـه: ٥٦. «مفيـش فايـدة»؛ ولذلك ربنا ذكـر عن فرعون: متـى اعتـرف؟ حينما أدركه الغـرق: ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّـذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْـرَائِيلَ﴾ يونس: ٩٠. حتى لم يقل: آمنت أنه لا إله إلا الله؟ قال: ﴿إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْـرَائِيلَ﴾، فقيل له: ﴿آلآنَ وَقَـدْ عَصَيْـتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِـدِينَ﴾ يونس: ٩١. هذا الرجل لن يؤمن إلا سـاعة الغرق، ولن ينفعه إيمانه في هذا الوقت، هذا الفرعون الجديد، كان الشـعب المصري الكريم السمح مستعدًّا أن يصفح عنه، وأن يتجاوز عن هذه المصائب كلها، وهي كثيرة، مصائب اقتصادية، ومصائب سياسـية، ومصائب دستورية، ومصائب من كل ناحية من النواحي، كان الشعب المصري مستعدًّا أن يتركه يولي:

إذا ذهـب الحمـار بـأم عمـرو   فلا رجعـت ولا رجـع الحمار

ولكنه أبى، أبى واستمسك بكرسيه، معبوده هذا الكرسي، وأنا قلت في أول حديث لي وجَّهته إليه في الجزيرة، قلت: إن مأسـاة هذا النظام ـ كأمثاله من الأنظمة المسـتبدة الجائرة ـ أنه: أعمى لا يبصر، وأنه أصم لا يسمع، وأنه غبي لا يفهم، وأنه جامد لا يحس، فتمـر الأحداث عليه ولا يسـتفيد منهـا، ولا ينتفع بها، ﴿وَلَقَـدْ أَخَذْنَاهُـم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْـتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ المؤمنـون: ٧٦. ومن هنا كان لابد مما لابد منه، هذا

هـو موقف هذا الفرعـون الذي فقدَ كل مقومات البقاء، لم يعـد له وجود، وكيف يبقى الرجل راكبًا على رؤوس الناس، على أنفاسـهم؛ رغمًا عنهم، رغم أنوفهم، أنا سيدكم رغم أنوفكم، أرحنا يا أخي واذهب.. فهذه كلمتي عن فرعون.

** وكلمتـي الثانية عن شـباب ميدان التحرير، وأنا أقترح أن يُغير اسـمه ويسـمى: ﴿ ميدان ثورة خمسـة وعشـرين يناير﴾، هذه ثورة جديدة بعد ثورة ٢٣ يوليو، ثورة ٢٥ يناير، ثورة الشـعب، كلمتي إلى هذا الشـباب كلمة تحية، وكلمة تكريم، وكلمة تثبيت، كلمتـي إلى هذا الشـباب المؤمن الصـادق الباذل المضحي، كلمتي إلى هذا الشـباب: أن يثبتوا في مواقفهم، هم منتصرون، أنا أقسـم أنهم منتصرون؛ لأن سـنة الله تأبى غير ذلـك، لا يمكن لهـذا الشـباب المضحي الصابر المصابر المرابـط أن تذهب جهوده سدى، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا. وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨٠-٨١. سنة الله أن للباطل ساعة، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ الأنبياء: ٨١. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَـا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ الرعد: ١٧ . فهذه ثورة تنفع الناس، ليسـت زبدًا، رغوة تظهر في سـاعة ثم تذهب، لا، هذا حق راسـخ، المظلوم لابد أن ينتصر، والظالم ـ مهمـا طغـى وبغى واغتر بإمهـال الله له ـ لابـد أن يأخذه الله أخذًا أليمًا شـديدًا، كما قـال النبـي ﷺ ﴿إن الله ليملـي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم تـلا قول الله تعالى: ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾[1]. هؤلاء الظلمة لابـد أن يزولوا، هؤلاء الطغـاة لابد أن يذهبوا، لا يريدهم أحد، فقدوا معية الله ونصرة اللـه، وفقدوا نصرة الشـعب، وفقدوا نصـرة الجيش، وفقدوا نصرة السـماء والأرض،

(١) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته). قال: ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾. صحيح البخاري: كتاب التفسير. باب: قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

كما قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ الدخان: ٢٥-٢٩. لا يبكي عليهم أحد، حتى أصدقاؤهم بعد ذلك سيتبرؤون منهم ويلعنونهم، كما أصبح الشعب جميعًا يلعنهم.

أوصي شباب ميدان الشهداء، أو ميدان ثورة الخامس والعشرين من يناير، أوصيهم أن يثبتوا على مواقفهم، وأن يثبتوا على أن ثورتهم ثورة سلمية، لا يلجئون إلى العنف، يكفي أن يقفوا ويقولوا لا، كما قال سيدنا عمر: «يعجبني من الرجل المسلم إذا سيم الخسف ـ أريد على الذل ـ أن يقول بملء فيه لا.. لا» ليظل هؤلاء الشباب على قول لا، لن نرجع إلى بيوتنا إلا إذا حققنا هدفنا، وسيحققون هدفهم؛ لأن الله معهم، وملائكته معهم، وكل العرب والمسلمين معهم، وكل أحرار العالم معهم، فلن يخذلهم الله أبدا. سنة الله أن بعد العسر يسرًا، وبعد الليل فجرًا، لا يمكن أن يستمر الظلم، وإلا فأين ربوبية الله للعالم؟ ومن هنا قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ. فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٤٤-٤٥. ما أجمل هذا التعقيب..! قطع دابرهم نعمة على الناس جميعًا، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قطع دابر هؤلاء نعمة عظيمة، ولذلك يقول الحسن البصري: ﴿من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه﴾، حين تقول له ربنا يطول عمرك كأنك تقول له: ربنا يطيل عمر الفساد، ويطيل عمر المعصية ويطيل عمر البغي على عباد الله، يا شباب مصر: أنتم المنصورون كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾. الصافات: ١٧٢-١٧٣. أنتم جند الله، لأنكم تدافعون عن الحق ضد الباطل، وتدافعون عن العدل ضد الظلم، وتدافعون عن الصلاح ضد الفساد، وتدافعون عن الخير ضد الشر، ومن كان كذلك لابد أن ينصره الله عز وجل:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾. الحج: ٤٠-٤١. اصبروا وصابروا ورابطوا، وستجدون ثمرة جهادكم عن قريب، ستقر أعين المؤمنين، وستبكي أعين الظالمين، ومن آزر الظالمين، ومن أيد الظالمين، للأسف وجدنا ممن يعتبرون من علماء الدين من يؤيد الظالمين، ومن يثبط المؤمنين، ومن يتهم هؤلاء الشباب بأنهم دعاة فتنة.. أي فتنة؟! الفتنة هي الذي يفعلونه هم، هم الذين يثيرون الفتن، ويقفون ضد المجاهدين، نحن أمرنا أن نقاوم الظلم، الإسلام يدعونا إلى ألا نظلم ولا نعين ظالمًا: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود: ١١٣. وأحاديث النبي ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده»[١] «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم»[٢]، يعني قد تودع منهم، يعني لا خير فيهم، وجودهم وعدمه سواء، أن تقول للظالم يا ظالم، فكيف إذا كان في الأمة من يقول للظالم: أيها المنقذ، أيها المحرر، أيها البطل، ماذا يكون موقف هؤلاء؟ الرسول ﷺ يقول: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»[٣]، وذكر الحكام الظالمين وقال: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس ذلك من الإيمان حبة خردل»[٤]. أدنى الدرجات أن تكرهه بقلبك، تجاهده بقلبك، ما معنى أن تجاهده بقلبك؟ يعني أن تغلي من داخلك، انتظارًا

(١) سبق تخريجه.

(٢) عن عبد الله بن عمرو - رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله -صلّ الله عليه وسلم-: (إذا رأيت أمتي تهاب فلا تقول للظالم يا ظالم، فقد تودع منهم». المستدرك على الصحيحين: المجلد الرابع. كتاب الأحكام. وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه السيوطي.

(٣) سبق تخريجها.

(٤) سبق تخريجه.

لساعة ينفجر فيها هذا الغليان إلى عمل إيجابي، ماذا يقول هؤلاء في هذه الأحاديث، ماذا يقول المثبطون؟ يقفون أمام شعب كامل، الشعب المصري بقضه وقضيضه، أنا أرى أن الشعب المصري، هذه الملايين ممثلة لكل الشعب المصري بكل أطيافه إلا هذه الفئات الذين حجبهم الله عن البصر وعن البصيرة، لم يبصروا الحق وهو أمام أعينهم، لأنهم عطلوا أجهزة المعرفة والإحساس عندهم، هذه كلمتي إلى الشباب.

** وكلمتي الأخيرة إلى الجيش المصري، الذي يعتز به المصريون جميعًا، ويعتبرونه درعًا للوطن، وسندًا لهم وفخرًا لهم، وقد خاض أربع حروب من أجل مصر ومن أجل فلسطين، منذ سنة ٤٨ دخل في فلسطين للدفاع عن أهل فلسطين، الجيوش العربية دخلت في ذلك الوقت كان عمر الجامعة العربية ٣ سنوات، والآن تترك فلسطين لأهلها في حين أن الجامعة العربية أصبحت ٢٢ دولة، وأصبحت إسرائيل تملك أكبر ترسانة عسكرية في الشرق الأوسط. دخل العرب ومنهم الجيش المصري، وبعض ضباطه قد أسر، وبعضهم قد استشهد، وبعضهم أبلى بلاء حسنًا، ثم بعد ذلك سنة ٥٦ وسنة ٦٧ وسنة ٧٣ ـ التي أسميها أنا حرب ٩٣، أفضل أن أسميها حرب العاشر من رمضان لا حرب السادس من أكتوبر ـ هذا ما صنعه الجيش المصري، الجيش المصري للشعب عليه دَيْن لابد أن يوفيه، يا رجال الجيش المصري، يا رجال القوات المسلحة، يا أعضاء المجلس الأعلى، يا قائد القوات المسلحة العام،، يا رئيس الأركان، أطالبكم بأن تؤدوا الدَّين الذي عليكم للشعب، لقد قمتم سنة ١٩٥٢م بثورتكم، فوقف الشعب جميعًا وراءكم، ورحب بكم، وأيدكم، وساندكم، حتى مرت الثورة بسلام، الآن الشعب يريد أن يسترد حقه عليكم ودَينه منكم، لقد قام شعبكم العظيم بهذه الثورة المجيدة حقًّا، الثورة الهائلة الثورة التي لا نظير لها تمثل كلَّ شعبكم، وتقول لهذا الرجل: ارحل لا نريدك، أتتخلون عن شعبكم من أجل رجل، أتبيعون مصر من أجل رجل أحمق؟ كان من واجبه أن يقول: أذهب وأريح الناس، وأرحم هذا الشعب، وأحقن دماءه،

ولكنه لا يبالي بما يزهَق من أرواح وما يسفك من دماء، وما يضيع من أموال، وما تخسره مصر من مليارات في سبيل بقائه، وبقاؤه ستة أشهر، ألم تكتفِ بثلاثين سنة، لو حتى مهما ستخسر في هذه الستة أشهر، اتركها من أجل الشعب، ارحم الشعب، إذا كنت أبًا كما تظن، كيف يضحي الأب بأبنائه، كيف يعرِّضهم للخطر؟!

أنا أنادي رجال القوات المسلحة: كما وقف الشعب وراءكم ومعكم بكل رجاله ونسائه وشبابه وشيوخه، كل الشعب المصري وقف معكم، أنتم عليكم أن تقفوا مع الشعب المصري.. الآن، لقد أصدرتم البيان رقم واحد، وأنا وكل الناس ننتظر البيان رقم اثنين، ولابد أن يشتمل البيان رقم اثنين على إخراج مبارك من مصر، ويصبح الأمر بيد الجيش؛ يستطيع أن يولي رئيس المحكمة الدستورية رئاسةً مؤقتة، أو عند اللزوم والضرورة ينشئ مجلسًا رئاسيًّا من أحد أركان الجيش أو الضباط الكبار في الجيش، وأحد القضاة وأحد الشخصيات المدنية، أنا أفضل أن تولوا رئيس المحكمة الدستورية ليأخذ في الأعمال المطلوبة، أشياء لابد منها، منها: إلغاء الطوارئ، حل مجلسي الشعب والشورى، الإفراج عن كل المعتقلين، وأنا أطلب منكم من الآن: لماذا تبقون آلاف المعتقلين إلى اليوم ممن شاركوا في هذه الثورة؟.

أنا لا زال عندي أمل كبير في الجيش المصري، وأرى أن رجال الجيش المصري لن يكونوا أقل وطنية، ولا أقل وعيًا، ولا أقل بصيرة من الجيش التونسي، الجيش التونسي وقائد الجيش التونسي هو الذي كان له الفضل، يجب أن نعترف بذلك، لو لم يتدخل الجيش ويُرحّل ابن علي، ويقول له اذهب، وينضم إلى الشعب الثائر ما نجحت ثورة تونس، فالآن موقف الجيش المصري، كلُّ العالم تشرئب عنقه وترنو عينه إلى جيش مصر، هل هو جيش مصر أم جيش مبارك؟ لا أظن أن أحدًا في هذا الجيش يعتز بأن ينتسب لمبارك الذي طغى في البلاد؛ وأكثر فيه الفساد، فهو جدير أن يصب عليه ربنا سوط عذاب؛ لأن ربنا دائمًا بالمرصاد لا يغفل عن شيء، ولا يغيب عنه شيء..

يا جيش مصر أنت مطالب اليوم أن تنصر الشعب، أن تنصر الوطن، أن تنصر الحق، أن تزهق الباطل، أن تريح هذا الشعب من العناء الذي لاقاه خلال هذه الأيام، التي هي أيام مباركة، وسيسجلها التاريخ، وسيسجل التاريخ إما لك وإما عليك يا جيش مصر، وأنا أظن أنه لن يسجل عليك، وأحسب أنه لن يخيب ظني، لن يخيب ظني في جيش مصر، أطالب هذا الجيش أن يضع الأمور في نصابها، وأن يُطوَى هذا الفصل من تاريخ مصر، هذا الفصل الأسود الذي أذاق البلاد الصعب والعلقم، هذه كلمتي إلى جيش مصر العزيز علينا والحبيب إلينا، أرجو ألا يخيب فألنا، وألا يُضيِّع حسن ظننا فيه، «رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» الممتحنة: ٤-٥. اللهم انصر إخواننا الثائرين، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، ونجهم من كل كيد... اللهم آمين... ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله «غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» غافر: ٣. وأشهد ألا إله الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السموات وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه «الَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الأعراف: ١٥٧. ورضي الله عمن دعا بدعوته واهتدى بسنته وجاهد جهاده إلى يوم الدين، أما بعد،

فيا أيها الإخوة، أريد أن أقول كلمة عن ثورة تونس، هذه الثورة التي أشعلت الشرارة الأولى، والتي بدأت مسيرة الثورات، لا شك أن الفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، ثورة تونس، ومحمد بوعزيزي، وسيدي بو زيد، المدينة الأولى التي حملت لواء الثورة،

لابد أن نخصهم بالتحية والتقدير والتكريم والشكر، ولابد أن نكون دائمًا متابعين معهم ما يجري في تونس حتى لا تسرق الثورة، هناك أناس أسميهم «لصوص الثورات»، هناك «لصوص الثروات» و«لصوص الثورات»، ناس يسرقون الثروة وتنهبها وتخبئها وتخرجها في الخارج، وناس يسرقون الثورات، يقوم بها الأبرار والأطهار والأحرار، ويأتي هؤلاء يحصدون، والآخرون يزرعون؛ ولذلك أخشى على ثورة مصر وعلى ثورة تونس من هؤلاء الحرامية، حرامية الثورات، أن يخطفوا هذه الثورة ويوجهونها لغير ما قامت له؛ فتخدم أناسًا جددًا باشوات جددًا أو إقطاعيين جددًا أو سلاطين جددًا، لا ، أريد من أبناء تونس أن يكونوا على الكثير من اليقظة والحذر، حتى لا تسلب ثورتهم منهم، لا تسرق منهم، لا تختطف منهم، خصوصًا أنه لا يزال هناك بقايا العهد الماضي، هناك الشرطة السياسية أو المباحث أو أمن الدولة، تختلف البلاد في هذه التسميات، لا أدري ماذا يسمونهم في تونس، ما يسمونهم في مصر أمن الدولة لا زالوا موجودين، ويدينون بالولاء لابن علي وجماعته، ولا زالوا يحملون العقلية التي يستبيحون بها دماء الناس، مشكلة هؤلاء أن عندهم عقلية معينة رُبُّوا عليها، لا يبالون بالخلق، الذين رأيناهم يضربون الناس من فوق السطوح، يضرب أيَّ واحد، واحد فقئت عينه، وواحد ضرب في رأسه، عشرة، هؤلاء تربية أمن الدولة، التربية التي ليس للبشر فيها قيمة، الذين يجردون الناس من ملابسهم، ويحققون معهم عراة، ويضربونهم بالسياط حتى يموت بعضهم، مات بعضهم قريبًا حتى في هذه الثورة، واحد يحققون معه ومات، عند أمن الدولة، فهؤلاء موجودون، بقايا الحزب الحاكم موجودون، وهناك الغنوشي نفسه رئيس الحكومة السابقة، لابد أن يكون الشعب التونسي على يقظة من متابعة هؤلاء، بحيث يكونون تحت عينه، ويكونون خدمًا للشعب الذي ثار، لا سادة له، هؤلاء لا زالوا يشعرون بأنهم سادة، لا يشعرون بأنهم فقدوا سيادتهم حينما ذهب سيدهم الأكبر، فأنا أدعو الشعب التونسي إلى أن يكون حارسًا أمينًا لثورته، إنه أدى ما عليه في قيام الثورة، وعليه حراسة الثورة حتى تبقى ثمرتها لهم.

وأطلب من فرنسا التي تدس أنفها، وتتدخل في شئون تونس، أقول لها: يا فرنسا، يا بلد الحريات، يا أم الثورات، كما تريدين الحرية لنفسك، اتركي الحرية لبلاد الله ولعباد الله، نحن مخلوقون أحرارًا مثلك، وقبلك، قبلك بقرون، قال خليفتنا الثاني: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» اتركوا لنا شئوننا، كفوا أيديكم عن التدخل في أمرنا، نحن في عالم جديد، نحن في عالم غير العالم الذي كنتم فيه مستعمرين سادة، بلادنا حرة، وأمتنا حرة، وليس لأحد علينا من سلطان، لا نركع إلا لله، لا ينحني ظهرنا إلا لله، لا نعفر جباهنا إلا لله، ساجدين أو راكعين، كفوا عنا، هذه كلمة أوجهها إلى فرنسا، وإلى أمريكا وإلى كل البلاد الذين يتخذون بلادنا كأنها مطية لهم.

وأنصح حكام العرب في المشرق والمغرب أن يعرفوا سير الزمن، ينظروا إلى الساعة، الساعة تدور، الساعة مش واقفة، الساعة مستمرة، الزمن تغير فغيروا ما بأنفسكم، انظروا إلى شعوبكم نظرة أخرى، لم يعد التأله في الأرض هو القائم، الشعوب تنبهت، الشعوب أرادت الحياة فلن تموت مرة أخرى، بدل أن تتآمروا بعضكم مع بعض ضد شعوبكم فهذا لن ينفعكم، الشعوب استيقظت، وإذا استيقظت الشعوب فلن تنام، بدأت الشرارة، بدل أن تلتهمكم النار اتقوها، اتقوها بإقامة العدل، وإقامة الشورى، وإشراك الشعوب حتى تحكم نفسها بنفسها، هذه نصيحتي إلى كل حكام العرب، وكل حكام المسلمين.

أسأل الله - تبارك وتعالى - أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها، وأن يحسن عاقبتها في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم انصر ثورة مصر، اللهم انصر ثورة الثائرين في مصر، اللهم انصر شعب مصر، اللهم احفظ مصر من كل سوء، اللهم احفظها من كل فتنة، اللهم احفظها من كل شر، اللهم احفظ شبابها الأحرار الأطهار الأبرار الباذلين المضحين، اللهم احفظ هذه الأيدي المتوضئة، وهذه القلوب المتطهرة، وهذه الضمائر المؤمنة، اللهم لا تضع

جهودهم سدًى، ولا تضعها عبثًا، اللهم أيد هؤلاء الشباب بروح من عندك، وأمدهم بجند من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام، ولا يرام، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم أيد جيش مصر، وألهمه الرشد، وألهمه الصواب بأن يؤيد هذا الشباب، وأن يشد أزره، ويسند ظهره، في مطالبته بالحق، وفي مطاردته للباطل، اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا، «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» الحشر: ١٠.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: «إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» الأحزاب: ٥٦. «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ». العنكبوت: ٤٥.

كلمته لقناة الجزيرة
مساء يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١م بعد التنحي

بسـم الله الرحمن الرحيم، الحقيقة أن هذا يوم من أيام الله سـجدنا فيه لله شـكرا؛ حقـق آمالنا، واسـتجاب دعاءنا، وأنـا كنت واثقًا أن هذا الشباب الثائـر الطاهر الباذل المضحي لا بد أن يجني الثمرة، ثمرة الشـهداء الذين سـقطوا برصاص أولئك الذين لا يخشون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا، هذا الشباب كان لا بد له أن ينتصر.

فرحنا بنصر الله، ومنذ زمن لم نعش فرحة، شـاء الله أن يقر أعيننا بهذا النصر، نصر هذا الشـعب، الذي طالما اتهموه بأنه شـعب مستكين، وشـعب يصبر على الذل وعلى الهوان، ولكن هذا الشعب عنده مخزون إذا ثار فعل العجائب، إنه أصبح بركانًا، أصبح شيئًا هائلا، بحرًا زاخرًا، موجًا هادرًا، هذا ما رأيناه في هذا الشعب.

رأينا ميدان التحرير، وأنا أقترح أن يُسـمَّى ميدان ثورة ٢٥ يناير، هذا الميدان أصبح مدرسـة أو جامعـة يتعلم فيها النـاس الفداء والإيثار والمواسـاة، وخدمـة الغير، وفناء النفس من أجل الآخر، من أجل الشعب، كان هذا الميدان يُعلم الناس هذه المعاني.

لـم يكن معقولًا أن ينتصر الباطل على هذا الحق، لم يكن معقولًا أن ينتصر الطاغية على الشعب، الشعب أقوى، والشعب أخلد؛ ولذلك كنت مطمئنًا كلَّ الاطمئنان؛ حتى إنني في خطبة الجمعة اليوم أقسـمت ـ والقسـم ليس شـيئًا هينًا ـ ولكن الله ألهمني أن أقسـم بأن هذا الشـباب سـينتصر، وعن قريب، وتحقق النصر في نفس اليوم، هذه سنة

الله عز وجل، الباطل له جولة، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، فأنا أهنئ هذا الشباب، وأهنئ مصر كلها، وأهنئ بلاد العرب، وأهنئ بلاد المسلمين، وأهنئ أحرار العالم، وأهنئ الجزيرة، الجزيرة أهنئها؛ لأنها قامت بدور عظيم في بيان الحقائق، وكشف الأباطيل.

تصوروا أيها الإخوة المشاهدون أن التليفزيون المصري قبل أن يعلن الجيش بقليل تنحي مبارك ـ وما أظنه تنحَّى بل أظنه نُحِّي، كنا نريده أن يكون الرئيس السابق، فأبى إلا أن يكون الرئيس المخلوع، وهو يستحق ـ هذا التليفزيون المصري الذي يفتري الأكاذيب يقول: هناك حوالي عشرة آلاف في ميدان التحرير يحتجون وكذا، أنا أظن أن مصر كلها خرجت من بيوتها، هذه ليست ثورة الآلاف، هي ثورة الشعب المصري كله، بكل أطيافه بكل فئاته: مسلميه ومسيحييه، وفقرائه وأغنيائه، ورجاله ونسائه، ومثقفيه وأمييه، كل الشعب قال «لا» لهذا الطاغية، هل يمكن أن يُخذَل هذا الشعب، وينصر الله الباطل؟ سنة الله تأبى ذلك، البقاء للأصلح، والبقاء للحق: «وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » الإسراء: ٨١، «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ». الرعد: ١٧.

أنا أهنئ الشعب المصري كله، وأهنئ الشعوب العربية التي رأيتها في كل مكان تحتفل بما جرى في مصر، هنا في قطر خرج الناس بالآلاف المؤلفة من كل البلاد: من القطريين، ومن اليمنيين، ومن الفلسطينيين، ومن السوريين، ومن العراقيين، والجزائريين، والتونسيين، كل الشعوب العربية والإسلامية من هنود وباكستانيين، كل هؤلاء خرجوا فرحًا بما جرى في مصر.

نحن لا يسعنا إلا أن نشكر لله تعالى على ما آتانا من نعمة، وعلينا أن نستمر في هذا الشكر، وأن نستفيد من هذه الدروس الهائلة التي اكتسبناها من هذه الثورة، ومن ميدان الشهداء أو ميدان التحرير أو ميدان ثورة ٢٥ يناير.

علينـا أن نظـل على ما اكتسـبناه، ونظل أيضًـا متعاونين مع الجيش، أنـا في خطبتي اليوم أرسـلت رسـالة إلى الجيش المصري، وقلت: إن هذا الجيش لا يمكن أن يكون أقل وطنية من الجيش التونسـي الذي نصر الشـعب التونسـي، وقد كان قام بثورة سـنة ١٩٥٢م، ووقـف الشـعب وراءه؛ يحمي ظهره، ويشـد أزره، الآن الدَّيْنُ على الجيش، عليـه أن يـرد هـذا الدَّينَ لهذا الشـعب، وقد رد هـذا الدين، وأنا أظن أنه لن يسـتمر في السلطة ليحكم مصر، وقد قرر ذلك في بيانه الثالث؛ أن يسلم هذا الأمر لمدنيين بعد أن يقوم بالإصلاحات التي لابد منها، والتي ننتظر تنفيذها عاجلًا، ومنها: إلغاء الطوارئ، ومنهـا الإفـراج عـن كل المعتقليـن، ومنها البدء في إجـراءات المرحلـة الجديدة التي تنشـئ مصـرًا جديدة، وتلد مصرًا جديـدة، تحقق الآمال، آمال بلـد عاش الحضارات، عـاش الحضارة الفرعونية، وعاش الحضارة الإسـلامية، وهو جدير أن يكون له مكان تحت الشمس، وإنما الذي يبنيه هم أبناؤه بسواعدهم وعقولهم.

برنامج الشريعة والحياة
(حلقة خاصة عن انتصار الثورة المصرية)

مقدم الحلقة: عثمان عثمان

ضيف الحلقة: يوسف القرضاوي/ داعية ومفكر إسلامي

تاريخ الحلقة: ١٣/ ٢/ ٢٠١١

- انتصار الثورة المصرية وشرعيتها.

- مسألة الخروج على الحاكم ومصير الفراعين.

- المظاهرات ومشاركة الأقباط ودور العلماء في التغيير.

عثمان عثمان: مشاهدينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلًا ومرحبًا بكم على الهواء مباشرة في هذه الحلقة الجديدة من برنامج الشريعة والحياة. يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه العزيز ﴿..فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣] أمر بسؤال أهل الذكر خاصة لتبديد ظلمات الجهل بأنوار العلم، وهذا لا يتحقق إلا بفضيلة السؤال، وفي هذه الحلقة الخاصة مشاهدينا الكرام مع فضيلة شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي نفتح الباب لتلقي تساؤلاتكم

المفتوحة عبر بريد البرنامج، وعبر صفحة البرنامج على الـ facebook وعبر الهاتف أيضًا، والتي نرجو أن تكون تساؤلات عميقة وجادة ومختصرة ومباشرة. مرحبًا بكم سيدي.

يوسف القرضاوي: مرحبًا بك يا أخ عثمان.

انتصار الثورة المصرية وشرعيتها:

عثمان عثمان: الحدث اليوم هو الحدث المصري، تلك المظاهرات المليونية التي أدت إلى خلع الرئيس المصري حسني مبارك، لكم كلمة في هذا الموضوع.

يوسف القرضاوي: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد. نبدأ هذا اللقاء بقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:٥٨] وبقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٤٥] وبقول رسولنا ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم تلا قول الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1][هود:١٠٢]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا. وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء:٨٠، ٨١] هذا يوم من أيام الله، أو هذه الأيام من أيام الله عز وجل؛ فيها فرح المؤمنون بنصر الله، رأيت الناس في مصر، كل مصر،

(١) سبق تخريجه.

وفـي العالم العربي، كل العالم العربي، الذي اسـتطاع النـاس أن يعبروا فيه، هناك بلاد لا يستطيع الناس أن يعبروا فيها عن أنفسهم، وهذه لم نعرف مشاعر الناس فيها، أما كل البلاد التي يمكن للناس أن يخرجوا فيها، ويعلنوا فرحتهم، فرأينا الناس كلهم فرحين، الأمة لم تفرح من قديم، من زمان بعيد، من عشرات السنين لم تفرح بنصر من عند الله عـز وجـل، فرحت الأمة بهذا النصـر فرحًا عبروا عنه بالبـكاء، كل الناس كانوا يبكون، وهذا بكاء السرور، كما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم حين أقيم له حفل تكريم، فبكى، وقال على البديهة:

شكرت جميل صنعكمُ بدمعي   ودمـعُ العيـن مقيـاس الشـعور
لأول مــرة قــد ذاق جفنـي   علـى مـا ذاقـه دمـعَ السـرور

سُـرَّت الأمة بهذا النصر، وبسـقوط الطاغية، وسـقوطُ الظالمين نعمـة عظيمة، لقد فرحـت مصـر بأن عـادت إليها حياتها، عـادت إليها حرياتهـا، عادت إليهـا ذاتها، كان الإنسـان فقـد ذاتـه، أحد الشـباب المصريين يقول: أنـا أحس الآن أنني إنسـان، أن لي قيمة، أن صوتي له أهمية، أن لي اعتبارًا، الناس عادوا، عادوا أحياء يحسـون بأنفسـهم، فأنا أحيي هذا الشـباب، أحيي هذا الشـعب المصري الثائر علـى الباطل، الذي غضب للحق، وغضب للعدل، وغضب على الظلم، أحيي هؤلاء الشباب الذين ضربوا المثل فـي الإيثـار، فـي الفداء، في البـذل، في التضحية، فـي أن يتعب أحدهـم ليرتاح أخوه، ويسـهر أحدهم لينـام أخوه، ويؤثـره بالغطاء وبالفـراش وبالطعام، كأنمـا هم الأنصار الذين وصفهم الله في القرآن بقوله ﴿..وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..﴾[الحشـر:٩] والذيـن وُصفـوا بأنهم يكثرون عنـد الفزع ويقلون عنـد الطمع، هؤلاء الشـباب الذيـن رأيـت أحدهـم ـ الشـاب وائل غنيـم الذي اعتقلـوه من الأيـام الأولى وهـو من الشـباب الأوائل الذيـن خططوا لهذه الثـورة ثم أفرج عنه واحتفـل به إخوانه ـ فقـال لهـم ـ ومـا أعظم ما قـال!! ـ قال: لا تجعلوا مني بطلًا أنا لسـت بطـلًا، الأبطال

هـم الذيـن ضحوا بأرواحهم واستشـهدوا في سـبيل الله، والذين جرحـوا وعوقوا في سـبيل الله، أمـا أنا فكانوا أخذونـي آكل وأنام، انظر هذا الشـباب! هذا الشـباب الذين قاوموا البلطجية والمجرمين الذين حاولوا أن يقتلوهم، الذين جاؤوا بالجمال والبغال والخيول وعربات «الكرو» محملين بالسـكاكين، والأسـلحة البيضاء، والمواد النارية القاذفة، ولكنهم قاوموهم وليس معهم سـلاح، هؤلاء الشـباب خرجوا ليس معهم أي سـلاح إلا ألسنتهم فقاوموهم، حتى إن بعضهم أمسك بواحد ـ وهو كان شابًّا رياضيًّا ـ أمسـك بواحد من عنقه وقال له: أنا أسـتطيع أن أقتلك الآن، ولكنني أتمسك بقول الله تعالـى ﴿لَئِن بَسَـطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِـطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَـكَ إِنِّي أَخَافُ اللّه رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة:٢٨] هذا الشباب النادر الذي قام بهذه الثورة، إنها ليست ثورة عادية، إنها ثورة معلمة؛ يتعلم الناس منها كيف تكون الحياة المثالية الأخلاقية الربانية، أحيي هؤلاء الشـباب وأهنئهم بمـا وصلوا إليه، وأرجو أن يعتبروا أن ثورتهم مسـتمرة حتـى يحققـوا أهدافهم، كما أرجوهم أن يكونوا يدًا واحدة، ألا يدعوا الشـيطان يدخل لينزغ بينهم، يجب أن يظلوا يدًا واحدًا، وأن يكون هناك مجموعة منهم تمثلهم، وتكون واسطة بينهم وبين الجيش، هذا أمر أطلبه من هذا الشباب.

عثمان عثمان: يبدو أنهم بهذا الاتجاه، يوم الجمعة سيشكلون لجنة تمثلهم.

يوسـف القرضاوي: لا بد، لا بد من هذا، وقد حققوا الكثير مما أرادوه، ولكن بقي الكثير أيضًا.

وأنا بهذه المناسبة أوجه كلمة إلى الجيش كلمة شكر وتقدير في أول الأمر، فالجيش منذ دخل إلى المعركة أعلن أن من حق هؤلاء الشباب أن يعبروا عن أنفسهم ما دام تعبيرًا سـلميًّا، وهذا حق مكفول لهم، وأنهم يتفهمون مطالبهم المشـروعة وأنه لـم ولن -كما عبر الناطق الرسـمي باسـم الجيش- تمتد أيديهم بأذى إلى هذا الشباب، ولن تستخدم

القوة ضدهم، وما زالوا وراء الأمر حتى تنحى الرئيس مبارك. وأنا أعتقد - في الحقيقة - أنه لم يتنحَّ، ولكنه نُحِّي؛ فطريقته في التعامل وعناده يأبى عليه أن يتنحى، ولكن كان لا بد أن يتنحى أو يُنحى، وأمسك الجيش المجلس، الأعلى للقوات المسلحة، بزمام الأمور، وأنا أطالب القوات المسلحة، وقد صنعَت اليوم كثيرًا من الأشياء أعلنوا عنها أنهم ألغوا هذا الدستور، وأعلنوا عن لجنة تبدأ في وضع مسودة دستور جديد، وأنهم ألغوا مجلسي الشعب والشورى المزور. هذا نحمده لهم، ولكن يعني نطمع في ما هو أكثر من ذلك، نريد أن يفرجوا عن جميع الشباب الذي اعتقل من أجل هذه.. لا زال عدد من الشباب لا يعرف الناس عنهم أين هم، ومنهم أحد أقاربي، لماذا يبقى هؤلاء الشباب بعد أن انتصرت الثورة وتسلم الجيش السلطة؟ لماذا؟! ألقينا عهد حبيب العادلي، يعني هذا لا يقبل إطلاقًا، لا بد أن يفرج عن كل المعتقلين، بل أنا أطالب بالإفراج عن كل المسجونين السياسيين الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية الظالمة بأحكام لا يستحقونها، انتهى هذا العهد، يجب أن يفرج عن هؤلاء الشباب، الشباب الذي قضى السنوات ظلمًا في أقبية السجون، والمصريون في الخارج الذين لا يستطيعون أن يدخلوا؛ لأن هناك سيفًا مسلطًا عليهم هو الأحكام التي حكمتها المحاكم العسكرية، كما أريد أن ينفذوا ما وعدوا به وهو إلغاء حالة الطوارئ، قالوا مجرد انتهاء الظروف دي سنلغي الطوارئ، انتهت الظروف دي لماذا لا تلغى الطوارئ التي كبلت هذا المجتمع المصري ثلاثين سنة، العالم يعيش في حياة عادية إلا نحن تحكمنا الطوارئ، آن للمجلس الأعلى للقوات المسلحة أن يُقرَّ أعينَ الشعب المصري بهذا النبأ، إلغاء الطوارئ، إلغاء هذا الكابوس الذي يكبس على أنفاس المصريين منذ عشرات السنين، هذه رسالتي إلى الجيش.

عثمان عثمان: انطلاقًا من رسالتكم مولانا عدد كبير من الإخوة المشاهدين يثنون على موقفكم ودعمكم لهذه التظاهرات وهذه المسيرات، ويعتبرون أنها كانت أساسية

في الوصول إلى ما وصلوا إليه، لكن بالمقابل كانت هناك بعض الفتاوى التي تحرم مثل هذه التظاهرات تعتبرها فتنة من باب الإفساد في الأرض، بل ذهب بعضهم إلى اتهام المشاركين في هذه المظاهرات بأنهم من الخوارج، كيف يمكن توضيح هذه المسألة؟

يوسف القرضاوي: والله هذا حقيقة وهذا صحيح، وهذا شيء يعني أقابله بغاية الأسى والأسف؛ أن هناك أناسًا يعني ينسبون إلى الدين، وإلى علم الدين اختلطت عليهم الحقائق بالأباطيل؛ فاتهموا هؤلاء الشباب بأنهم خارجون، الخوارج يعني لهم صفات، من هذه الصفات: أنهم يكفرون من سواهم، كل من عداهم كافر، وأنهم يستحلون دماء الناس وأموالهم، كل من عاداهم حلال، حتى إنهم استحلوا دم ابن الإسلام البكر، فارس الإسلام وحكيم الأمة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استحلوا دمه وقال قائلهم، شاعرهم:

يا ضربة من تقي - يقصد بها عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي -

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

قاتل علي أوفى البرية عند الله ميزانًا.

هل الشباب دول يكفرون الناس، هل الشباب دول يستبيحون دماء الخلق؟ من يقول إنهم من الخوارج؟ هؤلاء الذين ينتسبون إلى العلماء - الحقيقة اتبعوا - المتشابهات وتركوا المحكمات، لم يردوا الفروع إلى أصولها، ولا الجزئيات إلى كلياتها، ولا الظنيات إلى القطعيات، وحرفوا الكلم عن مواضعه، سموا الأشياء بغير أسمائها، سموا هذه التظاهرات خروجًا، كلمة «الخروج» إذا ذكرت في الفقه الإسلامي يعني الخروج المسلح، هل هؤلاء كانوا يحملون أي شيء؟ ما كانوا يحملون أي سلاح،

خرجوا يعني ليس في أيديهم شـيء إلا من كان معه مصحف أو شـيء، لسـانهم فقط، بيهتفوا، وبعضهم جعل هذا التظاهر اعتبره بدعة، وهذا غير مسلم، أولا: البدعة حقيقة فـي أمـر الدين، وهذا ليس من أمر الدين، أمور الدنيا تقـوم على الابتداع، وأمور الدين تقـوم علـى الاتباع، فنحن نأخذ من الغرب أشـياء كثيرة، هل كان أيام الرسـول كان في مدارس مبنية وكذا وبتاع؟ هل كان في مجالس يعني مجلس شـورى ومجلس شـعب ومجلس.. دي كلها..

عثمان عثمان: تستفيد من الوسائل.

يوسـف القرضاوي: دي كلهـا أدوات انتخابات، دي كلها أدوات وآليات، وسـائل تأخذهـا من كل من تشـاء، ولذلك المسـلمون أخـذوا الدواوين، سـيدنا عمر أول من دون الدواويـن ومصـر الأمصـار، والدواويـن أخذهـا مـن الـروم دواوين وسـجلات وكـذا، وأخذ الخراج من الفرس، وعمل للمسـلمين تاريخًا كمـا عند بلاد الحضارات تاريخ، دي كلها ليسـت شـيئًا مما يعتبر من الابتداع إطلاقًا، وبعدين أنا أقول الصحابة تظاهروا عندما دخل سـيدنا عمر في الإسـلام قال: لا بد نخرج بقوة يعني لنظهر قوتنا للمشـركين، فخرجـوا فـي صفين: صف على رأسـه حمـزة بن عبـد المطلب، وصف على رأسـه عمر، ومشـوا يعنـي وكأن الأرض تهتز مـن تحتهم، إظهار القـوة، أي مانع فـي هذا؟ فهؤلاء الناس ـ الحقيقة ـ يعني يحرفون الكلم عن مواضعه، وأنا آسـف جدًّا أن علمـاء كبـارًا اتهمـوا هؤلاء الشـباب بالضلال وبالخـروج عن الإسـلام وبإحداث الفتنـة، وغريـب يعني هـذا، هؤلاء الشـباب الذين قامـوا يرفضون الظلـم، أنا لا أدري كيـف ضـاع علـى هـؤلاء الآيـات والأحاديث التـي ترفض الظلـم! مئـات الآيات في القـرآن الكريم ترفض الظلم، وتلعن الظالمين، وتكـره الظلم وأهله، وأن الله لا يحب الظالميـن، ولا يهدي القوم الظالمين، ولا يفلح الظالمون إلى آخره، والمشـكلة بس..

﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ..﴾[هود:١١٣] الركون، الميل إلى الظالمين يوجب مساس النار والعياذ بالله ﴿..وَمَا لَكُم مِّن دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[هود:١١٣] تحرم ولاية الله، وتحرم نصرة الله عز وجل، ثم القرآن يقول ﴿.. إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[القصص:٨]، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:٤٠]، ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[القصص:٤٢] هم وجنودهم، ليه الجندي؟ لأن لازم الواحد يقف ضد الظالم، هو الظالم بيستعلي على الناس ويستقوي عليهم بإيه؟ بالجنود، هؤلاء أدوات للظالم، فالإسلام يعلمنا أن نقف في وجه الظالمين، وأحاديث النبي ﷺ كثيرة «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، «إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده»، «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم» أحاديث كثيرة، النبي عليه الصلاة والسلام ذكر الظالمين من الأمراء وقال «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». هذه أحاديث الرسول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1] هؤلاء يغيرون بلسانهم، ما حملوا سيفًا ولا ضربوا قنبلة ولا..

عثمان عثمان: سفكوا دمًا، نعم.

يوسف القرضاوي: ولا اعتدوا على أحد.

(١) هذه الأحاديث كلها سبق تخريجها.

مسألة الخروج على الحاكم ومصير الفراعين

عثمان عثمان: مولانا نأخذ بعض المشاركات من السادة المشاهدين، محمد السيد عبد الناصر من مصر، تفضل.

محمد السيد عبد الناصر/ مصر: أولا نحن نحيي ونهنئ فضيلة الشيخ إمامنا الجليل على موقفه العظيم من هذه الثورة العظيمة المباركة، وجعله الله في ميزان حسناته، ولقد شرفنا بموقفه العظيم.

يوسف القرضاوي: أكرمك الله يا أخي.

عثمان عثمان: شكرا جزيلا. الأخ أحمد البهنسي السعودية.

أحمد البهنسي/ السعودية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. شيخنا جزاه الله خيرًا عن هذا البيان الصافي عن المشجعات على درء الظلم، كيف نوازن بينها وبين الأحاديث التي يستخدمها بعض المشايخ والآخرون التي تقول بعدم الخروج على الحاكم وإن جلد ظهرك وإن سرق مالك، والتي تؤدي وكثير من هذا النوع أنت تعلمه أكثر مني، يستدلون به على عدم الخروج على الحاكم أيًا كان الحاكم «إن كان عبد رأسه كالزبيبة» فكيف الموازنة بينهم يا شيخنا وافية حتى تتضح الرؤية؟ وجزاكم الله خيرا.

عثمان عثمان: شكرا جزيلا. الأخ عبد الله محمد من السعودية.

عبد الله محمد/ السعودية: السلام عليكم. فضيلة الشيخ أنا مواطن أردني عايش في السعودية، وعندي سؤال يتعلق بأطفالي، أنا كنت قبل ما آجي على السعودية عايش في أميركا كنت مغتربًا من أجل التعليم وإلى آخره، الاطلاع على دولة مصر الشقيقة كان من مجرد الأفلام، وللأسف كانت الأفلام السينمائية واللي بنشوفها على التلفزيون

تعكس واقعًا مؤلمًا جدًّا في جمهورية مصر العربية، سؤالي يتعلق بالأزهر الشريف، كأردني أنا عندي طفل عمره خمس سنوات، وطفلة عمرها ست سنوات، حابب أنهم يدرسوا في الأزهر، ويا ريت تعطونا أي معلومات عن الأزهر؛ لأن المعلومات اللي عندي بحياتي ما دخلت مصر إلا وأنا طفل مع والدي، واللي بأعرفه أن هذا الشعب عريق، فهذه دولة عريقة، هذه رائدة الدول العربية كلها، فيا ريت تفيدونا عن الأزهر، وعذرًا لأن معلوماتي محدودة جدًّا وحابب أنه بإذن الله إن شاء الله..

عثمان عثمان (مقاطعا): نعم واضح أخ عبد الله محمد من السعودية، مولانا إذًا نجيب على هذه الأسئلة إن شاء الله بعد أن نذهب إلى فاصل قصير، فابقوا معنا مشاهدينا الكرام نعود إليكم بإذن الله بعد الفاصل.

[فاصل إعلاني]

عثمان عثمان: مشاهدينا الكرام أهلًا وسهلًا بكم من جديد إلى حلقتنا لهذا الأسبوع من برنامج «الشريعة والحياة» وهي حلقة مفتوحة ـ كما ذكرنا ـ لتساؤلاتكم مع فضيلة شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي. مولانا، الأخ أحمد البهنسي من السعودية بعدما قدمتم مما يجب في مواجهة الظلم والظالمين يقول بأن هناك من يحرم الخروج على الحاكم ويستدل ببعض الأحاديث الصحيحة يعني «وإن جلد ظهرك وأخذ مالك».

يوسف القرضاوي: أولا هذا ليس خروجًا، المقصود بالخروج الخروج المسلح، والخروج المسلح هذا لا يقدر عليه إلا من يملك القوة؛ ولذلك أنا قلت: إن التغيير تغيير نظام الحكم في عصرنا لازم يكون بإحدى ثلاث وسائل: الوسيلة الأولى: ممكن تكون بالطريقة الديمقراطية إذا كان في ديمقراطية حقيقية نحاول نأخذ نكسب

الشعب ونأخذ أغلبية في البرلمان، والسلطة التشريعية تغير ما تشاء من القوانين، هذه وسيلة، الوسيلة الأخرى: عن طريق القوات المسلحة، إذا كان القوات المسلحة هي التي تستطيع أن تطيح بالحكم، وتأتي بحكم آخر، يعني هذا أيضًا كأكثر بلادنا العربية كلها قامت عن طريق التغلب، يسمونه الفقهاء التغلب عن طريق القوة العسكرية، وفي طريقة أخرى: اللي هي عن طريق ثورة الشعب مثلما حدث في إيران كان في الشاه ويملك السافاك ويملك جيشًا ويملك كذا، وقام الشعب بقيادة الإمام الخميني، وأصبح الشعب في ناحية، والجيش في ناحية، الجيش قعد يضرب في الناس، ولكن مش ممكن يستمر في ضرب الناس؛ لأن الجيش هو من الشعب، فبعد مدة كف يده، وانتصرت الثورة عن طريق الشعب، وأيضا تونس عن طريق الشعب وهذه أيضًا مصر تنتصر عن طريق الشعب، فهذا ليس خروجًا هذا؛ أن تقوم ثورة شعبية معبرة عن إرادة الناس هذه هي البيعة، هذا هو الرضا العام؛ لأنه كيف تحصل على الرضا؟ الناس قاموا في مصر معبرين عن أنفسهم، خلاص، المفروض إذا الناس اللي عندهم بصيرة، هل تكون مع هؤلاء الذين يطالبون بالحق، ويرفضون الباطل، وينشدون العدل، ويأبون الظلم تكون مع هؤلاء، وللا مع الظالم اللي سرق أموال البلد، ونهب الثروات، وصنع الفساد، وعذب الناس حتى الموت، وفعل الأفاعيل تكون مع هذا وللا مع هذا؟ يعني أنا أتعجب من هؤلاء المتدينين، والذين يدعون العلم، بيعتمدوا على حديث في صحيح مسلم، حديث حذيفة اللي فيه «وإن جُلد ظهرك وأُخذ مالك»[1]، وهذا الحديث

(١) عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ الله بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ؛ فَاسْمَعْ وأطِع». صحيح مسلم: كتاب الإمارة. باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

ليس من أصول مسلم، مسلم أحاديثه نوعان: أحاديث أصول، وأحاديث متابِعات، فأحاديث المتابعات هذه لا يدقق فيها مسلم تدقيقَه في أحاديث الأصول، فهذا حديث من أحاديث المتابعات، وقد قال فيه الدارقطني، هو الحديث يعني عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير.. إلى آخره، وبعدين في هذا الحديث: أنه في ناس يقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال تسمع وتطيع للأمير، وإن ضُرب ظهرك وأُخذ مالك فاسمع وأطع. هذا الحديث ليس صحيحًا وإن كان في مسلم ولكنه من أحاديث المتابعات، وهو مرسل، قال الإمام الدار قطني في الإلزامات والتتبع: أخرج مسلم حديث معاوية بن سلام عن زيد عن أبي سلام قال: قال: حذيفة وذكر الحديث، فقال: وهذا عندي مرسل يعني منقطع، يعني من شروط صحة الحديث: أن يرويه عدل ضابط، يعني إنسان عادل، مأمون في دينه، ضابط يعني بيحفظ كويس ما يخربش ذاكرته يعني تكون ذاكرته سليمة تماما متقنًا للحفظ، وبعدين متصل السند من مبتدئه إلى منتهاه، اتصال السند شرط في صحة الحديث؛ فهذا الحديث ليس متصل السند؛ لأن أبا سلام هذا الذي روى عن حذيفة قالوا لم يسمع من حذيفة.

عثمان عثمان: يرويه عدل ضابط عن مثله معتمد في ضبطه ونقله.

يوسف القرضاوي: آه هكذا، ففيه انقطاع، أبو سلام لم يرو عن حذيفة، وهذا ما ذكره الدارقطني، وما ذكره ابن حجر، وما ذكره المزي، وما ذكره الكثيرون؛ أنه لم يرو عن حذيفة، لم يسمع منه، فهذا الحديث اللي معتمد الكثيرين لأنه.. والناس يقولون لك في صحيح مسلم، طيب هو أصل ولا متابع، هل من أحاديث الأصول؟ لم يبحثوا هذا.

عثمان عثمان: البعض، نعم.

يوسف القرضاوي: بعدين القرآن يعني يحذر من الظالمين، ومن الركون إليهم، ويأمر الناس ألا يكونوا جنودًا لفرعون، نترك هذا.. فقه الموازنات، الكثيرون للأسف من أهل العلم لا يتقنون فقه الموازنات، ولا فقه المقاصد، ولا فقه الأولويات، ويخلط سمك لبن تمر هندي، يعني هذا، وللأسف يفتون الناس في عوائص المسائل، وأصبح هؤلاء الناس يتصدرون الفضائيات، ويزعمون أنهم يفهمون في كل شيء، وهم لا يكادون.. ويضللون الناس.. يعني يعطون الأشياء على غير حجمها، المسألة البسيطة يضخمونها، والمسائل الكبيرة يصغرونها، فوضعوا الأمر في غير موضعه، وضلل الكثيرون المسلمين في هذه القضية، هذا ما حمسني أن أقف مع هذه الثورة العظيمة، هذه الثورة من الثورات التاريخية، هذا يكتب للشعب المصري بماء الذهب، ويكتب لهؤلاء الشباب، يعني شباب والله ذكرونا بالصحابة، وذكرونا بالأمجاد العظيمة.

عثمان عثمان: مولانا، فرعون طغى في الأرض، ﴿فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٥، ٢٦]، هناك فراعين العصر أيضا، سقط الواحد تلو الآخر، لماذا لا يستفيد الفراعين الآخرون ممن سبقهم؟

يوسف القرضاوي: القرآن يقول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧] إذا كان عنده قلب يفقه به، وعنده أذن تسمع، ويعتبر بالأيام، يقول لك: السعيد من وعظ بغيره، شاف.. زي ما يقولوا، يعني لا يتعظون. أنا قلت: إن الأنظمة المستبدة والجائرة يعني صماء لا تسمع، وعمياء لا تبصر، وغبية لا تفهم، وجامدة حجرية لا تحس، فتمر عليهم الأشياء وهم كما قال الله تعالى: ﴿..لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا.. ﴾[الأعراف:١٧٩] فهذا يعني تصور حسني مبارك جرى اللي جرى ده كله يعني سقط المئات قتلى، والآلاف جرحى، وحدث ما حدث، وهو متمسك بالكرسي

معبوده، زي فرعون، رأى ما رأى من الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٤٨] ويقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾[طه:٥٦] شاف كل هذه الآيات ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:١٣٢] وغرهم الغرور، متى آمن فرعون؟ حينما أدركه الغرق ﴿..حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ..﴾[يونس:٩٠] إله بني إسرائيل أنا آمنت به، حتى مش قال آمنت بالله، لا، إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

عثمان عثمان: هذا شأن الفراعين إذًا.

يوسف القرضاوي: الفراعين هكذا.

المظاهرات ومشاركة الأقباط ودور العلماء في التغيير

عثمان عثمان: نأخذ بعض المشاركات مولانا أيضًا، سلطان يوسف جنوب إفريقيا تفضل، باختصار شديد أخي الكريم.

سلطان يوسف/ جنوب إفريقيا: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. نحمد الله عز وجل على هذه النعمة والمنة من الله تبارك وتعالى، ونشكر هؤلاء الشباب الذين قاموا بهذا النصر العظيم، والشكر موصول لقناة الجزيرة والعلماء..

عثمان عثمان (مقاطعا): شكرا أخي الكريم، سؤالك بارك الله فيك، الوقت ضيق جدًّا.

سلطان يوسف: لي نداء، نداء ليس سؤالًا.

عثمان عثمان: تفضل.

سلطان يوسف: ندائي إلى السيد حسين طنطاوي رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، كنت أتمنى أن يكون أول اتصال له بالسيد إسماعيل هنية، وليس باليهود الملاعين، ايهود باراك، ندائي الثاني للسيد حسين طنطاوي كذلك أن يحاسب هذا العسكري الذي ضرب المعتصمين اليوم، نحن لا نريد أن يضرب أبناء شعبنا مرة ثانية، نحن نريد أن نكون أحرارًا، نبني بلادنا، ونبنيها بالحرية، ونبنيها عندما نكون أحرارًا، وأدعو الملايين وليس مليونًا أن يكونوا يوم الجمعة القادمة في التحرير وفي محافظات مصر، نحن نريد إلغاء قانون الطوارئ، نحن نريد..

عثمان عثمان (مقاطعا): فضيلة الدكتور تحدث في كل هذه المسائل أخ سلطان شكرًا جزيلًا لك كنت معنا من جنوب إفريقيا. أخ محمد حسن من السودان.

محمد حسن/ السودان: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أولا أحب أن أدعو للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن يحفظه الله ذخرًا للإسلام والمسلمين، ونحسب أن دعوته يوم الجمعة قد لاقت استجابة بحمد الله سبحانه وتعالى، ولكن هنالك أرى أن الشباب مندفعة الآن، وهناك بعض الأجهزة التي يطالب الشباب المصري بحلها، مثل جهاز أمن الدولة، لماذا لا تعاد هيكلة هذه الأجهزة مرة أخرى؛ لتحمي حرية المواطن المصري، وتحمي حرية المنطقة العربية أيضًا.

عثمان عثمان: شكرًا جزيلًا الأخ محمد حسن من السودان. فايز طه من فلسطين.

فايز طه/ فلسطين: السلام عليكم. أطلب من حضرة الشيخ بحكم موقعه عند الناس، ولأنه يسمعه الملايين، ولمنزلة العلماء عند الله لقول الله ﴿..إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء..﴾[فاطر:٢٨] ولكون هذا البرنامج الذي نسمع ونتابع هو الشريعة والحياة أن تكون الكلمة دعوة لأن تطبق الشريعة في كل مناحي الحياة، فأرجو أن توجه بحكم موقعك شيخ أن تتوحد الأمة تحت راية رسولها ﷺ، وأسألك عن حديث

رسول الله ﷺ الذي يقول فيه عن الفترة التي تتحدث عن الحكم الجبري أن بعدها خلافة على منهاج النبوة، إذا كان هذا الحديث صحيحًا ألا نوجه دعوة للأمة لأن تتخلى عن الرأسمالية..

عثمان عثمان (مقاطعا): نعم واضح السؤال أخ فايز، أعتذر منك لضيق الوقت. الأخ فوزي إسماعيل من السعودية.

فوزي إسماعيل/ السودان: السلام عليكم، حياك الله شيخنا وبارك الله فيك، وجزاك الله خيرًا على ما قمتم به، سؤالي ما بأعرف ليه بابا شنودة يعني كان بيقول للأقباط ما يشاركوا في هذه المظاهرة.

عثمان عثمان: وأيضًا كان هناك علماء يقولون بعدم المشاركة في هذه المظاهرة. شكرًا جزيلًا فوزي إسماعيل من السودان.

مولانا، الأخ سلطان يوسف تحدث كثيرًا، ولكن نستطيع أن نستخلص سؤالًا مهمًّا، علمنا أن من مات وقتل في هذه المظاهرات هو شهيد.

يوسف القرضاوي: قطعًا.

عثمان عثمان: نعم، ما حكم من قام بقتله، أو بأذية هؤلاء المتظاهرين؟

يوسف القرضاوي: هؤلاء يعني ارتكبوا كبيرة من أكبر الكبائر يعني ﴿.. مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا..﴾[المائدة:٣٢] هذا لا قتل نفسًا، ولا أفسد في الأرض، قام ينادي بالعدل، ويحارب الظلم، ويعمل لمصلحة أمته؛ فمن قتله فينطبق عليه قول الله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٣]، والنبي ﷺ يقول:

«لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»[1] فهذا قتل بغير حق، وإذا كان حتى هو مأمورًا من أي أحد بهذا القتل مثل البلطجية الذين بعثهم حبيب العادلي أو فتحي سرور أو هؤلاء الذين يشتغلون ظلمة، يعني ولا يبالون بقتل إخوانهم من أبناء شعبهم، لا يشفع لهم اللي قال له روح اقتل؛ لأنه من أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة حتى لو كان جنديًّا، أنا أقول للجنود: إذا أمرت بقتل واحد لا تنفذ هذا؛ لأنه لا يوجد قانون ولا دستور ولا شيء يبيح قتل الناس بغير شيء، فمن حقه أن يرفض أي.. فهؤلاء الذين ارتكبوا هذه المقتلة إذا قتل إنسانًا فهو من أهل جهنم والعياذ بالله، يعني لا أكفره إلا إذا استحل هذا، إذا اعتبر هذا أمرًا حلالًا فهو كافر والعياذ بالله؛ لأنه استحل حرامًا قطعيًّا، واستحل كبيرة من أكبر الكبائر.

عثمان عثمان: الأخ ربيع يقول ما رأي فضيلة الدكتور فيمن يطالب بإلغاء المادة الثانية من الدستور المصري التي تنص على أن الدين الرسمي للدولة هو الدين الإسلامي؟ وربما هذا أيضًا يدفعنا لسؤال الأخ فايز طه من فلسطين عن موضوع الخلافة التي تأتي بعد الحكم الجبري.

يوسف القرضاوي: الخلافة شيء، والنص على دين الدولة الإسلام هذا أمر أجمعت عليه الأمة، يعني هذا أمر ضد إرادة الأمة، الأمة منذ دستور ١٩٢٣ أجمعت على ذلك: مسلموها وأقباطها، يعني فالأمة مجمعة على هذا الأمر، الدولة دي لا دين لها، وللا لها دين؟

عثمان عثمان: لها دين.

يوسف القرضاوي: لها دين، والدين الإسلام، والدين الإسلامي ليس معناها أنه يلغي الدين المسيحي، الإسلام يقوم على احترام الأديان السماوية كلها، ويرى أن

(١) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ». سنن النسائي: كتاب تحريم الدم. باب تعظيم الدم.

الأقباط لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهؤلاء الشباب الذين.. دخل معهم عدد قليل من الأقباط؛ لأنه للأسف الأقباط البابا شنودة أمرهم أن يكونوا مع جمال مبارك عندما كان مرشحًا، وأمرهم أن يكونوا في هذه الثورة أن يكونوا وراء حسني مبارك ويقفوا ضد ثورة الشباب المصري عامة، فأكثر الأقباط يعني لم يشاركوا، ولكن شارك أعداد منهم، رحب الجميع بهم، ورحب بهم وهم يرفعون الصلبان، ويقيمون القداس يوم الأحد، هذا دين الدولة الإسلام أمر أجمع عليه المصريون، ولا يمكن أن يفرَّط فيه.

عثمان عثمان: الأخت علياء الصالح تسأل عن حكم دفع التبرعات والصدقات أو الزكوات لمثل هذه الحركات التحررية.

يوسف القرضاوي: نعم، الزكوات لأنه من مصارف الزكاة مصرف اسمه في سبيل الله، وفي سبيل الله يفسر بالجهاد، وهذا نوع من الجهاد؛ لأن النبي ﷺ قال «من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن»[1] هذا نوع من الجهاد، و»أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» فهذا من الجهاد في سبيل الله يجب أن ندفع فيه، إذا ضاقت الموارد الأخرى ولم يوجد عندنا إلا الزكاة يدفع من الزكاة؛ لأن هذا في سبيل الله يقينًا.

عثمان عثمان: مولانا أيضًا لدي سؤال من المغرب هو كان مطروحًا منذ أربعة أسابيع تقريبًا، ويلح علي صاحبه، الأخت فاطمة تسأل: هل يجوز للمرأة أن تسافر دون إذن وليها، وبشكل خاص زوجها؟

يوسف القرضاوي: لا، لا يجوز.

عثمان عثمان: لا يجوز.

(١) سبق تخريجه والذي بعده.

يوسف القرضاوي: لا يجوز يعني إلا إذا كان لضرورةٍ، وزوجها متعنت أو شيء من هذا، إنما في الحالات العادية وخاصة الزوج يعني الأسرة في الإسلام لازم تكون بالتوافق والتراضي ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.. ﴾[النساء:٣٤]، فلا يجوز للمرأة أن تتمرد على زوجها، وإلا لم تعد هناك رابطة زوجية، لازم يتفاهم بعضهم مع بعض.

عثمان عثمان: نعم. الأخ يوسف يسأل عن قول الله عز وجل ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[الحج:١٥] يسأل عن تفسير هذه الآية.

يوسف القرضاوي: هذه الآية تقول للذين ييأسون من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سينصرهم وأنه ربنا سيتخلى عنهم، وأنه سيتركهم للظالمين، هذا يسيء الظن بالله عز وجل، وبعدل الله، وبحكمة الله، وبقدرة الله على نصرة المؤمنين، وخذلان الظالمين؛ فاللي بيظن ذلك أن ربنا لن ينصره أبدًا يبقى يقول له روح في داهية يعني روح.. ﴿..فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ..﴾ يعني حبل ﴿..إِلَى السَّمَاءِ..﴾ العلماء هنا قالوا السماء يعني السقف، يعني يشنق نفسه يروح.. يعني إذا أنت مش مصدق أن الله سينصرك وأن الله.. يا أخي روح في داهية، يعني اعمل ما شئت يعني هذا نوع من التهديد يعني.

عثمان عثمان: جاءت أسئلة كثيرة من.. يبدو شباب مصريون، وأخت أيضًا اسمها إسراء من غزة، يسألون: هل لشيخنا خطة أن يعود إلى مصر، ويشارك هذه الجماهير فرحتها؟

يوسف القرضاوي: ممكن، يعني أسافر أي وقت، أنا كنت حسافر الأسبوع اللي فات حقيقة ثم أخَّرت، وفي مطار مصر عملوا.. سمعوا إشاعة أنه أنا جاي فعملوا يعني حالة طوارئ في المطار، ولم أذهب، ولكن ممكن أن أذهب إن شاء الله يعني ربنا ييسر.

عثمـان عثمـان: مولانـا سـؤال يعني ورد أيضـا مهم جـدًّا، وفي دقيقة واحـدة ربما باختصار شـديد، في مصر وفي تونس وجدنا أن الشـعوب سـبقت العلماء إلى سـاحة التغيير. لماذا تأخر بعض العلماء عن مواكبة التغيير ودفع الظلم والظالمين؟

يوسف القرضاوي: ما هو بسبب يعني أن بعض العلماء متخلفون دينيًّا، تخلفوا دينيًّا وتخلفوا دنيويًّا، ولم يقتبسـوا من روح القرآن، وروح السـنة، ومن روح الذين جاهدوا في سـبيل اللـه، كثير من العلماء جاهـدوا قديمًا وحديثًا، في عهد الحجاج بن يوسـف سـار العلماء بقيادة واحدة معروف اسـمه عبد الرحمن بن الأشعث، قاد ثورة العلماء، وفـي معركـة معروفة اسـمها «ديـر الجماجم»، وانتصر -للأسـف- عليهـم الحجاج، وقتـل منهم مـن قتل، فمن قديم العلمـاء.. وفي الأمير عبد القـادر الجزائري في جهاد الفرنسـيين، والسنوسـيون في جهاد الطليـان، وعدد من العلمـاء كان لهم دور، فنرجو إن شـاء الله أن يعود.. العلماء شـاركوا بقوة في هذه المسـيرة في مصر، علماء الأزهر، وبعمائمهم، فإن شاء الله يعني العلماء يقومون بدورهم.

عثمان عثمان: يأخذون دورهم المنوط بهم.

يوسف القرضاوي: إن شاء الله.

عثمـان عثمـان: أشـكركم في ختام هـذه الحلقـة شـيخنا العلامة الدكتور يوسـف القرضـاوي علـى هذه الإفاضة الطيبة، كما أعتذر من السـادة المشـاهدين؛ فقد وردت أسـئلة كثيـرة جـدًّا، الموضوع متشـعب وواسـع، أعتذر لعـدم الإجابة على أسـئلتهم، أشـكركم مشـاهدينا في ختام هذه الحلقة على حسـن المتابعة، أنقل لكم تحيات معد البرنامج معتز الخطيب، والمخرج منصور الطلافيح، وسـائر فريق العمل. دمتم بأمان الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خطبة «النصر»
ميدان التحرير بالقاهرة ١٨/٢/٢٠١١م

الحمـد للـه، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سـلطانك، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شـئت من شـيء بعد، الحمد لله ناصر المؤمنين، ومذل الكافرين، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، نحمدك اللهم ونشـكرك، ونخلع ونترك من يفجرك، لا إله إلا أنت.. لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الظالمين وحده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نشهد أن لا إله إلا أنت، مالك الملك؛ تؤتي الملك من تشـاء، وتنزع الملك ممن تشـاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير. إنك على كل شيء قدير.

وأشـهد أن سـيدنا وإمامنا وأسـوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسـوله، صلوات الله عليه وسلامه، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وخصوصًا أولى العزم من الرسل نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

فيـا أيها الإخوة، يـا أبنائي وبناتي، ويا إخواني وأخواتي، ويا أحفادي وحفيداتي من أبنـاء مصـر، جرت عادة الخطباء فـي الخطب أن يقولوا أيها المسـلمون، وأنا أقول في

هـذا الميدان أيها المسـلمون والأقباط، يا أبناء مصر، هذا يـوم أبناء مصر جميعًا، ليس يوم المسلمين وحدهم، أناديهم من هذا المنبر ومن هذا الميدان ميدان التحرير، بل هو منذ اليوم يجب أن يسـمى ميدان شـهداء ثورة ٢٥ يناير، يا أيها الإخوة أناديكم من فوق هذا المنبر، ومن ميدان شهداء ثورة ٢٥ يناير، هذه الثورة التي علمت الدنيا كيف تكون الثورات.. لم تكن ثورة عادية، ولكنها كانت ثورة معلمة، الشباب الذي انتصر في هذه الثورة لم ينتصر على مبارك فقط، انتصر على مبارك، وانتصر على الظلم، وانتصر على الباطـل، وانتصر على السـرقة، وانتصـر على النهب، وانتصر علـى الأنانية، وأقام حياة جديدة بهذه الثورة.

** أنـا أول من أهنئ، أهنئ هذا الشـباب الذين ظن بعضهـم أنه لن ينتصر، وأنا في الخطبة الماضية أقسمت على المنبر أقسمت بالله العظيم أن هذه الثورة ستنتصر، وأن هذا الشباب لن يخذل أبدًا؛ لأني أومن بسنن الله التي لا تتخلف، أومن بوعد الله الذي لا يكـذب أبـدًا، وقد وعد اللـه بنصر المؤمنين، ووعـد الله بإظهار الحـق على الباطل ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١. لا يمكن أن ينتصر الباطل على الحق، للباطل ساعة ولكن دولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَـاء وَأَمَّا مَا يَنفَـعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾. الرعـد: ١٧ .كان لابد لهذه الثورة أن تنتصر وأن ينتصر أبناؤها المؤمنون على ذلك الطاغوت على ذلك الفرعون الذي هدد وتوعد، ولكن المؤمنين، مصر حينما تؤمن قالت لفرعون الذي قال لهم ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾. طه: ٧١، والشعراء: ٤٩ . وهكذا قال فرعون، قال فرعون: أثرتم قبل أن آذن لكم بالثورة! لا يجوز للعقول أن تقتنع ولا للقلوب أن تؤمن ولا للجوارح أن تتحرك إلا بتصريـح مـن فرعون، ثرتم قبل أن آذن لكم بالثـورة، آمنتم له قبل أن آذن لكم،.. إن مصر حينما آمنت قالت لفرعون متحدية: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾. طه: ٧٢. انظروا إلى الإنسـان حين يؤمن والإنسـان قبل

أن يؤمن، السحرة الذين جمعهم فرعون من كل أنحاء مصر ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾. الشعراء: ٤٤. وقالوا لفرعون: (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾. الشعراء: ٤١-٤٢. فيه فلوس ومناصب ومنافع كثيرة، ماذا قال هؤلاء المصريون الأصلاء حينما آمنوا وظهر لهم الحق، ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَالله خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. طه: ٧٢-٧٣

هذه مصر حينما تؤمن؛ ولذلك رأينا هؤلاء الشباب من أنحاء مصر من كل الطبقات: أغنياء وفقراء ومتعلمين وأميين وعمالًا ومثقفين من كل الطبقات، وإن كانت الأكثرية من المثقفين ومن المتعلمين لا توجد فوارق بينهم.. أصبحوا قد صهروا في بوتقة واحدة: مسلمين ومسيحيين، وراديكاليين ومحافظين، ويمينيين ويساريين ورجالًا ونساء وشيوخًا شبابًا، كلهم يعملون من أجل مصر، وتحرير مصر من الظلم والطاغوت.

وكان لابد لمصر أن تتحرر؛ لأن هذا الشباب أراد، وإذا أراد الشباب فإرادته من إرادة الله، كنا نحفظ من قديم شعر أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يومـا أراد الحيـاة   فلابـد أن يستجيب القـدر

وكان يقول بعض الناس هو القدر يعني تبع الناس؟ نعم، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الله لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. الرعد: ١١. غير ما بنفسك يغير الله حالك وما بك، فتغير الشعب فغير الله ما به، صبر الشعب وبذل وضحى وأصر، لقد نزع منه الخوف، كان الفراعنة من قديم يخوفون الناس، وينتصرون بالرعب يقذفونه في قلوب الناس، ولكن الناس لم يبالوا بفرعون ولا بهامان ولا بأمن الدولة ولا بالتعذيب

ولا بالجمال وبالبغال والخيول ولا بالقناصين، ولا بشيء من ذلك كله، وأصروا، أصر الشعب وأصر الشباب، شباب الثورة على أن يستمر وحقق الله آماله، وحقق الله أهدافه، تهنئتي لهذا الشعب، تهنئتي لهذا الشباب، الشباب الثائر الذي أود أن أقبل أيديهم واحدًا واحدًا؛ لأنهم رفعوا رؤوسنا بما حققوا، بما صبروا وصابروا ورابطوا، هؤلاء الشباب الذين صنعوا هذه الثورة، وضربوا للناس المثل العليا، أنا أعتبرهم كأنهم الأنصار الذين وصفهم الله في كتابه بقوله: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ». الحشر: ٩. الأنصار الذين وصفوا بأنهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع، الذين كان يضحي بعضهم من أجل بعض، يجوع أحدهم ليشبع أخوه.. يتعب أحدهم ليرتاح أخوه، يسهر أحدهم لينام أخوه، يؤثره بالفراش والطعام والشباب، أوصي هؤلاء الشباب أن يحافظوا على هذه الروح.

إن الثورة لم تنته، إن الثورة بدأت تنتج.. لا تظنوا أن الثورة انتهت، اعتبروا الثورة مستمرة؛ لأنك ستشارك في البناء.. في بناء مصر الجديدة، مصر التي تعلمت من هذه الثورة الشيء الكثير، اصبروا على ثورتكم وحافظوا عليها، وإياكم أن يسرقها منكم أحد، حافظوا على هذه الثورة، واحذروا من المنافقين، الذين هم مستعدون أن يلبسوا كل يوم وجهًا جديدًا، ويتكلموا بلسان جديد ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾. سورة البقرة: ١٤. كانوا بالأمس ضد الثورة، وهم اليوم مع الثورة.. احذروا من هؤلاء، أقول للشباب: حافظوا على ثورتكم، وكونوا على يقظة من هذه الثورة، واستمروا في الحفاظ عليها، هذا ما أطالب به أبنائي شباب الثورة أن يستمروا في الثورة، وأن يحافظوا على وحدتهم، إياكم أن يدخل بينكم من يفسد هذه الصلة الطيبة وهذه الأخوة التي جمعت بينكم في هذا الميدان، هذه كلمتي إلى شباب الثورة.

** وكلمة أخرى إلى الشعب المصري كله.. الشعب العظيم الذي ذكره الله في القرآن، تصوروا أن القرآن لم يذكر بلدًا باسمه إلا بلدين، بلدًا ذكرها في مناسبة معينة اسمها بابل في سحر بابل، ومصر ذكرها خمس مرات في القرآن الكريم، لا يوجد بلد ذكر في القرآن مرات إلا هذا البلد.. الذي قال فيه ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ﴾. يوسف: ٩٩. وشاء هؤلاء المبطلون ألا يدخل الإنسان مصر إلا خائفًا، وشر ما يبتلى به المجتمع الجوع والخوف، هم جمعوا على الناس الجوع والخوف، كانوا يَسْمنون وشعب مصر يضيع من الهزال، كانوا يسرقون الملايين، وشعب مصر يأخذ أجرته بالملاليم، هم ينهبون البلد نهبًا، ويُهرِّبونها إلى الخارج. قيل إن ما نهب من مصر خلال هذه السنوات الثلاث ثلاثة تريليونات دولار، هذه الأموال لو رجعت أو رجع نصفها أو ربعها إلى مصر لسدت ديون مصر، وغطت المشاريع لبناء مصر في المستقبل.

أنا أقول لشعب مصر: هنيئًا لك أيها الشعب، هذا الشعب العظيم الذي اعتنق المسيحية فبذل الآلاف؛ أرواحه ودماءه من أجل المسيحية، وحاربه الرومان وهم مسيحيون مثلهم، ولكنهم خالفوهم في المذهب، كانت هناك عصور تسمى عصور الشهداء، فلما اعتنق الإسلام كان فداء لهذا الإسلام؛ حارب الصليبيين وأسروا ملكهم لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة، وحارب التتار، وكانت معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ قادها القائد المملوكي المظفر سيف الدين قطز، انتصر على التتار الذين لم يكن أحد يقف أمامهم، انتصر عليهم جيش مصر، مصر التي كانت قبلة الثقافة الإسلامية طوال العصور الماضية، قبلة للعلوم الإسلامية وللغة العربية.

مصر أيها الإخوة انتصرت في هذه الثورة، وانتصرت على ما كان يسمى الطائفية، كان هناك شيء يسمى الطائفية، وهم الذين صنعوه.

في هذا الميدان، ميدان شـهداء ثورة ٢٥ يناير وقف المسـيحي مع المسلم جنبًا إلى جنب، وأذكر بالأمس وأنا قادم من قطر جاء شاب وقال أنا فلان الفلاني، وأنا مسيحي، وأنـا أتابعك في برنامجك «الشـريعة والحيـاة» وفي خطبة الجمعة من قطـر، وأنا أعتز بك، فأنت تدعو إلى وحدة الأمة وأنت وأنت.. قلت: الحمد لله عز وجل.

في ميدان التحرير كان الإخوة الأقباط يقفون يحرسـون إخوانهم المسـلمين حينما يصلـون، وأنـا أدعوهـم اليـوم لا أن يحرسـوا إخوانهـم بل أن يسـجدوا مـع إخوانهم المسـلمين شـكرًا لله تعالى؛ فالسـجود آمن به المسـلمون والمسـيحيون معًا. من هذا الميدان انتفت هذه الطائفية الملعونة.

وذكر الأسـتاذ الكاتب السـاخر أحمد رجب بالأمس أنه زار ميدان التحرير، فوجد فتاة مسيحية تصب ماء الوضوء على رجل مسلم، فقال: الآن نجحت الثورة.

أنـا حفيدتـي كانت تقود جيلًا من الشـباب يكنس وينظف الميادين، ويدهن بعض الأشـياء التـي تحتـاج إلى دهـان، فمـر عليهم أحد القسـس، قسـيس، فقـال لهم: هل تحتاجون إلى مسـاعدة؟ فقالوا له تفضل ظانين أنه سـيعمل معهـم، فأخرج مائة جنيه، وقـال: هذه مسـاعدتي لكـم، فكبِّروا، واشـتروا بها بعـض الدهانات، هـذه هي الروح المصرية، الروح التي تسع الجميع.

أنا أرجو من شعب مصر أن يتمسك بهذه الوحدة، وحدة الصف، ليس هناك تعصب، كلنـا مؤمنون، يجب أن نؤمن باللـه، وأن نعمق إيماننا بالله، كلنا مصريون، كلنا ثائرون علـى الباطل، كلنا غاضبون للحق، يجب أن تظل هـذه الروح أيها الإخوة والأخوات، وأيها الأبناء والبنات.

* وكلمة إلى جيش مصر، كلمة إلى جيش مصر، أنا أحيي جيش مصر، أحيي هذا الجيش؛ فهو درع الشعب وسنده وفخره، وقد قال لي بعض الإخوة: لا تسرف في مدح الجيش ربما يخيب ظنك ولا ينصر الثورة، فقلت لهم: والله لن يخيبوا ظني، وحينما خطبت الخطبة الماضية بعد البيان الأول الذي صدر - وقد أصاب كثيرًا من الناس بالإحباط - قلت: إنني مؤمن بأن جيش مصر لن يكون أقل وطنية من جيش تونس، جيش تونس نصر ثورة تونس، وجيش مصر الذي دخل أربعة حروب من أجل مصر ومن أجل فلسطين، هذا الجيش لا يمكن أن يخون بلده، لا يمكن أن يضحي بالشعب من أجل شخص واحد، هذا الجيش أعقل وأشرف من أن يفعل ذلك، وأقسمت أن الجيش سينضم إلى الشعب، وانضم الجيش إلى الشعب، وأصدر هذه القرارات التي رأيناها، وأعلن من أول يوم أن حق التعبير السلمي مكفول للشعب، وأعلن أنه يتفهم مطالب الشعب، وأنه لن يمد يده، ولم ولن يستخدم القوة ضد أبناء الشعب الثائرين والمتظاهرين سلميًّا، هذا الجيش الذي أعلن أنه ليس بديلًا عن الشرعية التي يريدها الشعب، ويرتضيها شباب هذا الميدان، كما أعلن أنه متمسك بالحرية والديمقراطية.

وأنشأ لجنة لتعديل الدستور في عشرة أيام، أي أنه مستعجل على أن تتغير الحياة إلى حياة مدنية، هذه اللجنة التي يرأسها هذا الرجل الفاضل، المستشار القانوني، المؤرخ المفكر، المعتدل المنصف، طارق البشري، نحن نريد من هذه اللجنة أن تؤدي دورها بأسرع ما يكون، ونطالب الجيش المصري بأن يحررنا من الحكومة التي ألفها مبارك في عهده، نريد حكومة جديدة ليس فيها أي وجه من الوجوه التي لم يعد يطيقها الناس، إن الناس كلما رأوها تذكروا الظلم، وتذكروا الباطل، وتذكروا غزوة الجمال والبغال والخيول، وتذكروا القناصة التي تقتل الناس، وتذكروا السيارة التي تذهب يمينًا وشمالًا، وخلفًا وعودة، وتقتل الناس، وتدوس الناس، عشرون قتيلا دهستهم هذه السيارة، الناس لا تريد أن ترى هذه الوجوه. نطلب من الجيش ومن قيادته أن

تحررنا من هذه الحكومة، وأن تنشـئ حكومة مدنية من أبناء مصر، وما أكثر أبناء مصر الشرفاء الذين لـم يرتكبوا مثل هذه الجرائم.

نطالب أيضًا الجيش أن يفرج فورًا عن المعتقلين السياسيين والمسجونين السياسيين الذين ضمتهم السـجون، وعاشـوا سـنين طـوالًا تحت أقبية السـجون بحكـم محاكم عسـكرية أو محاكـم طوارئ، لا تقيم بينـة، ولا تهتم بالحق، وهـذه المحاكم يجب أن تزول، ولا أريد لجيشنا الباسل والشريف أن يتحمل إثمًا، كل يوم يمر على هؤلاء وهم في السجون بل كل ساعة يأثم كل من تسبب فيها ولم يُزِلْ هذا الظلم.

وأنـا قبـل أن أتم كلامي أريد أن أتوجه إلى أبناء مصر، أنا أعرف أن أبناء مصر ظلموا كثيـرًا، والفئات المختلفة من العمال والفلاحيـن والموظفين طالما ظلموا، ولكن الله لم يَبْنِ الدنيا في يوم واحد ولا في ساعات، بل بناها في ستة أيام، وكان قادرًا أن يبنيها بـ «كن فيكون»؛ ليعلمنا الأناة، لابد أن نصبر قليلًا. أنا أنادي كل من عطل العمل وأضرب أو اعتصـم أن يؤيـد هذه الثورة بالعمل، مصر تريد أن تعمـل، الاقتصاد المصري يتأخر يومًا فيوم، ولا يجوز لنا نحن الذين أيدنا الثورة أن نكون سببًا في تأخير بناء مصر، وفي تأخيـر اقتصاد مصر، بل يجب أن نقنع كل إخواننا الذين يضربون والذين يعتصمون أن يصبـروا قليـلًا، وننادي الجيـش أن يتصل بهم ويطمئنهم، هذا ما نريد حتى تسـير مصر في مرحلة البناء، وكل أبناء مصر الآن مسـتعدون أن يبنوا، كل واحد مسـتعد أن يمسك حجرًا، وأن يبني شيئًا في هذا البلد، فأنا أنادي أبناء البلد جميعًا أن يعملوا للبلاد، نحن فـي مرحلة فاصلـة، مرحلة يحق فيهـا الحق، ويبطـل فيها الباطل، وإن مـن حق هؤلاء المصريين جميعًا أن يأخذوا حقوقهم، وأن ينالوا ما يسـتحقون وأن يُنصَفوا، ولكن من واجبنـا أيضًـا أن نصبر علـى إخواننا في الجيش حتـى تتحقق الآمال كلهـا، واحدًا بعد الآخر: «وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ». التوبة: ١٠٥. ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. غافر: ٣. وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يسبح له ما في السموات وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. الأعراف: ١٥٧ . ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. يونس: ٥٨ . نسأل الله -عز وجل- أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوارتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم افتح لأهل هذا البلد فتحًا مبينًا، اللهم اهدهم صراطًا مستقيمًا، اللهم انصرهم نصرًا عزيزًا، اللهم أتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وأعمالنا من العبث، وأنفسنا من الضعف، وقلوبنا من الغش، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وعباداتنا من الرياء، وحياتنا من التناقض.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا

إلـى أنفسـنا طرفـة عين، وأصلح لنا شـأننا كله لا إلـه إلا أنت، يا حي يـا قيوم برحمتك نستغيث، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث.

** قبـل أن أختـم كلامـي ودعائـي هذا، أقـول كلمة للأنظمـة الحاكمة فـي البلاد العربيـة، أقول لهـم: لا تكابروا، لا تناطحـوا المريخ، ولا توقفوا التاريخ، لن يسـتطيع أحـد أن يحارب الأقـدار، ولا أن يؤخر النهار إذا طلع، الدنيـا تغيرت والدنيا تطورت، والعالم العربي تغير من داخله، فلا تقفوا أمام الشـعوب، حاولوا أن تتفاهموا معها، لا تضحكوا عليها، لا تحاولوا أن تأخذوها بالكلام الفارغ، الشعوب لا يمكن أن تسكت، حاوروها محاورة حقيقية، حاوروها في العمل البناء الذي يضع الأشياء في مواضعها، ويحترم عقول الناس، ويحترم عقول الشعوب، هذه رسالتي إلى حكام العرب.

** ورسالة إلى إخواننا في فلسطين، وأنا عندي أمل أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما أقر عيني بنصر مصر أن يقر عيني بفتح المسـجد الأقصى، وأن يهيئ لي أن أخطب في المسـجد الأقصى، اللهم هيئ لنا أن نخطب في المسـجد الأقصى، وندخل المسـجد الأقصـى آمنيـن غيـر خائفيـن ولا وجلين، اللهـم حقق لنا هـذا الفتح المبيـن.. يا أبناء فلسـطين، ثقوا أنكم منتصرون، سـيفتح معبر رفح لكم، وأنـا أطالب الجيش المصري والمجلـس الأعلى للقـوات: افتحوا معبر رفح، افتحوا ما بيننـا وبين إخواننا، فغزة من مصـر، ومصر مـن غزة، يجب أن تكون مصـر ردئًا ودرعًا وحصنًـا، مصر التي حاربت أربعة حروب من أجل فلسطين لا ينبغي لها أن تقطع الطريق، لابد أن تفتح المعابر التي في أيدينا خصوصًا معبر رفح، نفتحه للقوافل التي كانت تمنع من إغاثة إخواننا، هذا ما أطالب به جيشنا العزيز الباسل الشريف.

أسـأل الله تبارك وتعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشـدًا: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ». الحشر: ١٠. اللهم آمين، وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ». العنكبوت: ٤٥.

أيهـا الإخـوة المصلون: هـذا الزحام المبـارك، حوالي ثلاثة مليـون، يجوز لمن لم يسـتطع أن يصلـي خلف الإمام أن يصلي أمام الإمام، الإخـوة الذين يصلون في الأمام يجوز، ومن لم يجد مكانًا يسـجد فيه فليسـجد على ظهر أخيـه، هذه الزحمة رحمة إن شاء الله، وسنصلي الظهر والعصر معًا إن شاء الله.

السيرة الذاتية للمؤلف

البيانات الشخصية:



الاسم: وصفي عاشور علي أبو زيد.

تاريخ الميلاد: ١١ جمادى الثاني ١٣٩٥هـ

الموافق: ٢٠/٦/١٩٧٥م.

مكان الميلاد: محافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية.

عنوان المراسلة: wasfy75@yahoo.com

المؤهلات والخبرات:

- سجل لدرجة الدكتوراه بعنوان: «المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي» في ديسمبر ٢٠٠٥م. بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- ماجستير في الفقه والأصول من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتقدير ممتاز، في مارس ٢٠٠٥م، بعنوان: «نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية».
- ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من نفس الكلية والجامعة ١٩٩٧م.
- حاصل على إجازات مسندة في بعض كتب السنة ومصطلح الحديث، وإجازة من الإمام القرضاوي.
- شارك في عدد من المؤتمرات الدولية في مصر وقطر والمغرب والجزائر والكويت.
- شارك في إعداد معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي جدة.
- عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- عضو مجلس أمناء ومكتب تنفيذي رابطة علماء أهل السنة.
- مستشار دعوي وإيماني لموقع إسلام أون لاين. نت.
- مستشار دعوي وإيماني لموقع الإسلام اليوم.
- عضو الجمعية الفلسفية المصرية منذ عام ٢٠٠٥م.

■ عضو الاتحاد العربي للإعلام الإليكتروني.

■ باحث شرعي بالمركز العالمي للوسطية بالكويت منذ عام ٢٠٠٦م.

■ نشرت له الصحافة الورقية والإليكترونية مئات المقالات والأبحاث في الفقه والأصول، والفكر والدعوة، والتربية، وشئون الأسرة، وغيرها.

المؤلفات:

١ـ نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية (منشور).
٢ـ في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري (منشور).
٣ـ الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام (منشور).
٤ـ محفوظ نحناح رمز الإسلام المعتدل في الجزائر (منشور).
٥ـ مشاركة المرأة في العمل العام (منشور).
٦ـ المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية (منشور).
٧ـ رعاية المقاصد في منهج القرضاوي (منشور).
٨ـ معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف (منشور).
٩ـ كلمات في صناعة الداعية الفقيه (منشور).
١٠ـ منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة (بحث محكم منشور).
١١ـ القرضاوي الإمام الثائر. وهو الكتاب الذي بين يديك.
١٢ـ أهمية القرآن في حياة المسلم (تحت الطبع).
١٣ـ يوسف القرضاوي مجالات التأليف وخصائص المنهج العلمي (تحت الطبع).
١٤ـ فقه الخطابة وحقوق الإنسان في ضوء خطبة الوداع (تحت الطبع).
١٥ـ أسس التعامل مع القرآن الكريم (تحت الطبع).
١٦ـ حفظ الأسرة في الإسلام، قراءة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها (تحت الطبع).

